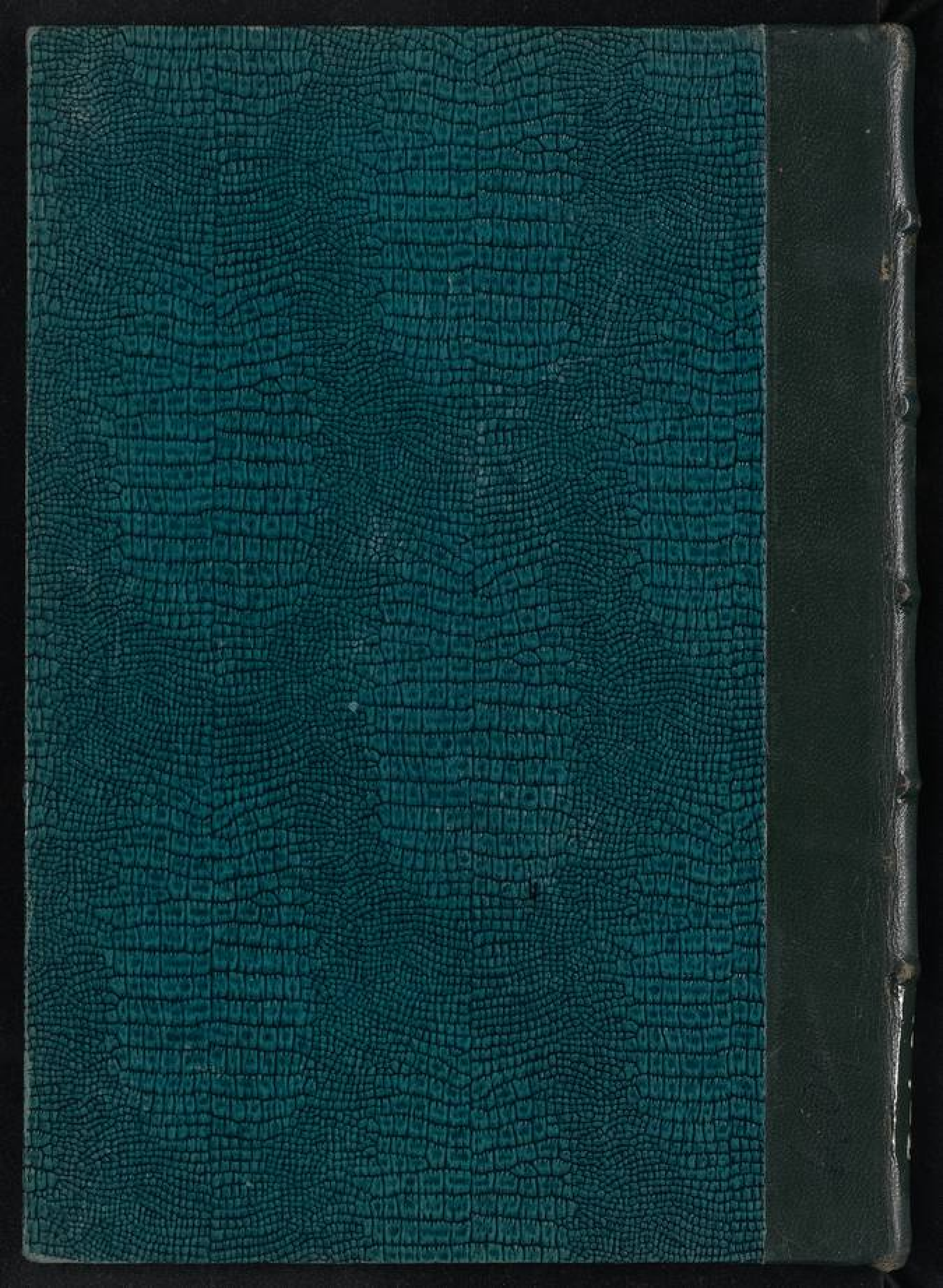
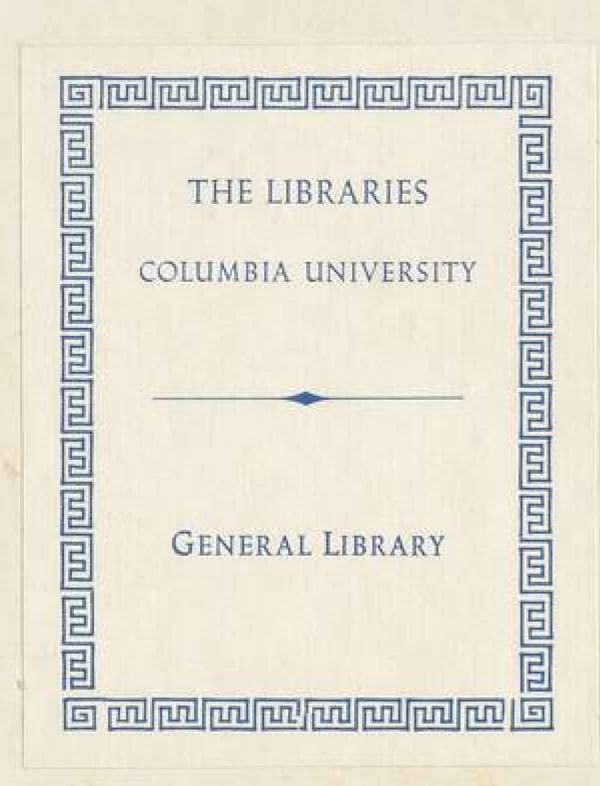
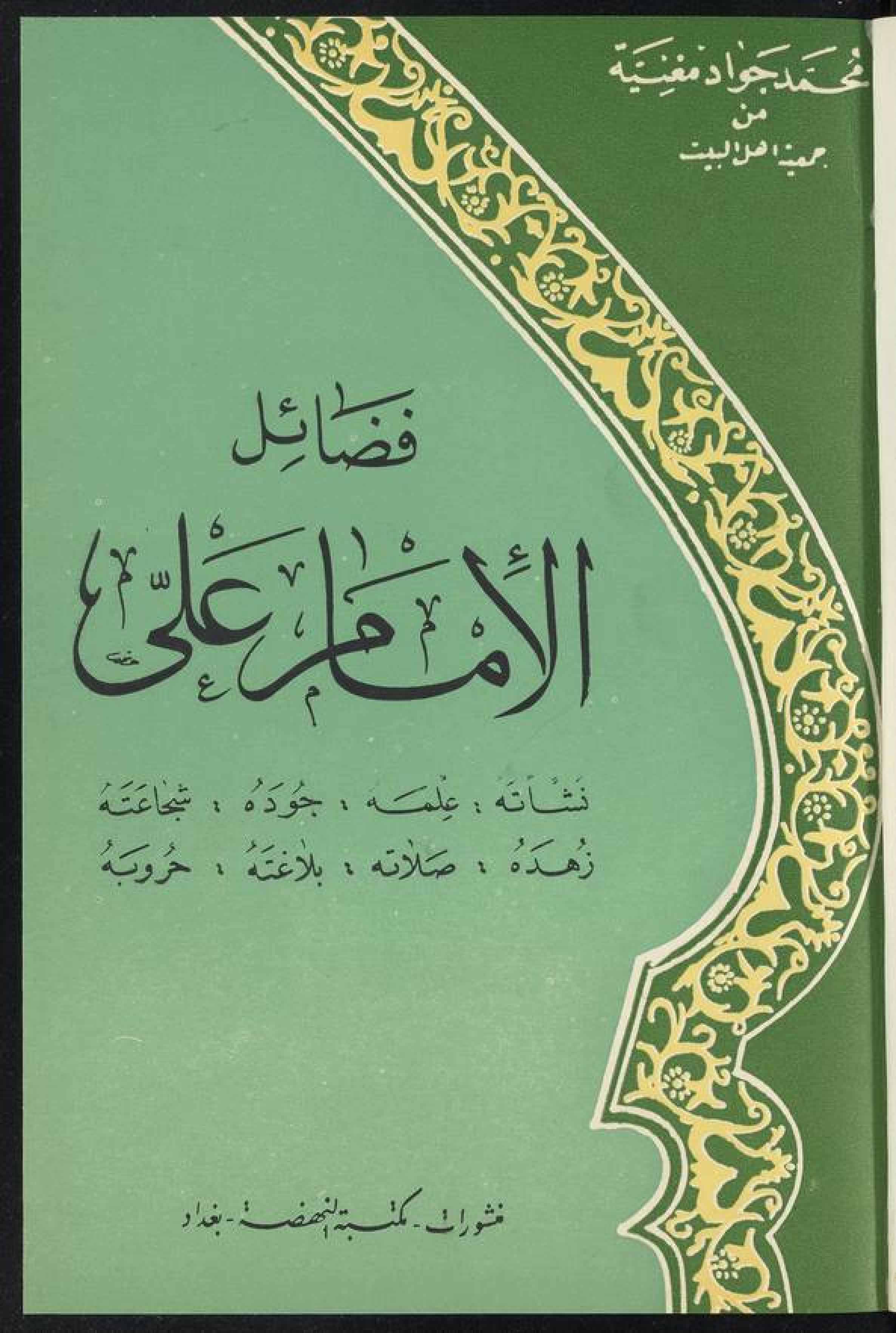



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY
GENERAL LIBRARY



محمد جواد مغنية
من
جمعية اهل البيت
فضائل
الإمام علي
نشأته ، علمه ، جوده ، شجاعته
زهده ، صلاته ، بلاغته ، حروبه
منشورات مكتبة النهضة - بغداد

طبع في مطابع الارشاد ـ بغداد ١٩٦٤

مُحمّد جواد مغنيّة
من
جمعية اهل البيت

فضائل الإمام علي

نَشأتهُ ، عِلمهُ ، جُودُهُ ، شجاعتهُ
زُهدُهُ ، صلاته ، بلاغتهُ ، حُروبهُ

منشورات - مكتبة النهضة - بغداد

الطبعة الاولى ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م ـ بيروت
الطبعة الثانية ـ ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م ـ بغداد (مزيدة ومنقحة)

كلمـة الناشر

كل من قرأ هذا الكتاب تنبأ انه سيطبع اكثر من مرة ، لانه الوحيد في بابه ، من حيث الوضوح والاختصار والاحاطة ، والبعد عن المغالاة والمبالغات ، مع الاعتماد على التاريخ الصحيح ، والمنطق السليم •

ومن اجل هذا اقبل عليه القراء ، وآثروه على كثير من الكتب القديمة والحديثة في هذا الباب •

وكان هذا اكبر حافز ان نخرج هذا السفر القيم مرة ثانية وبثمن يجعله في متناول كل طالب وراغب •

ولا يفوتنا ، ونحن نقدم هذه الطبعة ، ان ننوه ببعض التعديل والتنقيح اللذين امتازت بهما عن سابقتها • والله سبحانه ولي التوفيق ؟

عبدالرحمن حسن حياوي

مكتبة النهضة ـ بغداد

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة على صفوة الخلق ، وخاتم النبيين وآله وصحبه الهادين المهديين •

وبعد :

فان الحديث عن آل الرسول ، عليه وعليهم افضل الصلوات ، سهل يسير ، وصعب مستصعب ، سهل على من اراد أن يسرد ما تواتر على الالسن ، ودوّن في كتب الفضائل والمناقب ، وصعب اذا حاول الكشف عما فيها من كنوز واسرار ، وما تهدف اليه من غايات سامية ، ومقاصد رفيعة ، لأن الحديث عن كل اولئك ، بل عن بعضها يحتاج الى رصيد ضخم من العلم الصحيح والخلق الكريم •

ومما يؤسف له ان كثيرا من الذين كتبوا عن اهل البيت لا يملكون غير الحب والولاء ، وبديهة ان الحب شيء ، والعلم شيء آخر ، وهل يسوغ لمن يحب الرسول الاعظم ان يكتب في السيرة النبوية ؟! • ولمن يؤمن بالقرآن ان يكتب في التفسير ، وان كان جاهلاً ؟! • ان في آثار

اهل البيت ، وبخاصة امير المؤمنين انواعا من العلوم والمعارف ، وكنوزا من الاسرار والحكم لا يبلغها الاحصاء ، ولا شيء منها لدى الخاصة من شيعتهم الا الفقه ، بله العامة ! اما غير الفقه والتشريع فاعتقد ان الستُر لم تكشف عنه حتى الآن .

والغريب ان الذين كتبوا – منا – عن آل الرسول ما زالوا منذ عهد الشيخ المفيد يكررون ما قاله هذا الشيخ الجليل من مئات السنين لفظا ومعنى ، وترتيبا وتبويبا ، دون ان يأخذوا بعين الاعتبار ظروف التطور لعقول الناس واذواقهم وثقافتهم ، ودون ان يبذلوا اي جهد في الدراسة والتحليل على ضوء ما جد من تغيرات واحداث ، ان الكتابة عن العظماء لم تعد مجرد نقل ، وسرد كرامات ، فقد انتقلت الى استخراج العبر والمثل من حياة العظيم ، وتوجيه القاريء اليهما ، واغرائه بهما ، من حيث يدري ، ولا يدري .

ولو كان لغير الشيعة مثل علي واولاده[1] لملأوا الكون بمفاخرهم ومآثرهم ، ومنذ أمد غير بعيد قرأنا كتابا ضخما للحفناوي وضعه في ابي سفيان الاموي ، لأن النبي (ص) قال يوم فتح مكة : « من دخل دار ابي سفيان فهو آمن » ومن قبله قال الشيخ الخضري في محاضراته : « ان قول الرسول من دخل دار ابي سفيان فهو آمن لشرف عظيم لم ينل احد مثله للان » . هذا ، مع العلم بان النبي قال يومذاك : « من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ، ومن اغمد سيفه فهو آمن » اي وان لم يدخل دارا بالمرة ، وبالرغم من كل ذلك فان شرف ابي سفيان عند الخضري والحفناوي لم ينل مثله احد من الاولين والآخرين ، حتى علي الذي حمله النبي على منكبه ، وكسر الاصنام التي ألهها وعبدها ابو سفيان! .

(١) اي لو دان غير الشيعة بالولاء لعلي كما تدين الشيعة ، والا فعلي للجميع .

ومهما يكن ، فلست ادعي ان لدي من الرصيد ما يحسن السكوت عنه لدراسة آثار اهل البيت ، كلا ، ثم كلا ، فان تتبعي لها حملني على الاعتقاد بان معرفتها كما هي لا تتيسر الا لمن كان من ذاك البيت الذي اذهب الله عنه الرجس ، وطهره تطهيرا ، او بلغ من العلم والايمان مبلغ سلمان الذي قال عنه الرسول الاعظم : « سلمان منا اهل البيت » ولكن سيري المتواصل ، وعكوفي على آثارهم ثلاثين سنة او اكثر انتهى بي الى شاطىء اليم ، فاغترفت غرفة سطرتها في هذه الصفحات : واقسم ان ما من انسان ، اي انسان ، يتفهم كلمات آل الرسول ، ويتدبر معانيها الا تركت في نفسه قبسا من نور الله ، من حيث لا يحس ولا يشعر .

وقد عنيت عناية خاصة بحروب الامام مع النبي وبعده ، وعرضتها عرضا موجزا وواضحا ، لان اكثر القراء يرغبون في الوقوف على حقيقتها ، ويصعب عليهم الرجوع الى المطولات ، والصبر على اسلوبها القديم ، هذا الى ان حروب الامام تبرز شخصيته بأظهر معانيها ، وتعبر عن ثقته بالله وبنفسه ، وعن زهده في الدنيا ، وتواضعه ، وعن جلده وصبره على العواصف والصعوبات ، وعن حبه للخير والسلم ، وعطفه وحنانه ، حتى على اعدى اعدائه والد خصومه ، كما تقدم حروب الامام اصدق الشواهد واعدلها على انها كانت من اجل « لا اله الا الله محمد رسول الله » ومن اجل الضعفاء ، وآلام المعوزين .

ثم ان من جملة ما نهدف اليه من هذا الكتاب ان نثبت ان بين السنة والشيعة روابط عديدة وقوية لا رابط واحد ، وانه لا يحاول فصم هذه الروابط الا من يريد ان يقدم الاسلام والمسلمين ضحية لاهوائه واغراضه ، ولا شيء ادل على ذلك من ان الآيات والاحاديث التي استدل بهما الشيعة على تقديس آل الرسول هي بنفسها الآيات والاحاديث

التي استدل بهما السنة على ذلك ، حتى كأن احدهما اخـذ عن الآحر ، او انهما قد استقيا من ينبوع واحد ، وهذا عين اليقين وبالتالي ، فـان هذه امثلة من « فضائل علي » وليست حصرا ولا احصاء كيف ؟! وقـد قال الرسول الاعظم :

« ان الله جعل لاخي علي فضائل لا تحصى كثرة ، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرا بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم ، ومن استمع الى فضيلة من فضائله غفر الله الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر الى كتب من فضـائله غفـر الله له الذنوب التي اكتسبهـا بالنظر » [1] •

والله سبحانه المسئول ان يجعل ثوابي ـ واياك ايها القاريء ـ ثواب من قرأ ، وكتب ، واستمع ، ونظر بالنبي والـه الطاهـرين ، والصـلاة عليهم اجمعين •

(١) ذكره اخطب خوازم ، واستدل الشيخ المظفر على صحة هذا الحديث بالشواهد والارقام من كتب السنة • انظر دلائل الصدق ص ٣٢٠ وما بعدها ج ٢ •

لماذا نوالي اهل البيت ؟

ما يجوز على اهل البيت وما لا يجوز :

قال الامام جعفر الصادق (ع) : ما جاءكم منا ممـــا يجوز ان يكون في المخلوقين ، ولم تعلموه ، ولم تفهموه فلا تجحدوه ، وردوه الينا ، وما جاءكم عنا ممـــا لا يجوز ان يكون في المخلوقين ، فاجحدوه ، ولا تردوه الينـــا .

اعتاد الناس منذ القديم ان ينسبوا الى العظماء من المناقب والخوارق ما لا عهد لهم بها ولا علم ، وقد يتجاوزون الحـد ، وينسبون اليهم ما لا يجوز عليهم بحال ، من ذلك ـ وعلى سبيل المثـال ـ ما نسب الى الامام (ع) انه ركب فرسا ، وصعد الى السماء ، وأصحابه ينظرون اليه .

وبالرغم من ان عظمة اهل البيت لا تقف عند الحـد المألوف بين الناس ، فانها لا تتعدى صفات المخلوقين ، ولا تتجاوز حدود الانسانيـــة ومستواها ، لذا حذر الامـام الصادق ، ان يرفعهم احـد فوق البشـر ، وينسب اليهم ما يشعر بالغلو من قريب او بعيد .

وقد روى الرواة عنه في هذا الباب عدة أحـاديث باساليب شتى ، منها قوله : « حذروا شبابكم من الغلاة لا يفسدوهم ، فان الغـلاة شـر خلق الله ، يصغرون الله ، يدعون الربوبيـة لعبـــاده » ، وكيف تنسب

الربوبية الى انسان لم يكن عظيما الا لأنه كان أعبد خلق الله لله ، وأكثرهم طاعة له ، وأشدهم خوفا منه ، وأعلمهم بجلاله وعظمته ؟! .

عقيدة الشيعة :

لقد حدد الامام صحة ما يعزى اليهم من الفضائل بأنهـــا من صفات المخلوق دون الخالق ، ووضع بهذا الحد الفاصل بين قول الحق والصدق فيهم ، وبين قول الكذب والافتراء عليهم ، وبهـــذا نجـد عقيدة الشيعة الامامية في أئمتهم على حقيقتها ، وانهم يؤمنون ايمانا لا يشوبه ريب بأنه لا شريك لله في الخلق ، ولا في الرزق ، ولا في عـــلم الغيب ، وانـــه جل وعلا لا يحل باحد ، او يتحد به ، وانـــه لا نبي ولا وحي بعـــد رسول الله ، وان معرفة الائمة وحدهـــا لا تغني شيئا بدون العبـــادات وسائر الطاعات .

الشيعة واهل البيت :

ان الشيعة يعبدون الله الذي لا اله سواه ، ولا يشركون بعبادته احدا ، وفي الوقت نفسه يحيون ويموتون على ولاء آل الرسول ، لا لمجرد انهم عباد وزهاد ، ولا لمجرد انهم علماء يعرفون حلال الله وحرامه ، ولا لمجرد انهم يحبون الخير ، ويكرهون الشر ، ولا لمجرد انهم خدموا الدين والاسلام وضحوا في سبيله فحسب ، ان الشـيعة يوالون اهل البيت ، لانهم صورة كاملة لروح النبي وعلمه وايمانه واخلاقه ، ان نفس علي هي نفس محمد بنص آية المباهلة ، حيث عبر النبي عن علي بلفظ انفسنا ، ويأتي التفصيل في الفصل التالي ، واليك هذا الشاهد على ان آل الرسول صورة عنه ،

قالت عائشة : « ما رأيت احدا من خلق الله اشبه حديثا وكلاما برســول

الله (ص) من فاطمة » وقـــال الرواة والمؤرخون : اتت فاطمة الى ابي بكر تطالب بفدك ، ومشيتها مشية رسول الله ، ومنطقها منطق رسول الله فلما رآها المسلمون تذكروا اباهـا ، فاجهشوا بالبكاء ، وكان يوم كيوم مات فيه رسول الله ، لم ير اكثر باكيا وباكية .

ومما جـاء في خطبتها الشائعة الذائعة : « نحن وسيلة الله في خلقه ، ونحن خاصته ومحل قدسه ، ونحن حجته في غيبه ، ونحن ورثة انبيائه » . واي مسلم يدرك هــذا الكلام واسراره ، ثم لا يفنى في طاعـــة الآل ومودتهم ؟! فهم خاصة الله ؛ فمن نأى عنهم فقد ابتعد عن الله ، وهــم سبيل الله فمن جهل حقهم ، فلا يصل الى الله ، وهم حجة الله ، فمن اخـذ عن غيرهم فقد ابتغى غير الله ، ومن هنـــا كانت طاعتهم طاعـــة للرسول بنص حديث الثقلين ، وطاعة الرسول طاعة الله بنص الآية **٧٩** من سورة النساء : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » .

من اجل هذا وحده أحب الشيعة محمد وآل محمد اكثر من انفسهم، ومن الآباء والامهات والابناء ، ودانوا مخلصين بالولاء لهم ، وبالسلم لمن سالمهم ، والحرب لمن حاربهم غير مكترثين ولا مبالين بتهجمات المعاندين ، ولا بتقوّل المفترين ، ما داموا على ثقة من دينهم ، ويقين من تمسكهـم بالقرآن الكريم ، وسنة الرسول العظيم .

ما لعلي وفدك ؟! :

وهنا سؤال يفرض نفسه : لماذا اهتمت سيدة النساء بفدك كل هذا الاهتمام ، وهي من اهلٍ لا يبالون بشيء من امر الدنيا اقبل او ادبر ؟! قال امير المؤمنين (ع) : ماذا اصنع بفـــدك وغـير فدك ، والنفس مظانها

في غد جدت تتقطع في ظلمته آثارها ، وتغيب اخبارها ؟! . ان اهل البيت لا يعملون الا لظلمة القبر ووحشته ، والا لله ورحمته ، فما بال ام الحسنين تقيم الكون وتقعده من اجل فدك ؟! .

الجواب :

ان القصد ابعد بكثير من فدك ، ان سيدة النساء تبتغي من وراء فدك من اغتصب الحق ، وصد اهله عنه ، انها تريد ان تفهم القوم انهم خالفوا الرسول ، ونكثوا عهده ، وتنكبوا عن صراطه ونهجه ، فمما قالته في الخطبة « سرعان ما احدثتم ! وعجلان ما اتيتم ! الآن مات الرسول ، فامتم دينه !.. وتلك نازلة اعلن بها كتاب الله قبل موته ، وانبأكم بها قبل وفاته ، « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبية فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين » .

وان قال قائل : ان هذه الآية نزلت يوم أُحُد ، حيث خاطب الله بها المسلمين الذين فروا عن النبي بعد ان شاع خبر كاذب بقتله ، واللفظ صريح الدلالة على ذلك ، فكيف يستدل بها على من صرف الخلافة عن علي ؟! .

قلنا في جوابه : اجل ، انها نزلت في الذين فروا يوم أحد ، وان لفظها وسياقها صريحان بذلك بخاصة قوله تعالى : « ان يمسسكم قرح فقد حس القوم قرح مثله » اشارة الى انتصار المسلمين على المشركين يوم بدر ، ولكن المورد لا يخصص الوارد ـ كما قيل ـ هذا ، الى ان الذين فروا يوم احد هم الذين منعوا فاطمة فدكا ، وهم الذين خاطبهم الله ، وحكم

عليهم بان ايمانهم بمحمد يرتبط بوجـوده ، فيبقى ببقـائه ، ويذهب بذهابه فكان عليهم لو كانوا مؤمنين حقا ان يستميتوا حين شاع الخبر بقتل نبيهم ؛ لا ان يفروا وينقلبوا على اعقابهم خاسرين .

قال الامام الباقر (ع) : أصاب علياً يوم احد ستون جراحا ، فامر النبي بعد انتهاء المعركة بعض النساء ان تداوي جراحه ، فقلن يا رسول الله : لا نعالج منه مكانا الا انفتق مكان ، فدخل عليه الرسول وجعل يمسح الجراح بيده ، ويقول : ان رجلا لقي هذا في الله فقد ابلى واعذر ، فكان القرح الذي يمسه النبي ، يلتئم لساعته ، فقال علي : الحمد لله ، اذ لم افر ولم اول الدبر ، وكان هو المقصود بقوله سبحانه : « وسيجزي الله الشاكرين » .

وهل ثمن لهذه الجراح الزكية غير الولاء والطاعة ، وغير التعظيم والتقديس ؟! هل لهذه الجراح الخالصة لله الا الاخلاص والمودة ؟! . ولماذا عرض الامام نفسه للاخطار والمهالك ، ألشهرة او ملك او مال ؟! . انه اراد شيئا واحدا لا غير ، اراد ان تردد الملايين في كل زمان ومكان على المآذن والمنابر ، وفي الصلوات والمحافل كلمة « لا اله الا الله محمد رسول الله » . هذي هي امنية الامام ولا شيء سواها ، ومن اجلها قاتل وقتل المشركين اعداء الرسول والدين ، ومن اجلها أصابه في معركة واحدة ستون جراحاً ، ومن اجلها استشهد في محرابه وبين يدي ربه ، واستشهد اولاده من بعده بين منحور ومسموم ، لا يبتغون جزاءً ولا شكورا الا ان يعبد الله ، والا احياءً لكلمة لا اله الا الله ، فعلي في جهاده كالرسول الذي قال : لو وضعت الشمس في يميني ، والقمر في شمالي ما تركت قول : لا اله الا الله محمد رسول الله ، حتى انفذه او اقتل دونه . والنتيجة الحتمية المنطقية لذلك كله ان من دان لعلي بالولاء فقد دان بالشهادتين ، ومن وفى له فقد وفى للدين والاسلام ، ومن عانده وحاربه

نقد عاند وحارب الله والرســـول ، فالقضيتان متلازمتان متساويتان طرداً وعكسا ، وسلبا وايجابا ٠

آل النبي هم النبي وانما　　　بالوحي فرق بينهم فتفرقوا

أبت الامامة ان تليق بغيرهم　　　ان الرســـالة بالامــة اليق

غيرهم يعبد الله على حرف :

قال احد وجوه العرب للنبي : ما لي اذا اسلمت ؟ ٠

قال النبي : لك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم ٠

قال : اقاتل بسيفي معك ، ثم لا يكون لي شيء من الغنم ؟! ٠ فاجعل الامر الي من بعدك ٠

وهكذا اكثر العرب ـ الآن وقبـل الآن ـ لا يعبدون الله الا على حرف ، ولا يعلمون الا على اساس الكسب والربح العاجل ، واقسم لولا محمد وآله ، ومن سار بسيرتهم لم يكن للعرب تاريخ ولا ذكر ٠

ابناء الرسول

قال المحب الطبري في كتاب « الرياض النضرة » ج ٢ ص٢٦٨ طبعة ١٩٥٣ :

« روى ابو سعيد في شرف النبوة ان رسول الله (ص) قال لعلي :

اوتيت ثلاثا لم يؤتهن احد ، ولا انا : اوتيت صهراً مثلي ولم اوت انا مثلي ، واوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي ولم اوت مثلها زوجة ، واوتيت الحسن والحسين من صلبك ، ولم اوت من صلبي مثلهما ، ولكنكم مني وانا منكم ... وفي رواية اوتيت اربعة ، والرابعة لولاك ما عرف المؤمنون ... اشارة الى قول الرسول : من كنت مولاه فعلي مولاه » .

وعن طريق الشيعة ، قال محمد بن علي بن شهر اشوب في كتاب « مناقب آل ابي طالب » :

« ان النبي قال : يا علي لك اشياء ليست لي منها : لك زوجة مثل فاطمة وليس لي مثلها ، ولك ولدان من صلبك ، وليس لي مثلهما من صلبي ، ولك مثل خديجة حماة ، وليس لي مثلها حماة ، ولك صهر مثلي ، وليس لي صهر مثلي ، ولك اخ مثل جعفر ، وليس لي مثله في النسب ، ولك ام مثل فاطمة بنت اسد الهاشمية المهاجرة ، وليس لي

مثلها » [1] .

وطبيعي ان لا يكون للنبي زوجة ابوها كمحمد سيد الانبياء وخاتمهم، وطبيعي ايضاً ان لا تكون له زوجة كفاطمة سيدة نساء العالمين ، ولكن من الطبيعي ان يكون له ابناء للصلب كالحسن والحسين ، كما كان لابراهيم ، وغير ابراهيم من الانبياء (ص) . فما هو السر لحرمان الرسول الاعظم من الابناء للصلب ؟

اجل ، لم يكن للنبي (ص) ابناء للصلب ، ولكنه لم يحرم من الذرية والنسل ، بل لم يحرم من الابناء ، فان كلا من الحسن والحسين ابن له بنص القرآن ، فلقد اتفقت السنة والشيعة على ان المراد بانفسنا النبي وعلي ، وبنسائنا فاطمة ، وبابنائنا الحسن والحسين في آيه المباهلة ٦١ آل عمران : « فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » . قال الرازي في تفسيره الكبير : « هذه الآية دالة على ان الحسن والحسين كانا ابني رسول الله (ص) وعد النبي ان يدعو ابناءه ، فدعا الحسن والحسين ، فوجب ان يكونا ابنيه » .

وقد تواتر الحديث عن النبي انه قال : ولداي هذان امامان قاما او قعدا . وقال : هما ريحانتاي من الدنيا ، وعن الامام احمد ان النبي قال : كل ولد اب فان عصبتهم لابيهم ما خلا ولد فاطمة ، فاني انا ابوهما .

وقال الامام علي في محمد ابن الحنفية : انه ابني ، اما الحسن والحسين فانهما ابنا رسول الله ، وكان الناس ، وما زالوا يعبرون عن علي وفاطمة والحسن والحسين انهم من آل محمد وآل الرسول وآل البيت ، اي بيت محمد .

---

(١) لاحظت ، وانا اتتبع كتب الفضائل ان ما من منقبة يذكرها الشيعة لاهل البيت الا وفي كتب السنة ، مثلها وان كان هناك من تفاوت فهو اشبه بهذا التفاوت بين هذين الحديثين .

وقال السيد المرتضى : ان آية المباهلة تـدل على ان ابن البنت ابن حقيقة .

ونحن نقول : سواء أدلت الآية على ذلك ام لم تدل فانها نص صريح على ان الحسن والحسين هما ابنا الرسول حقيقة ، حتى ولو لم يكن ابن البنت ابنا بالقياس الى غيره ، وهذا خاص بالنبي (ص) دون سواه بنص القرآن والحديث واستعمال الناس جميعاً .

وان سأل سائل : ما هي الحكمة في كون الرسول الاعظم ابا حقيقيا لابناء بنته دون ان يكون ذلك لغيره ؟ .

ولكي يتضح الجواب عن هذا السؤال نمهد بما يلي :

لقد تزوج النبي خديجة ، وهو ابن خمس وعشرون سنة ، واقام معها اربعا وعشرين واشهرا ، وبعد وفاتها تزوج سؤدة بنت زمعة ، ثم عائشة ، عقد له عليها ابو بكر في مكة ، وهي بنت ست سنوات ، وبنى بها النبي في المدينة بعد ان اكملت التسع وحين توفي النبي كان لها من العمر ثماني عشرة سنة ، وعاشت الى السبعين ، وماتت في ايام معاوية ، وايضا تزوج النبي ام سلمة ، وهي بنت عمته عاتكة بنت عبد المطلب ، وحفصة بت عمر ، وزينب بنت جحش ، وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب ، وجويرية بنت الحارث ، وام حبيبة بنت ابي سفيان ، وصفية بنت حي بن احطب ، وميمونة بنت الحارث ، خالة عبدالله بن عباس ومارية القبطية ، وريحانة بنت زيد ، وتكانة بنت عمرو ، وقد دخل بهؤلاء جميعا ، وكن ثيبات الا عائشة كانت بكرا ، وله زوجات أخر طلقهن قبل الدخول .

وولدت له خديجة ذكرين : القاسم وعبدالله ، وهما الطيب والطاهر ، واربع أناث : زينب ، ورقية ، وام كلثوم ، وفاطمة ، وولدت مارية

القبطية ابراهيم ، ومات القاسم وعبدالله وابراهيم اطفالا ، اما زينب فتزوجها ابو العاص بن الربيع قبل الاسلام ، وولدت له بنتا ، وهي امامة تزوجها الامام بعد فاطمة بوصية منها ولم ترزق اولاداً ، وتزوج رقية عتبة بن ابي لهب عم الرسول ، وام كلثوم تزوجها اخوه عتيق بن ابي لهب ، وبعد الاسلام طلقهما النبي من عتبة وعتيق ، فتزوج عثمان ابن عفان رقية ، وولدت منه ذكراً ، وهو عبدالله ، ومات في السنة السادسة من عمره ، فتزوج بعدها اختها ام كلثوم ، ولا عقب لها ، وتوفيت زينب ورقية وام كلثوم في حياة النبي (ص) ، ولم يبق له من الولد الا فاطمة ، ولا عقب له الا منها .

واذا لم يكن للنبي ابناء ولا ابناء ابناء ، ولا نسل ولا ذرية الا من فاطمة كان من المحتم ـ وبحكم الطبيعة البشرية ، وصرف النظر عن الآيات والاحاديث ـ ان تنحصر عاطفته الابوية بالحسن والحسين ، وان يهتم بتربيتهما وتعليمهما وسعادتهما ، ولو كان للنبي اولاد غير الحسن والحسين لتوزعت هذه العاطفة بينهما وبين اولاده ، بل لكان لغير الحسنين من ابنائه الشطر الاوفر ، اما وانه لا نسل ولا ذرية له الا الحسن والحسين فعاطفته منحصرة فيهما بحكم الواقع ، وكانا ابنين له حقيقة ، وقد عبر صلوات الله عليه وعلى آله عن هذه الابوة والبنوة بعبارات شتى ، منها ولداي ، وابناي وريحانتاي وهما مني وانا منهما ، وما الى ذلك .

ان للانسان ، اي انسان نبياً كان او غير نبي عاطفة ابوية تجاه ابنائه ان وجدوا ، والا استأثر بها ابناء ابنائه ان وجدوا ، والا استأثر بها ابناء البنت ، كما هي الحال ، في نبينا الكريم (ص) .

هذا ، الى ان عاطفة الابوة ، وان كانت طبيعية ، الا انها قد تضعف وتتلاشى ، بل قد تنقلب الى مقت وكراهية ، اذا كان الابن على غير طريقة الأب في دينه واخلاقه ، فلقد رأينا الاب ينازل ابنه بالسلاح في المعارك الدينية والعقائدية وكان الرجل مع رسول الله (ص) يقاتل اباه واخاه وابنه من اجل الدين ، كما رأينا من يخلص ويضحي بالنفس والنفيس من اجل صديق لا يجمعهما جامع من نسب او قومية ، او اي شيء سوى الخلق والمبدأ ، ومن هنا قال الرسول الاعظم : « سلمان منا اهل البيت » مع العلم انه كان فارسي الاصل ، وكان الامام جعفر الصادق يعبر عنه بسلمان المحمدي .

وقال الله على لسان ابراهيم في الآية ٣٦ من سورته : « فمن اتبعني فانه مني » ، وفي الآية ٤٥ من سورة هود : « قال نوح رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح » وفي الآية ١٠١ من سورة المؤمنين : « فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم » وفي ٦٧ من سورة الزخرف « الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين » . وقال امير المؤمنين : رب اخ لك لم تلده امك . وقال : القريب من قربته الاخلاق ، فالاخلاق هي مقياس القرب لا الانساب ولا القوميات .

وليس من شك في ان اخلاق الحسنين وشمائلهما وسيرتهما تعبير قوي وصريح عن اخلاق النبي وشمائله وسيرته ، فقد قاما بامره ، وعملا بوصاياه وتعاليمه ، ومهدا لامته وجاهدا في سبيل دينه ومبادئه ، وكان لهما من علمه وحلمه ، وشجاعته وكرمه ، وزهده وصبره ما لم يكن لاحد بعد ابيهما امير المؤمنين (ع) ومن اجل ذلك امر الناس بالتمسك بهما تماما كما امرهم بالتمسك بالقرآن ، ونص على امامتهما صراحة بقوله

« ولداي هذان امامـــان قاما او قعـدا » وجعلهما حجة لله على النـاس اجمعين ، فاذا كنا مسلمين حقاً فعلينا ان نسمع لهما ونطيع ، وان نخصهما بالولاء ، ونؤمن ايماناً صادقاً ، ونتذكـــر ابداً ودائما ان عداء الحسن والحسين او جحود فضلهما وعدم الولاء لهما عداء وجحود لرسالة الرسول وتعاليمه •

علي وفاطمة

مولد فاطمة :

اتفق الرواة على ان فاطمة الزهراء (ع) كانت الصغرى في ذرية الرسول (ص) واختلفوا في تحديد السنة التي ولدت فيها . وروي عن الامام محمد الباقر (ع) انها ولدت بعد النبوة بخمس سنين ، اما الامام فقد ولد قبلها بخمس عشرة سنة .

صفاتها :

كانت فاطمة كالشمس تخرج من تحت السحاب ، وكان علي على هيئة الاسد يغلظ من أعضائه ما استغلظ من اعضاء الاسد ، ويدق منها ما استدق ، وكانت فاطمة أشبه الناس خلقا ومنطقا برسول الله . وكان علي باب مدينة علم النبي ، وأخاه المؤاسي له ، وجامع فضائله وشمائله ، ووارث علمه وحكمه . ونشأت فاطمة ودرجت في بيت محمد ، وكذلك علي نشأ وتربى في دار محمد وحجره ، وكانت فاطمة بنت اسد كالام للنبي ، وكذلك كانت خديجة بنت خويلد كالأم لعلي ، وهي في الوقت نفسه أم لفاطمة .

المرأة والرجل :

قال النبي لفاطمة : أي شيء خير للمرأة ؟

قالت : ان لا ترى رجلا ، ولا يراها رجل .

فضمها الى صدره وقال : ذرية بعضها من بعض .

ونحن لا نفهم من جواب سيدة النساء الا الدلالة على حصانتها وعفتها، والا فأي شيء أعظم شرفاً للمرأة واكثر خيراً لها من ان ترى رجلا كعلي وتلد للانسانية الحسن والحسين ؟!

الكفـــاءة :

جاء في كتاب دخائر العقبى للمحب الطبري (من السنة) ص ٣٠ طبعة ١٣٥٦هـ : ان ابا بكر خطب الى النبي فاطمـــة ، فقال له : لم ينزل القضاء بعد ، فخطبها عمر ، فأجابه بما أجاب صاحبه ، ثم خطبها عديـد من كبار قريش ، وكان الجواب واحداً . ونقل السيد محسن الامين في الجزء الثاني من اعيان الشيعة مثل ذلك عن الامام احمد في كتاب الفضائل وعن الواقدي في الجزء الثامن من الطبقات ، وحين خطبها علي قال لـــه النبي : اهلا ومرحباً ، يا علي هذا جبريل يخبرني ان الله زوجك فاطمة .

وروى الشيعة ان النبي (ص) قال : لو لم يخلـق الله علياً ما كان لفاطمة كفء ، واتفق المسلمون جميعاً على ان للرجل ـ مهما سمت مرتبته ـ ان يتزوج بمن هي دونه شرفا ونسبا . واختلفوا في المرأة : هل لها ان تتزوج بمن هو دونها او لا ؟ اي انهم اتفقوا على ان المرأة لا يشـترط كفاءتها للرجل ، واختلفوا في كفاءة الرجل للمرأة .

قال الحنفية والشافعية والحنابلة : الكفاءة شرط .

وقال الامامية والمالكية : كلا ، ليست بشرط .

اذن ما رواه الشيعة عن النبي من انه لولا علي لم يكن لفاطمة كفء يتنافى مع قولهم بان الكفاءة في الزواج ليست بشرط . وايضا لا يتفق مع قوله تعالى : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وقول الرسول . « لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى » .

الجواب :

ان الشيعة الامامة ارادوا من الكفاءة في باب الزواج كفاءة النسب والمال والمهنة ، وارادوا من كفاءة علي لفاطمة الكفاءة في العظمه والفضائل والتساوي عند الله واليوم الآخر .

وفاطمة سيدة نساء زمانها ، ومن سيدات نساء اهل الجنة ، فقد جاء في كتاب الاستيعاب ، وكتاب المستدرك (للسنة) عن النبي ان سيدات نساء اهل الجنة مريم بنت عمران ، ثم فاطمة بنت محمد ، ثم خديجة بنت خويلد ، ثم آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وجاء في صحيح البخاري ومسلم والترمذي عن النبي انه قال : كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء الا مريم وآسية وخديجة وفاطمة [1] .

واذا كانت فاطمة سيدة النساء فلا كفء لها الا امير المؤمنين سيد الرجال والنساء بعد النبي ، قال ابن عبد البر في الاستيعاب ، وهو يترجم لعلي : ان رسول الله قال لفاطمة : ان زوجك سيداً في الدنيا والآخرة ، وانه لأول اصحابي اسلاماً ، واكثرهم علماً ، واعظمهم حلماً . وعن النبي انه قال لعلي : عاتبني رجال من قريش في امر فاطمة ، وقالوا : خطبناها

---

(١) اعيان الشيعة للامين ج ٢ ص ٥٤٥ الطبعة الثالثة .

اليك فمنعتنا ، وزوجت علياً . فقلت : ما انا منعتكم ، وزوجته ، بل الله منعكم وزوجه فكفاءة علي لفاطمة ليست كفـاءة نسبية فقط ، ولا خلقية فقط ، وانما هي كفاءة سماوية الهيـــة في تعادلهما بالقرآن ، وتساويهما في ميراث النبوة ، وفي الحكمة والهدى والرحمة ، وفي افتراض الولاء والطاعة على الناس اجمعين .

جهـاز فاطمة :

ان الغرض الاول من هذا الفصل هـو وصف الاثاث الذي كان في بيت فاطمة ، وجهاز عرسها ، وما قدمناه كان من باب التمهيد ، وتمنيت لو ان لي قلماً يستطيع التعبير عن ذاك السمو ، وتلك العظمة التي تكمن وراء هـذا الجهاز المتواضع ، وان لي ريشة فنـان بارع تنجدني على التصوير والتوضيح ، اما نفس الجهاز فانقله الكم بالحرف الواحـــد كما تواتر على ألسنة الرواة ، ودوّن في كتب الثقات ، وهذا هو :

قميص .
وخمار لغطاء الرأس .
وثوب له زغب .
وعباءة قصيرة بيضاء .
ومنشفة .
وفرشان : احدهما ليف ، والآخر صوف .
ومخدة ليف .
واربعة متكآت حشوها من نبات الارض .
وسرير من جريد النحل .
وجلد كبش .

وحصير •
وستار من صوف •
وقدح من خشب •
ورحى للطحن •
واناء من نحاس للعجن والغسيل •
وقربتان : كبيرة وصغيرة •
ووعاء من ورق النخل مزفت •
وجرة خضراء وكوزان من خزف •
ومنخل •

ورش الامام ارض الدار برمل ناعم ، ونصب في البيت خشبة من الحائط الى الحائط ، لتعليق الثياب ، اذ لا خزانة ولا صندوق لثياب العرس •

ولو ان النبي زوج فاطمة من رجالات العرب الذين خطبوها اليه لكان جهازها الاول من نوعه في ذلك العصر ، ولكان الحرير والديباج مكان الرمل ، ولكان الابنوس والعاج مكان خشبة الثياب ، وكان الذهب والفضة بدل الفخار وسعف النخل ، وكانت العلالي والقصور ، والخدم والحشم بدل القربة التي استقت بها الزهراء ، حتى اسود صدرها ، وبدل الرحى التي طحنت بها ، حتى تورمت كفها ، ولكن هل السعادة والسكينة والرحمة في القصور الضخمة الفخمة ، او حيث يكون علي ابن ابي طالب امير المؤمنين وامام المتقين وابو الائمة الميامين ؟!

وقديماً قيل : المكان بالمكين ، وقال المجنون لليلاه ، وكل مكان أنت فيه مكاني •

في هذا المكان ، وهذا البيت المتواضع الذي اكثر اثاثه مـــن الخزف كان يبتهج الرسول ويغتبط ، ويجد لنفسه السكينـة والسـعادة والهناء ، ويفيض من قلبه الحب الابوي والحنان على بضعته فاطمة ، وريحانتيه من الدنيا الحسن والحسين ، وعلى اخيه وصهره ووارث علمه وحكمه وشريكه في خصائصه ، ما عدا النبوة •

في هذا البيت الذي ضم آل الرسول ، ودرج فيه الحسنان كان يجلس محمد ، وينعم برؤية الاهل والاولاد ، ويلقي عن كاهله الاتعاب والاوصاب وما لاقاه من الاذى في سبيل دعوته •

في هذا البيت كان يجلس رب العائلة محمد مع عائلته ، عليّ عن يمينه، وفاطمة عن يساره ، والحسن والحسين في حجره يقبل هذا مرة ، وذاك اخرى ، يباركهم ويدعـو لهم ، ويسأل الله ان يـذهب عنهـم الرجس ويطهرهم تطهيراً •

ومن هذا البيت كان يخرج النبي الى السفر ، وبه يبدأ اذا عاد •

في هذا البيت نزل الروح الامين بالوحي من الله على قلب رسول الله وخدم الملائكة فيه سيدي شباب اهل الجنة •

ومن هذا البيت المتواضع شع نور الهداية والاسلام على الناس مدى الاجيال ، وفي القصور الشامخة يولد العهر والفسق ، في البيت الفقيرسبحت الزهراء وبعلها وبنوها بالغدو والآصـــال • قال أنس : قرأ رسول الله : « في بيوت اذن الله ان ترفـــع ويذكر فيها اسمه يسبح فيهـــا بالغدو والآصال » فقام اليه رجل ، وقـــال : اي بيوت هـــذه يا رسول الله ؟ فقال : بيوت الانبياء • فقام اليه ابو بكر ، وقال يا رسول الله هـذا البيت منها ، وأشار الى بيت علي وفاطمة • فقال الرسول : نعم من افضلها •

وفي ذات يوم دخل هذا البيت رسول الله ـ على عادته ـ فوجد علياً وفاطمة يطحنان بالجاروش ، فقال : ايكما أعيا ؟ ـ اي تعب ـ قال علي : فاطمة يا رسول الله • فقال لها : قومي يا بنية • فقامت ، وجلس يطحن مع علي •

واقسم لو خيرت بين الدنيا ، وبين ذرة من هذا الطحين لآثرت هذه الذرة على الكون بما يحويه •

وبعد ، فاين الفقر والعدم ؟! أفي بيت الوحي والنبوة ، حيث الرحى يطحن بها محمد وعلي وفاطمة ، وحيث كوز الفخار يشرب منه الرسول وآله ، وحيث تنزل الملائكة والروح ، أو في قصور الملوك والاغنياء ، حيث الزنا والخمر والفساد ؟!

عاشت فاطمة عند علي ، وهو لا يملك الا قلبه وسيفه ، والا علمه وايمانه ، وكان يسكن في بيت متواضع طحنت فيه فاطمة بالرحى ، حتى تورمت كفها ، واستقت بالقربة حتى اسود صدرها ، وكنست البيت ، حتى اغبرت ثيابها • وعاشت آسية بنت مزاحم عند فرعون صاحب الاهرام والنيل ، وبين الخدم والحشم تأمر وتنهى ، فأيهما كانت اسعد حياة ، واهدأ قلباً وأصفى بالاً في هذه الدنيا ؟!

ولو وجدت اليوم تلك الرحى او القربة او المكنسة لحج اليها اهل الشرق والغرب من المسلمين وغير المسلمين ، ولعادل جزء منها الف نيل ونيل واهرام واهرام •

ومن هنا قال الرسول : « ليست الدنيا من محمد ولا آل محمد » وماذا يصنع محمد وآل محمد بالدنيا ، وقد خلقوا للخير والرحمة والكرامة الدائمة ، خلقوا للهدى الى الله ودين الحق ، وللوجاهة والشفاعة غداً لمن أحبهم وأحبوه •

شجاعة الامام

ان الحديث عن شجاعة عليّ امير المؤمنين ، تماماً كالحديث عن نور الشمس نافلة وفضول ، واذا حاول انسان ان يتحدث عنها فبأي لفظ او ريشة يعبر عن شجاعة من قال فيه الروح الامين وسيد المرسلين : «لاسيف الا ذو الفقار ، ولا فتى الا عليّ » وقال هو عن نفسه : « لو تظاهرت العرب على قتالي ما وليت مدبراً » وقال : ان اكرم الموت هو القتل ، والذي نفس ابن ابي طالب بيده لألف ضربة بالسيف في سبيل الله اهون من ميتة على فراش • والكل يعلم ان اقوال علي تعبير وتطبيق لاقواله •

وما كتب او تحدث احد عن شجاعة علي الا قال بالحرف الواحد : ما فرّ من حرب ، ولا خاف من جيش ، ولا بارز احداً الا قتله او اسره او منّ عليه بعد ان تمكن منه ، ولا ضرب ضربة فاحتاج الى ثانية ، فكل ضرباته بالوتر لا بالشفع ، و «بالفرد لا بالزوج» واذا علا قد ، واذا اعترض قط ، ضرب ابن ود على ساقيه فبراهما مع ما عليهما من الدرع والثياب ، وضرب مرحبا على رأسه ـ وكان عليه مغفر وحجر ثقبه مثل البيضه ـ فقد الحجر والمغفر والرأس ، حتى وقع السيف في اضراسه •

اما مبيته على فراش الرسول ليلة الهجرة فقد اذهل اهل السماء والارض افتخرت عائشة يوما بابيها ، لأنه ثاني اثنين في الغار ، فقال لها احد الاصحاب شتان بين من قيل له : لا تحزن ان الله معنا ، ومن بات على الفراش ،

وهو يرى انه يقتل . وانزل الله فيه ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله .

اما موقفه في بدر فقد قتل من المشركين النصف ، والمسلمون جميعا قتلوا النصف ، وفي الذين قتلهم من يعد بالف ، اما يوم احد فقتل ١٨ ، وجيش النبي بكامله قتل ١٠ ، وفي حنين قتل القائد ابا جرول مع ٣٩ فارساً ، وفي صفين قتل في يوم واحد اكثر من ٥٠٠ ومثل ذلك يوم الجمل والنهروان .

وقيل له : الا تشتري فرساً سابقاً ؟

فقال : لا حاجة لي به ، انا لا افرّ ممن يكرّ ، ولا اكر على من يفر.

ومما قاله القائلون عن شجاعته : انه ما عرف عن بطل في العالم الا كان مغلوبا حينا ، وغالبا حينا ، الا علي فهو الغالب ابدا ودائما ، وهذا من خصائصه ومنها ايضا ، ان العرب يفخرون بأن قريبهم قتل بسيف علي، ويجعلون من هذا دليلا على ان صاحبهم بارز عليا ، وهو الموت الذي لا بد منه .

ومما جاء في شجاعته ، وهو طفل ان أمه فاطمة بنت اسد كانت اذا شدته بالقماط شقه ، فجعلته قماطين فشقهما ، فجعلته ثلاثة من جلد وحرير فلم تجد شيئا ، فاضطرت الى تركه بدون قماط ، وكان ابوه ابو طالب يجمع له اولاده واولاد اخوته ويأمرهم بمصارعته ، فكان علي يحسر عن ذراعيه ، ويصارع الكبير منهم والصغير فيصرعه ، وفي ذات يوم كان يسير مع طفل اكبر منه بسنة ، فما شعر الا والطفل يهوي في البئر على رأسه ، فاسرع علي ، واخذ برجله ، وانقذه .

وكان المفروض بمن يمتلك هذه الشجاعة النادرة الخارقة ان يشمخ

ويستعلي على الآخرين ، وان يحقق المتع والمنافع لنفسه وابنائــــه ، فان الانسان ينساق بطبيعته وراء الملذات والمصالح الشخصية ، بخاصــة اذا استطاع اليها سبيلا ، وعلى الاقل ان لا يعيش عيش الفقراء والبؤســاء • فهل حقق الامام شيئا من ذلك ؟ •

الجواب :

ان هذه الشجاعة على عظمتها تقترن بايمان اعظم ، فالايمان عند الامام هو الحاكم المطلق ، والمسيطر الاوحد على جميع حركاته وسكناته ، امــا العلم والشجاعة ، اما التواضع ، والجاه والسلطان ، اما هــذه وما اليها فليست بشيء في ذاتهــا ، ولا بالقيـاس الى غيرهــا الا اذا كانت اداة ووسيلة لاحقاق الحق ، وابطال الباطــل ، ومن هنـا قال امير المؤمنين : « اغلب الناس من تغلب على هواه » اما من تغلب عليـه الهوى فهـــو الجبان الخاسر ؛ بل الجبان خير منـه وأفضل ، لان الشجاع اذا لم يتق الله يتخذ من الشجاعة اداة للصوصية ، ووسيلة تعينه على الجرائم والمآثم•

لقد كان الامام شجاعاً ، ولكن شجاعته لم تكن لمصلحتـه ومصلحة ابنائه ، وانما كانت الدعامة الاولى للاسلام ، واعلاء كلمته ، كانت قــوة للضعيف ، وعوناً للفقير ، وانصافا للمظلوم مــن الظــالم ، وخيرا للناس اجمعين • فاول موقف من شجاعه الامام كان للدفــاع عــن الرسول ، وكشف الكربات عن وجهه ، واول مظهر من مظاهر جرأته واقدامـه هو الفداء والتضحية بالنفس من اجل الاسلام ونبي الاسلام ، فلقــد تألبت قريش على النبي ، وصممت على قتله حين اعلن دعوة الحق ، ولم يجـد ناصراً الا علياً واباه ، ولما جمعت له الجموع في بـدر واحد والاحزاب كان علي سيف الله على اعدائه ، ولولاه ما قال قائل :

« لا اله الا الله محمد رسول الله » •

نحن نؤمن بأن محمداً (ص) اخرج الناس من ظلمات الشك الى نور اليقين ، ومن عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن ، ومن الجهل الى العلم ، وفي الوقت نفسه نؤمن بأن علياً كان عضده وسيفه ودرعه ووسيلته في كل ما حققه دون استثناء ، ودليلنا على ذلك قول النبي :

علي نفسي وأخي ووزيري وخليفتي ، ووارث علمي ، طاعته طاعتي، ومعصيته معصيتي ، ومن أحبه فقد أحبني ، ومن أبغضه فقد أبغضني •• وهو سيد المسلمين ، وامام المتقين وقائد الغر المحجلين •• وأمير البررة وقاتل الفجرة •• وقال لفاطمة : ان الله اطلع الى أهل الارض فاختار رجلين أباك وبعلك • وقال : من أراد ان ينظر الى آدم في علمه ، والى نوح في تقواه والى ابراهيم في حلمه ، والى موسى في هيبته ، والى عيسى في عبادته فلينظر الى علي بن ابي طالب[1] •

واذا صرفنا النظر عن الآيات والاحاديث ، ورجعنا الى التاريخ رأينا ان تاريخ علي يقترن بتاريخ محمد ، وجهاده بجهاده من اول يوم الى آخر يوم من حياته ، فاذا ذكرت نشأة محمد ذكرت بيت ابي طالب وفاطمة بنت أسد ، واذا ذكرت بعثة محمد ودعوته الى الاسلام ذكرت عليا وأباه ودفاعهما عنه ، وذكرت سبق الامام الى تصديقه والصلاة معه في أول صلاة صلاها الرسول في الاسلام ، واذا ذكرت حصار قريش للنبي في الشعب ذكرت حراسة علي له ، في الليل والنهار ، واذا ذكرت الهجرة ذكرت مبيت علي على الفراش ، واذا ذكرت حروب النبي بكاملها ذكرت عليا في كل موقعة منها ، حتى غزوة تبوك لا بد ان تذكر استخلاف النبي

---

(١) المستدرك والاستيعاب والخصائص للنسائي والمناقب للامام احمد والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي • انظر القسم الاول من الجزء الثالث من كتاب « اعيان الشيعة للسيد محسن الامين » فقد ذكر هذا ومعه اكثر منه من كتب السنة وغيرها •

له على المدينة ، وقولــه : « انت مني بمنزلـــة هــارون من موسى » واذا ذكرت ذرية الرسول وبيت الرسول ذكرت عليا وفاطمة والحسن والحسين، واذا ذكرت وفاته ذكرت انه انتقل الى ربه ، ورأسه في حجر علي ، وانه هو الذي غسله وجهزه وصلى عليه .

ومن هنا قال المنصفون : ان عليا شريك محمد في كل ما تحقق لدين الله من انتصار على الكافرين والمعاندين ، ومن انتشار الاسلام في شــــرق الارض وغربها .

وغريبة الغرائب ان يقول جاهل متحامل : ان الشيعة يحجون الى قبر علي ، وانه لشرك بالله !..

ونقول له : ان الشيعة يحرمون الحج الى غير بيت الله في مكة المكرمة ولكنهم يزورون قبر الامام كما يزورون قبر النبي ، لأن كلا منهما وهب نفسه لله ، وجــاهد لتثبيت دينه وانتشاره في الخافقين ، فزيارة قبر علي تقديس للاسلام ، واكبار للدين ، واجلال لمحمد ، وزيارة لقبره بالذات ، فاذا كان القصد الى قبر علي والتبرك به وتعظيمه حرام وبدعة فكذلـــك القصد الى قبر النبي وزيارته وتعظيمه حرام وبدعة ايضاً .

جود الامام

ان الحديث عن جود الامام وسخائه يعرف من الحديث عن زهده واعراضه عن الدنيا ومتاعها ، لأن من تبين العلل استطاع ان يتنبأ بمعلولاتها ، فان النواة يكمن فيها ما تنتجه من نبات •

ومع هذا فانا نذكر شذرات من أقواله ، وأمثلة من افعاله في هذا الباب ، قال :

* البخل جامع لمساوىء العيوب ، وهو زمام يقاد به الى كل سوء •
* الكرم أعطف من الرحم •
* من أيقن بالخلف جاد بالعطية •
* لا يجتمع شح وايمان في قلب ابداً •
* المهلكات ثلاث : شح مطاع ، وهوس متبع ، واعجاب المرء بنفسه •
* البخل عار ، والجبن منقصة ، والفقر يخرس الفطن عن حجته ، والمقل غريب في بلدته •
* البخيل كالخنزير لا ينتفع به الا بعد موته • حيث يصبح طعاماً للكلاب والوحوش •

ورأى عذرة على مزبلة ، فقال : هذا ما بخل به الباخلون •

ومن كانت الاموال عنده كالفضلات والجيف على المزابل فهو أجل واسمى من ان يقال بانه كريم وجواد بالمعنى المعروف بين الناس .. وهل يقال كريم لمن بات على فراش الرسول وفداه بنفسه ؟ كلا ، انه ملاك لا يهتم الا بالله ، ولا يُقبل على احد سواه .

وقد بلغ من جوده انه كان يحارب مشركا ، فقال له المشرك : هبني سيفك . فرمى به اليه ، فقال له : عجبا ، أفي مثل هذه الساعة تدفع الي سيفك ؟! .. فقال له : انك سألت ، وما كنت لأرد سائلاً .

وقال الشعبي : كان علي أسخى الناس ، ما قال لا لسائل قط .

وعن ابي الطفيل انه قال : رأيت عليا يدعو اليتامى ، فيطعمهم العسل ، حتى قال بعض اصحابه : وددت اني كنت يتيماً . واوقف الامام جميع املاكه على الفقراء والمساكين ، وكان غلتها في السنة اربعين الف دينار ، وكان يسقي النخل بيده لبعض اليهود باجر زهيد ، ويتصدق به على المحتاجين .

وروى الرازي عن ابن عباس في تفسيره الكبير ان هذه الآية : « الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية ـ **١٧٥** البقرة » نزلت في علي ، ونقل هذا صاحب دلائل الصدق عن الواحدي في كتاب « اسباب النزول » وعن السيوطي في كتاب « الدر المنثور » اما نزول هل اتى .. ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيراً ، في علي وفاطمة والحسن والحسين فاشهر من ان يذكر(١) وليس بعد ثناء الله قول لقائل .

ومما استدل به الامامية على افضلية الامام انه كان اسخى الناس بعد رسول الله (ص) وانه اشتهر بالسخاء الى حد الجأ معاوية الى الاعتراف

---

(١) انظر تفسير البيضاوي ، والنيسابوري ، والبغوي ، والثعلبي ، والدر المنثور للسيوطي ، وتفسير الرازي نقلا عن الواحدي .

والقول بأنه لو ملك بيتا من تبر ، وبيتا من تبن لأنفد تبره قبل تبنه ، ولا شيء بعد الايمان بالله افضل من السخاء ، فقد جاء في الحديث ان النبي (ص) همّ بقتل احد المشركين ، فاوحى الله اليه ان يعفو عنه ، لأنه كريم يطعم الطعام ، ولما علم المشرك بذلك اسلم وشهد الشهادتين ، وهذا الحديث يوحي الينا بان سجية الكرم محبوبة لدى الله سبحانه ، ولو كانت من جاحد كافر ، وروي ان حاتما لا يدخل الجنة لكفره ، ولا يعذب في النار لكرمه ، وقال الامام الرضا : ان الكريم قريب من الجنة ، قريب من الله ، قريب من الناس ، والبخيل بعيد عن الجنة ، بعيد عن الله ، بعيد عن الناس •

وبالتالي ، فنحن حين نتكلم عن جود الامام وشجاعته وزهده وعلمه فلا نضيف وصفا الى وصف ، كما يضاف الواحد الى الاثنين ، وانما نتكلم عن خصائص عظمته ، وآثار شخصيته التي هي المصدر الاول لكل فضيلة ومكرمة ، فاذا اردنا ان نذكر الفضائل بكاملها ذكرنا اسم علي بن ابي طالب وكفى ، لأنه هو الفضائل ، تماماً كالشمس التي يغني ذكرها عن ذكر النور لأنها هي النور •

دنيا علي

لباسه :

كان لباس علي يتألف من ثلاثة اثواب : (١) القميص الى فوق الكعب (٢) الازار الى نصف الساق (٣) المدرعة • وهي ثوب من صوف • وكان ثمن لباسه كاملاً ديناراً واحداً •

وقال الامام ؛ « والله لقد رقعت مدرعتي هذه ، حتى استحييت من راقعها • وقال لي قائل : الا تنبذها ؟! فقلت له : اغرب عني ، فعند الصباح يحمد القوى السرى » •

قيل : وكان راقع المدرعة ولده الحسن ، وكان يرقعها بجلد تارة ، وبليف أخرى • اما حذاؤه فمن ليف ، وكان يصلحه بيده ، وقال له آخر : بدّل ثوبك هذا • فقال له : وأي ثوب استر منه للعورة ؟! وقال له ثالث مثل ذلك • فأجابه الامام : هذا أبعد لي عن الكبر ، وأجدر أن يقتدي به المسلم • وعن احياء العلوم للغزالي كان علي بن أبي طالب يمتنع من بيت المال حتى يبيع سيفه • ولا يكون له الا قميص واحد ، لا يجد غيره في وقت الغسل ، وقال علي مرة : من يشتري سيفي هذا ، فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكروب عن وجه رسول الله ، فو الله لو كان عندي ثمن ازار ما بعته • وقال لأهل البصرة : ماذا تنقمون مني ؟ ان هذا من غزل اهلي ، واشار الى قميصه •

وعن الامام الباقر ان امير المؤمنين ذهب مع قنبر الى سوق البزازين ، وطلب من رجل يبيع الملابس ان يبيعه ثوبين ، فقال له : يا أمير المؤمنين عندي حاجتك ، ولما ايقن الامام ان الرجل يعرفه تركه ومضى ، وأبى أن يشتري منه خشية أن يتساهل في الثمن ، ثم وقف على غلام واشترى منه ثوبين : احدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين ، وبعد ان قبض الغلام الثمن جاء ابوه ، وعرف الامام ، فقال له : يا مولاي ان ابني لا يعرفك ، وهذان درهمان ربحهما منك . فقال له : ما كنت لأفعل لقد اتفقنا مع ولدك على رضى .

واعطى الامام الثوب الذي بثلاثة دراهم لقنبر ، وأبقى الذي بدرهمين لنفسه ، فقال قنبر : انت اولى به مني ، انك تصعد المنبر ، وتخطب الناس . فقال له : وأنت شاب ، ولك شره الشباب ، وانا استحيي من ربي ان اتفضل عليك ، سمعت رسول الله يقول : البسوهم مما تلبسون ، واطعموهم مما تأكلون .

ومن أقواله : ان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعامه بقرصيه ، وجاء في وصفه : يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشب ، الله اكبر !.. علي خليفة المسلمين في العراق وفارس والحجاز واليمن ومصر ، يبيع سيفه ليشتري ازاراً بدرهمين ! .. علي والدنيا في يده يتصرف فيها كيف شاء ، ومتى شاء يكتفي منها بطمرين وقرصين !.. اجل ، لقد اكتفى علي بطمريه من هذه الدنيا ، ولكنه لم يكتف من الفضائل والمناقب الا بكاملها وأكملها ، فلقد ضم ذلك المئزر البالي شريك التنزيل ، ومستودع التأويل ، وقسيم الجنة والنار ، وسيد الكونين ، وحجة الله على خلقه بعد الرسول الاعظم .

وهل يهتم الامام بالملابس ، وهو القائل : قيمة كل امريء ما يحسن!؟

وهل تدل مفاخر الثياب على العظمة والقداسة ؟! قال الامام يصف دخول موسى وهارون على فرعون :

« ولقد دخل موسى بن عمران ، ومعه اخوه هارون (ع) على فرعون ، وعليهما مدارع الصوف ، وبأيديهما العصي ، فشرطا له انْ اسلم بقاء ملكه ، ودوام عزه فقال : ألا تعجبون من هذين يشترطان لي دوام العز وبقاء الملك ، وهما بما ترون من حال الفقر والذل !؟
فهلا القي عليهما أساورة من ذهب !؟. اعظاماً للذهب وجمعه ، واحتقاراً للصوف ولبسه » .

هذا منطق من استحوذ عليه الشيطان ، وكان له قرينا ، يزدري الفضيلة واهلها ، ويقدر اصحاب المال والجاه !.

جاء رجل موسر الى رسول الله ، وكان نقي الثوب ، فجلس الى جنبه ، ثم جاء رجل معسر درن الثوب ، فجلس الى جنب الرجل الموسر ، فقبض الموسر ثيابه وضمها ، فقال له النبي : أخفت ان يمسك من فقره شيء ؟! قال : لا . قال : أخفت ان يوسخ ثوبك ؟! قال : لا . قال فما حملك على ما صنعت ؟! . فقال : يا رسول الله ان لي قرينا يزين لي كل قبيح ويقبح لي كل حسن ، وقد جعلت لهذا الرجل نصف ما أملك . فقال الرسول للمعسر : أتقبل ؟ قال : لا . فقال له الرجل الموسر : ولماذا ؟! فقال : اخاف ان يدخلني ما دخلك ويزين لي الشيطان ما زين لك .

طعامه :

دخل عليه بعض اصحابه ، فوجد بين يديه اناء فيه لبن تفوح منه رائحة الحموضة ، وفي يده رغيف ظهر فيه قشار الشعير ، وهو يكسره

بيده ، ويطرح الكسر في اللبن ، فقال له الامام : ادن واصب من طعامنا . فامتنع الرجل ، وقال لفضة خادم الامام الا تتقون الله في هذا الشيخ ؟! ألا تنخلون هذا الطعام من النخالة ؟. قالت : امر ان لا ننخل له طعاماً .

وعن الامام الصادق انه اهدي الى امير المؤمنين طست من فالوذج ، وكان في نفر من اصحابه ، فقال مدوا أيديكم ، فمدوها ومد يده الشريفة ، ثم رفعها ، فقالوا له : امرتنا ان نمد يدنا ، ففعلنا ، ومددت يدك ، ثم قبضتها ؟.. فقال : ذكرت ان رسول الله (ص) لم يأكله ، فكرهت اكله .

وذكر صاحب سفينة البحار في مادة « كبد » عن كتاب مصباح الانوار ان امير المؤمنين عليا اشتهى كبدا مشويا في خبزة لينة ، فذكر ذلك لولده الحسن ، فصنعها له ، وكان صائما ، فلما اراد ان يفطر قدمها اليه ، وما ان مد يده حتى وقف سائل على الباب ، فقال : يا بني احملها اليه .

ولو صدر هذا الايثار من غير علي لتعجبنا ، وبحثنا عن سببه ، اما وقد صدر عن الذي يرجح ايمانه على السموات السبع ، والارضين السبع [1] فلا عجب ، وانما العجب ان لا يصدر منه ذلك .

واذا تنافس المتنافسون من اهل الجهالة والضلالة على المآكل والمشارب

---

(١) جاء في كتاب الرياض النضرة للمحب الطبري من السنة ج٢ ص ٣٠٠ طبعة ١٠٥٣ عن عمر بن الخطاب انه قال : اشهد على رسول الله لسمعته يقول : لو ان السموات السبع والارضين السبع وضعت في كفة ، ووضع ايمان علي في كفة لرجح ايمان علي .

وتكالبوا على الجاه والمال وتسابقوا الى اقتناء السيارات الحديثة الفارهة ، وبناء العمارات الضخمة ، فان اولياء الله واصفياءه يتسابقون الى مرضاة الله وثوابه ، ويتأسون بموسى وعيسى ومحمد ، فلقد جاء في بعض خطب نهج البلاغة :

« لقد كان في رسول الله (ص) كاف لك في الاسوة •• اذ قبضت عنه اطرافها ، ووطئت لغيره اكنافها ••

وان شئت ثنيت بموسى كليم الله (ص) اذ يقول : رب لما انزلت الي من خير فقير ، والله ما سأله الا خبزاً يأكله ، لانه كان يأكل بقلة الارض •• وان شئت ثلثت بداود صاحب المزامير وقارىء اهل الجنة ، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ، ويقول لجلسائه : ايكم يكفيني بيعها ، ويأكل قرص الشعير من ثمنها •• وان شئت قلت في عيسى بن مريم (ص) فلقد كان يتوسد الحجر ، ويلبس الخشن ، ويأكل الجشب ، وكان ادامه الجوع ، وسراجه بالليل القمر ، وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها ، وفاكهته وريحانه ما تنبت الارض للبهائم ، ولم تكن له زوجة تفتنه ، ولا ولد يحزنه ، ولا مال يلفته ، ولا مطمع يذله ، دابته رجلاه ، وخادمه يداه » •

تأسى علي بمحمد وموسى وعيسى ، لأنه من هذا البيت ، بيت الرحمة، ومن هذه الشجرة ، شجرة النبوة ، اما ابناء الدنيا فقد ساروا بسيرة ابن العاص الذي باع دينه بولاية مصر وخراجها لمن بايع وتابع وشايع الشيطان ، قال الامام « الدنيا جيفة ، فمن أراد منها شيئاً فليصبر على مخالطة الكلاب » • ولذا لفظها الامام لفظ النواة ، وكانت عنده احقر من حذائه ومن ورقة في فم جرادة •

قال الاستاذ العقاد في آخر كتاب « عبقرية الامام » : اما معيشة علي

في بيته بين زوجاته وابنائه نمعيشة الزهد والكفاف ، واوجز ما يقال فيها : انه كان يتفق له ان يطحن لنفسه ، وان يأكل الخبز اليابس الذي يكسره على ركبته ، وان يلبس الرداء الذي يرعد فيه ، وان احداً من رعاياه لم يمت عن نصيب اقل من النصيب الذي مات عنه ، وهو خليفة المسلمين » .

بيتــه :

حين بنى رسول الله المسجد في المدينة بنى حوله عشرة بيوت : تسعة منها لازواجه ، وعاشرهـا لعلي وفاطمة ، وكان في وسط البيوت ، وكان يسكنه مدة وجوده في المدينة ، ثم سكنه من بعده اولاده واحفاده الى ايام عبد الملك بن مروان ، فاغتاض من وجوده ، واراد ان يهدمه محتجاً بتوسيع المسجد ، وكان فيه الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، فطلبوا ان يخرج منه ، فقال : لا اخرج ، ولا امكن من هدمـه ، فضرب بالسياط ، واخرج قهراً عنه ، وهدم الدار ، وزيد في المسجد .

ولما بويع الامام بالخلافة ، وانتقـل الى الكوفة « ابى ان ينزل القصر الابيض المعروف بقصر الامارة ايثاراً للخصاص التي يسكنها الفقراء ، ولم يبن آجرة على آجرة ، ولا لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة »[1] .

ان علياً لا يهتم بالقصر الابيض ولا بغيره بعد ان قال له النبي : انت معي في قصري في الجنة ، كما ذكر الامام احمد في المناقب ، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٢ ص **٢٧٧** ، وقال في الصفحة المذكورة قال رسول الله : الجنة تشتاق الى ثلاثة : علي وعمار وسلمان ، وقال في صفحة **٢٧٩** : قال رسول الله : ان الله اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلا ، وان قصري في الجنة وقصر ابراهيم متقابلان ، وقصر عليّ بن ابي طالب بين قصري

(١) عبقرية الامام للعقاد ، واسد الغابة لابن الاثير .

وقصر ابراهيم ، فياله من حبيب بين خليلين !•• وقال اي المحب الطبري في صفحة ٢٨٠ : قال رسول الله : يا علي معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض • اخرجه الطبراني •

بيت المـال :

قال ابن عبد البر في كتاب « الاستيعاب » : كان علي يقسم ما في بيت المال بين المسلمين ، ثم يأمر بكنسه فيكنس ، ثم يصلي فيه رجاء ان يشهد له يوم القيامة ، واتاه مال من اصبهان قسمه سبعة اسباع ، ووجد فيه رغيفا ، قسمه سبع كسر ، وجعل على كل قسم كسرة •

وفي « حلية الاولياء » لابي نعيم ان ابن النباج قال له : يا امير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء ، اتت من الخارج ، فقال : الله اكبر !•• علي بالناس ، فنودي فيهم ، ولما أقبلوا فرق جميع ما في بيت المال ، وهو يقول : يا صفراء ويا بيضاء غري غيري •

كان يفرق المال ، حتى لا يبقى منه درهم ولا دينار ، ثم يحمل المسحاة ، ويعمل في الارض ، فيستنبط العيون ، ويقفها في سبيل الله • وفي ذات يوم وصل مال الصدقة مساء ، فقال لمن حضر : اقسموه • فقالوا : أمسينا • أخره الى غد • فقال : من يضمن بقائي الى غد • وقيل له : اعط من هذه الاموال الذين يخشى منهم ، ويفرون الى معاوية فقال : أتأمروني ان اطلب النصر بالجور ، اما خبره من مع ابنته ام كلثوم حين استعارت العقد من بيت المال لتلبسه يوم العيد ، فمعروف ذكره جميع المؤرخين من السنة والشيعة •

والذي تبين معنا من سيرة علي في الحكم ان له نظرة خاصة الى مهمة

الامام والحاكم ، وان وظيفته لا تنحصر بحفظ الحدود ، واقرار النظام ، وفرض الانضباط على الناس ، ولا بحفظ الدين والشريعة واقامة الفرائض فقط ، بل هناك مسؤولية اخرى تقع على عاتق الراعي ، وهي الاهتمام بحاجة المحتاجين ، وعوز المعوزين • فان عجز عن سد هذا العوز ، وحالت الظروف والاوضاع الراهنة دونه وجب عليه ان يقدر نفسه بأدنى افراد الرعية ؛ وأكثرهم فاقة ، ليشعر كل بائس ومحتاج بأنه أصبح في ذمة الراعي ، وان الراعي مسؤول امام الله والناس عن مظالم البائسين وآلامهم ، وان لهم الحق كل الحق ان يسألوه ويحاسبوه اذا استطاع ، ولم يفعل ، او عجز ولكن استأثر عليهم ، ولو بحبة خردل ، تماماً كما يحاسب رب العائلة اتجاه أهله واولاده ، وقد جاء في الحديث الشريف : ان السلطان العادل كالوالد رحيم •

وكلام امير المؤمنين صريح في ذلك ، فمن كتاب له الى عثمان بن حنيف عامله على البصرة : « ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات ان يغلبني هواي ، ويقودني جشني الى تخير الاطعمة ، ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له بالقرص ، ولا عهد له بالشبع ، او أبيت مبطانا ، وحولي بطون غرثى ، وأكباد حرى ! او أكون كما قال القائل :

وحسبك داء ان تبيت ببطنه   وحولك أكباد تحن الى القد

أأقنع من نفسي بأن يقال : امير المؤمنين ، ولا أشاركهم في مكاره الدهر ؟! • »

واذا لم يقدر الحاكم نفسه بضعفة الناس من رعيته فقد تجاوز حده ، وخان مهمته ، واصبحوا في حل من بيعته ، وجاز لهم الخروج على حكمه وسلطته •

ان المفكرين في هذا العصر يرون ان على الدولة ان تضمن لكل واحد من رعاياها الحد الادنى من العيش ، وان تسلك كل سبيل وتتعاون مع كل هيئة ودولة تمدها بالعون لتحقيق هذه الغاية ، وبديهة ان العلم في عهد الامام لم يبلغ المرحلة التي بلغها الآن ، كي يحاول العمل على تطبيق هذه الفكرة ، فلم يبق بالامكان الا تقسيم الخراج بالسويه ، وتقدير نفسه باضعف الافراد •

ومن مظاهر عدل الامام ولطفه بالرعية انه كان يأخذ الضريبة من اهل كل صناعة من صناعتهم وعملهم ، ولا يحتم عليهم الدفع نقداً ، فيأخذ الابر من صانع الابر • وكذا المال والخيوط والحبال ، وما الى ذلك •

وبالاختصار ان مبدأ الامام في الحكم يبتني على اساس شعور الراعي بالمسؤولية تجاه رعيته ، سواء في ذلك العامل ورب العمل ، والتاجر والمستهلك والقادر والعاجز ، وهذا المبدأ ديني اسلامي مستقل بذاته ، ولا صلة له بأي نظام من الانظمة المعروفة بالاشتراكية او الشيوعية او الرأسمالية •

صلاة الامام

ان صلاتنا أشبه بمركب يتألف من كلمات وحركات ، ولا هدف لنا من ورائها الا ان نؤدي عملاً فرضه علينا الدين ، قال النبي (ص) : اقرأوا « كذا » ثم اركعوا واسجدوا ، ففعلنا كما أمر ، ورفعنا الايدي بالتكبير مفتتحين به « الصلاة » وختمناها بالسلام والتحيات علينا وعلى العباد الصالحين ، وهذا كل شيء .

وأي فرق بين صلاتنا هذه ، وبين من يعبد الله باضاءة الشموع ؟ وقد يخشع البعض في صلاته ، ويتجه بها الى الله سبحانه ، اما ان يشعر بانه واقف امام الله ، وبين يديه شعور من رأى بالعين ، ولمس باليد ، فلم نعهده الا من الائمة الاطهار والصفوة من أتباعهم ، لأنهم يعرفون الذي يقفون بين يديه معرفة لا ستر دونها ولا حجاب .

قال ابان بن تغلب للامام جعفر الصادق : اني رأيت علي بن الحسين اذا قام في الصلاة تغير لونه . فقال الامام : والله ان علي بن الحسين كان يعرف من يقوم بين يديه .

وكل انسان اذا رأى عظيماً ملكته الرهبة والدهشة ، واستولى عليه الخوف والجزع . رأى اعرابي رسول الله ، فاهتز من أعماقه ، فقال له :

هون عليك ، انا ابن امرأة كانت تأكل القديد . وقـال صاحب سفينة البحار في مادة « هيب » : ان فاطمة بنت رسول الله قالت : دخلت عـلى ابي ، فما استطعت ان أكلمه من هيبتـه ، وان علياً قـال : دخلت على رسول الله وكانت له هيبة وجلال ، فلما قعـدت بين يديـه أفحمت ، فو الله ما استطعت ان أتكلم .

علي على شجاعته وجرأته يهاب الرسول ، وهو منه بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة[1] وفاطمة تهاب اباها ، وهي بضعته ، وقد اعتـادت عطفته وحنانه ، وما ذاك الا لجلال النبوة ، وهيبة الرسالة ، وقـد روى الرواة ان امرأة أسقطت حملها من هيبة عمر بن الخطاب .

والسبب الوحيد لهذا الخوف هو علم الخائف بعظمة من خافه وهاب منه ، قال بعض المؤلفين : « ان الخوف هو العـلم وصدق المشاهـدة ، فان أعطي العبد حقيقة العلم ، وصدق اليقـين ، سمي خائفـاً » ، ولا أحد أعـلم بالله من أمير المؤمنين الذي قـال : لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً ، وقـال : اعبد الله كأنك تراه ، وقال له قائـل : هـل رأيت ربك ؟ فقال لم أعبد رباً لم أره .

واذا عرفت ان الخوف هو المعرفة ، او ملازم له بنص الآية ٢٨ من فاطر : « انما يخشى الله من عباده العلماء » عرفت صحـة ما روي مـن ان الامام كان في بعض عباداته ومناجاته يغشى عليه حتى يظن انه قـد فارق الحياة ، وهذا الغشيان العميق لا يتنافى مع قوله مخاطباً ربه عز وجل :

---

(١) قال امير المؤمنين في خطبته المعروفة بالقاصعة : « ولقد علمتـم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره ، وانا ولد يضمني الى صدره ، ويكنفني الى فراشه ، ويشمني جسده ، ويشمني عرقه ــ أي رائحته ــ ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنه ، وما وجد لي كذبة في قول ؛ ولا خطلة في فعل .

« ما عبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً في جنتك ، ولكن وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك » لانه ليس خوفاً من العقاب ، بل خشوعاً لهيبة الجلال ، وعلماً بعظمة المبدع ، وشكراً لنعمة المنعم .

وجا في الحديث ان النبي (ص) كان اذا قام للصلاة تربد وجهه خوفاً من الله ، وكان لصدره أزيز كأزيز المرجل ، وفي حديث آخر : كأنه الثوب الملقى ، وفي حديث ثالث عن عائشة : كان رسول الله يحدثنا ونحدثه ، فاذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ، ولم نعرفه .

وعلم علي بالله سبحانه تماما كعلم النبي لا يختلف عنه في شيء ، ومن هنا كانت حالتهما في الصلاة واحدة ، وقد تواتر الحديث ان محمداً وعلياً وخديجة اول من صلى في الاسلام ، قال ابو نعيم في حلية الاولياء : « ان قوله تعالى : واركعوا مع الراكعين نزلت في رسول الله وعلي خاصة ، وهما أول من صلى وركع » وفي سنن ابن ماجة وتفسير الثعلبي ان عليا صلى مع النبي مستخفياً سبع سنين واشهراً ، وفي تاريخ الطبري ان عليا قال : انا عبد الله وأخو رسول الله ، وانا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي الا كاذب مفتر ، صليت مع رسول الله سبع سنين[1] .

وقال المحب الطبري في كتاب « الرياض النظرة » ج ٢ ص ٢٠٨ وما بعدها طبعة ١٩٥٣ :

« قال ابن عباس : لعلي اربع خصال ليست لا حد غيره ، وذكر منها انه اول عربي وعجمي صلى مع رسول الله .. وان عفيف الكندي قال : كنت امرءاً تاجراً ، فقدمت الحج ، فأتيت العباس بن عبدالمطلب ،

---

(١) انظر كتاب « مناقب آل ابي طالب » ص٢٤٧ وما بعدها طبعة ايران لمحمد ابن شهراشوب توفي سنة ٥٨٨هـ ، ودفن في ظاهر حلب فقد نقل الشيء الكثير في هذا الباب عن كتب السنة .

فو الله اني عنده بمنى اذ خرج رجل من خباء قريب ، وقام يصلي ، ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء تصلت خلفه ، ثم خرج غلام فقام معه يصلي . فقلت للعباس : ما هذا ؟ قال : هذا محمد وامرأته خديجة وابن عمه علي . فقلت ما الذي يصنعون ؟ قال ان محمداً يزعم انه نبي ، ولم يتبعه أحد الا امرأته وابن عمه . وأسلم عفيف بعد ذلك . وكان يقول آسفاً متحرقاً : لو كان رزقني الاسلام يومذاك فأكون ثانيا مع علي بن ابي طالب »[1] .

واهدي الى رسول الله ناقتان سمينتان ، فقال لاصحابه : من يصلي ركعتين لا يهتم بشيء من امر الدنيا ، ولا يحدث قلبه بفكر من افكارها اهديه احدى الناقتين ، فلم يجرأ احد الا الامام ، فقال له : انا يارسول الله فقال له : قم وصل . فصلى الامام وحين التشهد خطر له أن يأخذ احسن الناقتين ، فينحرها ويتصدق بها لوجه الله ، وحين انتهى الامام من الصلاة اخبر النبي بذلك ، فقال له : هذا الفكر لله والآخرة ، لا للدنيا ونفسك ، وأعطاه الناقتين ، فنحرهما وأطعمهما المعوزين .

قال العلامة الحلي في كتاب « نهج الحق » :

« بلغ في العبادة انه كان يؤخذ النشاب من جسده عند الصلاة ، لانقطاع نظره عن غير الله تعالى بالكلية ، وكان مولانا زين يصلي في اليوم والليلة الف ركعة ، ويدعو بصحيفة ، ثم يرمي بها كالمتضجر ، ويقول : أنى لي بعبادة علي ؟! وقال الامام الكاظم : ان قوله تعالى : « تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود »

(١) نقل هذا باللفظ تارة وبالمعنى اخرى الطبري في تاريخه ، والثعلبي في تفسيره ، وابو يعلي الموصلي في مسنده ، وابن الاثير في اسد الغابة والنسائي في خصائصه والحاكم في مستدركه ، وابن عبد البر في الاستيعاب وغيرهم وغيرهم .

نزلت في امير المؤمنين ، وكان في صفين مشتغلاً بالحرب ، وهو بين الصفين يراقب الشمس ، فقال ابن عباس : ليس هذا وقت صلاة ، ان عندنا لشغلا. فقال علي : فعلام نقاتلهم ؟ انما نقاتلهم على الصلاة » .

واستشهد الامام في فجر الجمعة ، وهو قائم يصلي بـين يدي الله في مسجد الكوفة ، فجاء آخر حياته كأولها : ولد يوم الجمعة ، واستشهد يوم الجمعة ، واستقبل الحياة في الكعبة المشرفة حيث ولدته فيها امه ، وسقط على الارض وهو ساجد ، وضربه ابن ملجم ، وهو ساجد لله في بيت الله . ولم تكن هذه الكرامة لاحد قبله ، ولن تكون لانسان من بعده .

ولدته في حرم الاله وامنه	والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة	طابت وطاب وليدها والمولد
ما لف في خرق القوابل مثله	الا ابن آمنـة النبي محمـد

الامام والتنبؤات العلمية

ذكرت أحاديث وشواهد كثيرة على علم الامام في صفحات متفرقة من هذا الكتاب ، حسبما تطلبته المناسبات ، وتكلمت عن ذلك مطولاً في كتاب « علي والقرآن » بعنوان « المغيبات » . لذا لم يكن من قصدي الكلام عن علمه في فصل مستقل . وحين باشرت بطبع الكتاب شعرت بالحاجة الى كتابة هذا الفصل ، ذلك ان للامام تنبؤات تحتاج الى التفسير والتعليل .

لقد ذكر اصحاب التاريخ والسير تنبؤات كثيرة للامام ، ولكنهم لم يفرقوا بين أسبابها وأنواعها ، واعتبروها جميعاً من باب واحد ، وخلطوا بين معرفة الامام التي مصدرها القرآن الكريم ، والرسول العظيم ، وهي التي لا ترتقي العقول الى ادراكها مهما كانت درجتها من السمو ، لأنها غريبة عن الفكر ، ولا تتصل بأي شيء غير الوحي والغيب ، خلطوا بين هذه المعرفة ، وبين المعرفة التي مصدرها عظمة الامام وفكره الصافي النقي الذي سبق عصر التقدم ، واتفق مع حضارتنا ، ومع كل حضارة يصنعها الانسان ، ولو بعد الف عام .

لقد وثق علي بالانسان بعد ان نظر اليه من خلال النزعات الوقتية العارضة ، وبعد ان عرف ما في طبيعته من قوى الخير ، والغرائز التي تؤهله لأن يسخر الكون بكامله ويجعله أطوع له من بنانه . قال في تحديد الانسان : « الانسان يشارك السبع الشداد » ، ومعنى هذا ان موهبته لا

تقف عند حد الوضع الذي هو فيه ، بل تتعداه الى ما هو أرفع وأسمى بل والى مشاركة القمر والزهرة والمريخ وسائر الكواكب •

ولم يكتف الامام بهذا الاجمال ، فقد ضرب أمثلة على تقدم الانسان ورقيه ، فقال على لسان حفيده الامام جعفر الصادق : « يأتي على الناس زمان يسمع ويرى من في المشرق من في المغرب » ، اشار الى الراديو والتلفزيون • وقال مشيراً الى تقدم العلم في حقل الزراعة : سيأكل الانسان ثمرة الصيف في الشتاء ، وتحمل الشجرة مرتين في سنة واحدة ، وينتج الصاع مئة صاع • وقال عن المواصلات : تكون السنة كالشهر ، والشهر كالاسبوع ، والاسبوع كاليوم ، واليوم كالساعة • وقال : من العلماء من يضع علمه عند ذوي الثروة والشرف تماماً كعلماء هذا العصر الذين يستعبدهم أصحاب المؤسسات الحربية والاحتكارية حتى أصبحوا كجزء منها • وقال : ستزيد الخيرات ، حتى تصبح كالتراب ، وحتى تستوي الارزاق بين الناس ، ويكون الجميع على أحسن حال ، وفي أمن وأمان لا يظلم احد احداً ، ولا يخاف شيء من شيء ، ولا يراق محجمة دم[1] ولا غرابة في ذلك ما دام يمثل امنية الناس ، ورغبة كل انسان ؟؟ بل لقد تحققت انتصارات كثيرة للحق والحرية والسلم والتقدم العلمي ، اذن سيتحرر العلماء من رجال السياسة ، وتجار الحروب وتصدق نبوءة الامام في الأمن والأمان وعيش الهناء للجميع ، كما صدقت في غيرها ، لان من أصاب في معرفة الاسباب يصيب في معرفة النتائج لا محالة •

ان لعظمة الامام مظاهر شتى تجلت في زهده وتضحيته ، وفي صلابته

---

(١) تكلمت عن ذلك مطولا في كتاب « علي والقرآن » ، وذكرت المصادر التي يرجع تاريخها الى مئات السنين وبعضها الى اكثر من الف سنة •

في دينه وعقيدته ، وفي شجاعته وبطولته ، وفي صبره وسيطرته على نفسه ، وفي علومه ومعارفه ، وقد تجلت هذه العظمة باظهر معانيها في ثقته بالانسان ، وبتعبير أصح ، في ثقته بعلم الانسان ، لأن الانسان لولا العلم لكان تراباً يتحرك ، لا فرق بينه وبين سائر الحيوانات .

ومن اقواله في تقدير العلم كفى العلم شرفاً ان يدعيه من لا يحسنه ، ويفرح اذا نسب اليه من ليس من اهله ، وكفى بالجهل خمولا ان يتبرأ منه من هو فيه ، ويغضب اذا نسب اليه . وقال : العلم اكثر من ان يحصى .. ما حوى العلم جميعاً احد ولو مارسه الف سنة .. اعلم الناس من جمع علوم الناس الى علمه . وبعد علي بقرون ادرك المفكرون هذه الحقيقة ، وتبادلوا المعلومات ، وعقدوا المعاهدات الثقافية . وقال : لو جمعت الدنيا في لقمة واحدة . واعطيت لطالب العلم لكانت دون حقه . ومن هنا رأينا الدول في الشعوب المتقدمة تفضل العلماء ، وتقدمهم على جميع الفئات بعكس الدول المتخلفة التي تعظم الجهال من اهل الثراء والانساب ، ومحال ان يحس هذا الاحساس العميق بعظمة العلم الا « من كان في صدره علم جم .. والا من فتح له الف باب من علم ما كان ويكون .. والا من كان عنده اصدق العلوم وفصل الخطاب » .

وآية الاعجاز في عظمة الامام ان يقدر العلم هذا التقدير ، ويخبر عن نتائجه وثمراته التي تحصل بعد مئات السنين ، وهو يعيش في عصر أبعد ما يكون من الوعي والعلم ، في عصر لا شيء فيه غير الوثنية والبداوة .

وقال يصف الارض : انشأ الارض فامسكها من غير اشتغال ، وأرساها على غير قرار ، وأقامها بغير قوائم ، ورفعها بغير دعائم . قال هذا حين كان الناس يعتقدون انها قائمة على قرن الثور ، ولم يدركوا هذه الحقيقة الا بعد مئات السنين .

قرأت فيما قرأت كتيبا جديدا ، اسمه «النشاط العملي» اشاد فيه المؤلف بالتجربة ، وجعلها السبيل الوحيد لتقدم العلوم ، ومضي الانسان في طريق الاختبار والعمل المثمر ، لأن العالم اذا حدثت له فكرة ، وامتحن صحتها بالتجربة ، تولد من تجربته فكرة ثانية لم تكن في حسبانه ، ولدى امتحان الثانية تتولد الثالثة ، وهكذا الى ما لا نهاية ، وقد لخص الامام هذه الحقيقة بقوله : « في التجارب علم مستأنف » اي ان التجربة ليست سببا للعلم ، وكفى ، بل تنتقل بصاحبها من علم الى علم ، واذا حصر الفلاسفة التجريبيون سبب المعرفة بالتجربة فان الامام قد ربط بين النظريات الحديثة وبين التجارب ، وهذا ما اثبته الحس والعيان •

وبالتالي ، فلا مصدر لهذه الافكار الا اشعاع العقل الذي تغلب على المحيط والبيئة ، ولا اثر فيه لشيء الا ذات الامام ، وعظمته التي تخطت حدود الزمان والمكان • ان علي بن ابي طالب لم يسبق عصره فحسب ، بل وعصرنا ايضا ، ان عصر علي هو العصر الذي يكون الانتاج فيه كالماء والهواء ، هو العصر الذي لا ظلم فيه ، ولا استعمار ولا اقطاع ولا جوع ولا جهل ، ولا شيء يكدر صفو الحياة في شرق الارض وغربها •

الحمزة اسد الله واسد رسوله

قبل البعثة :

نزل الوحي على رسول الله (ص) بعد ان بلغ سن الاربعين ، وامضى حياته قبل البعثة بين قوم مشركين يعبدون الاصنام ، تسيطر عليهم اخلاق الجاهلية الجهلاء وعاداتهم ، ولكن محمد رفض بفطرته الاعتراف بآلهتهم منذ حداثته ، وسمى باخلاقه عن اخلاقهم وبعاداته عن عاداتهم ، بل جاهر ببغضه واعراضه عن اللات والعزى ، قال له بعض المشركين : اسألك بحق اللات والعزى الا اخبرتني عما اسألك . فقال له : لا تسألني باللات والعزى ، فو الله ما بغضت شيئا بغضهما . وكان بينه وبين رجل نزاع على شيء فقال له الرجل : احلف باللات والعزى . فقال له : ما حلفت بهما قط ، واني اعرض عنهما .

وتركه المشركون وشأنه ، ولم يضايقوه في شيء ، فلم يطلبوا منه ان يسجد لصنم ، او يضحي له ، او يحضر معهم الاحتفالات الدينية ، بل احترموه واكرموه ، واسموه الصادق الامين ، واحتكموا اليه في بعض خصوماتهم ، وبعد ان نزل عليه الوحي عارضوه وحاربوه ، ذلك انه لم يتركهم وشأنهم ، كما تركوه وشأنه ، بل لعنهم ولعن آباءهم وآلهتهم ، ووصفهم بالصم البكم وقال فيهم : أنتم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم .

وقد يتساءل : لماذا لم يترك النبي المشركين ودينهم كما تركوه من قبل ؟ • ثم كيف يقول لهم : انتم الضالون المضلون ، وانا وحدي الصالح المصلح ، وهو يعلم بان فيهم العدة والعدد ، ولهم الحول والطول ، وهو فقير اعزل ؟•

الجواب :

ان محمد (ص) صاحب رسالة الهية ، ومبادىء انسانية يبغي تنفيذها والعمل بها بكل ثمن ، فهو مكلف من الله سبحانه بأن ينقل الناس من الضلال ، ويهديهم سواء السبيل ، ويحملهم على الحق والعدل ، ويطهرهم من الشرك والجهل والفساد ، ولو سكت واعتزلهم وما يعبدون لكان عابدا كغيره من العباد ، فقد دعاهم النبي الى الحق ، وهو على يقين انهم سيغضبون ويثورون ، ويحاولون القضاء على حياته بكل سبيل ، ولكنه لم يعبأ لانه على يقين من أمره أجل ، ان دعوته قد أثارت الحروب واراقت الدماء ، وكلفته حياة عمه الحمزة وابن عمه جعفر الطيار ومئات المخلصين من اصحابه ، ومع ذلك فان دينه دين الرحمة والسلام ، والامن والامان ، فلقد دعاهم الى الله بالحسنى ، فاصروا على الضلال ، ودعوه بدورهم الى السكوت ، فاصر على دعوته ، ولما عجزوا عن اقناعه واستسلامه اعلنوا عليه الحرب •

ولماذا يسكت عن الباطل ؟ • أحبا بالسلم وحقنا للدماء ؟• وهل في مسالمة الظلم واهله ، والفساد ومعدنه شيء من الخير ؟ وهل كل سلم مرغوب فيه ، حتى ولو ادى الى استبداد الطاغية بالجماعات ، وانتهاك الحرمات ؟ • وليس من شك ان في حقن الدماء خيرا كثيرا ، ولكن على ان لا يؤدي الى ما هو اشد ضررا ، واسوأ اثرا ، لقد طلب المشركون

السكوت من الرسول ثمنا لسكوتهم عنه ، ولكن هـذا السكوت مسالمـة للشيطان والطغيان ، لذا اصر النبي عـلى دعوة الحق ، دون ان يعلـن الحرب ويشهر السلاح ، فاعلنها عليه اعداء الحق ، وشهروا في وجهـه السلاح ، متقبلها صابرا محتسبا ، وقد ازعجهم هذا الصبر والثبات الذي حقق له النصر والغلبة في نهاية المطاف •

بعد البعثة :

لم يستطع المشركون ان يعتدوا على حياة النبي ، وابو طالب حي ، فتعمدوا أذاه ، والاساءة اليه ، وصده عن اداء رسالتـه بشتى الوسـائل غير القتل ، منها انه كان يصلي يوما في حرم الله ، فقـام رجـلان عـن يمينه يصفران ، ورجلان عن يساره يصفقان ، ومنها انهم ألقوا عليـه الفرث والدم ، ومنها انهم كانوا يغرون به صغارهم وسفاءهم ، يرمونـه بالحجار ، وهو مار في طريقه ، فكان يخرج معه عليا ، ليردهـم عنه • ومن الطريف ان ابا جهل رأى النبي يصلي عند المقام فقال له : ألم أنهك عن هذا ؟ وتوعده • وفي كل عصر يوجد اناس على مبـدأ ابي جهل يرون امرهم وانهيهم فوق امر الله ونهيه ، وهم لا يشعرون •

ولأبي جهل مع النبي مواقف كثيرة ، فقـد كان مولعا بأذاه والنيل منه • من تلك المواقف ان النبي كـان جالسا عنـد الصفا، فلمـا لقيه ابو جهل اسمعه بعض ما يكره ، فانصرف النبي ولم يكلمـه ، وكـان الحمزة بن عبدالمطلب في الصيد ، وحين عاد من قنصـه متوشحا سيفه ، لقيته امرأة ، واخبرته بما كان من ابي جهل ، وقالت له : يا ابا عمـارة لو رأيت ما لقي ابن اخيك منه • فامتلأ الحمزة غضبا ، وانطلق مسـرعا يبحث عن ابي جهل ، فوجده جالسا بين قومـه ، فأقبـل نحوه ، حتى

اذا قام على رأسه رفع القوس وضربه بها ، نشجه شجة منكرة ، وقال له : رد علي ان استطعت ، فتقبلها ابو جهل صاغرا ، ولم يحرك ساكنا .

قال محمد حسين هيكل في كتاب « منزل الوحي » ص ٥٦٣ الطبعة الثانية :

« ولا يقولن احد ان النعرة العصبية او العزة العربية هي التي دعت الحمزة الى ما صنع .. لكنه الايمان امتثلت به نفس الحمزة هو الذي دفعه الى ما صنع ، وهل مثل الحمزة في بسالته واستهانته بالموت من يقول لأبي جهل ، وهو من هو من مكانة في قومه بعد ان شجه لسبه محمداً : أتسبه وانا على دينه أقول ما يقول ، الا ان يكون صادق الايمان ، بلغ من امتثال قلبه رسالة الله الى نبيه ألا يطيق التعريض به ؟ . ومن يومئذ وهب الحمزة حياته لله والمدفاع عن دينه ، لانه أيقن ان هذا الدين هو المثل الاعلى الذي توهب الحياة في سبيله » .

بابي طالب شيخ الابطح ، وبعلي سيف الله ، وبالحمزة اسد الله واسد رسوله ، كفى الله نبيه كيد المشركين في مكة ، وهزمت الوثنية وانتصر الاسلام ، والعجب العجاب انه لم يذكر في كتب السنة ، ولا في غيرها ان أحداً ناصر الرسول في هذا الدور غير علي وأبيه وعمه الحمزة ، ومع ذلك يقول من يدعي الاسلام : ان ابا طالب مات كافرا ، وان فلانا افضل من علي والحمزة ؟ . ولا بدع ذن الذين يقدرون الكفاح في سبيل الله هم اهل المعرفة والتقوى ، اما اهل الجهل والهوس فبينهم وبين الحق حجاب .

وقد يقول من لا يرى ابعد من انفه : ان موقف ابي طالب وابنه واخيه في هذه الفترة من حياة النبي ليس شيئا ذا بال ، اما العارف المنصف ، اما الذي يقدر الاشياء حق قدرها ، وينظر الى آثارها ونتائجها

فيرى ان موقفهم يومئذ مع الرسول كان حجر الأساس لصرح الاسلام وحياته وانتشاره ، ان الاشياء لا تقاس بلحظات حدوثها المحدودة ، بل بآثارها من البداية الى النهاية ، وحماية أبي طالب للنبي ، ومحافظته على حياته تمتد آثارها حيث يمتد الاسلام ، وتبقى ببقائه الى يوم الله الذي لا اله سواه .

من هو الحمزة ؟

لما افتدى عبدالمطلب ابنه عبدالله بمئة من الابل فكر في تزويجه ، وكان عبد المطلب يومئذ في السبعين من عمره ، فخرج بعبد الله ، حتى اتى به منزل بني زهرة ، وخطب آمنة بنت وهب الى ابيها زوجة لابنه عبد الله ، وخطب ابنة عمها هالة زوجة لنفسه ، وولدت آمنة محمداً ، وولدت هالة الحمزة ، وارضعتهما مرضعة واحدة ، فالحمزة عم النبي واخوه من الرضاعة ، وشب محمد يهيئه الله لما اراد من رسالته ، وشب الحمزة فتى ابيا قويا رضي الخلق ، وسيم الطلعة ، مفتول العضل ، محبا للقنص يخرج في الفلاة فاذا عاد من الصيد لم يرجع الى اهله ، حتى يطوف بالكعبة ، ثم لم يمر على ناد من قريش الا وقف وسلم ، وتحدث مع من فيه ، وكانوا جميعا يحبونه ويهابونه أن كان اعز قريش واشدها شكيمة »[1] .

وفي ذات يوم ، والنبي جالس في بعض الدور مع المسلمين ، ومن بينهم الحمزة ، واذا بالباب يطرق ، فقام احد الجالسين ، ونظر ثم عاد ، وهو يقول : هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف ، ولم يكن قد اسلم بعد .

(١) منزل الوحي لمحمد حسين هيكل .

فقال الحمزة : ائذن له ، فان اراد خيرا بذلناه له ، وان اراد شرا قتلناه بسيفه • ولما هاجر النبي الى المدينة ، وآخى فيها بين المهاجرين والانصار آخى بين الحمزة وزيد بن حارثة مولى رسول الله •

وفي كتاب « ذخائر العقبى » للمحب الطبري ص ١٧٦ طبعة ١٣٥٦هـ ان النبي قال : « والذي نفسي بيده انه مكتوب عند الله عز وجل في اسماء السابعة حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله •• خير اعمامي حمزة •• سيد الشهداء يوم القيامة حمزة » • وكان حمزة أول من بعثه النبي على رأس اول سرية قامت من المدينة لمناوأة قريش ، فقد عقد له النبي الراية على ثلاثين فارسا من المهاجرين •

ويوم بدر خرج عتبة بن ربيعة بين اخيه شيبة وابنه الوليد ، فخرج اليهم الحمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، فقتل الحمزة شيبة، وقتل علي الوليد ، ثم اعانا عبيدة على قتل عتبة ، وغاص الحمزة في قلب المعركة يقلب اليمين على الشمال ، يقط الرقاب ، ويطيح بالرؤوس • وفعل يوم أحد كما فعل يوم بدر ، وكان يمسك سيفا بيمينه ، وآخر بيساره ، وقتل فيمن قتل سباع بن عبد العزى ، وارطاة بن شرحبيل ، وانه لفي الغمار يقتل مقبلا ومدبرا اذ عثر عثرة فوقع على ظهره ، وانكشف درعه عن بطنه ، فانتهز وحشي الفرصة ، فرماه بحربة فوقعت في ثنته ، وخرجت من بين رجليه ، واقبلت هند ام معاوية وجدة يزيد ، فجدعت انفه ، وقطعت اذنيه ، وشقت بطنه ، واخرجت كبده تمضغها وتلوكها تشفيا ، وارادت ان تبتلعها فلم تستطع ، وجاء زوجها ابو سفيان وضرب شدق الحمزة بزج الرمح ، واقتدى يزيد بجده حين رأى رأس

الحسين (ع) ، ولله در الشاعر الكبير الاستاذ بولس سلامة حيث يصف هذا الموقف المخزي من أبي سفيان وزوجته هند :

اعملت ذئبة النساء بكبد الليـ ث نابا لعل تشفي الغليلا
فرت الكبد من فم العهر فر البكر من غاصب لتبقى بتولا
ندعيها لمدود اطهر نفساً منك يا هند واتركي المأكولا
زوجك الذئب ليس ارفع خلقاً والخسيس المرذول يهوى الرذيلا
شامتاً مر بالشهيد طروباً كالعريس السكير عب الشمولا
طاعنا بالقتيل شدق قتيل صار شيئاً مهشماً مجهولا
يرهب الهر زبدة الليث حياً ويباهي بنهشه مقتولا
اوليس السرحان جد يزيد اورث الولد طبعه في الهيولى

وان هذه الظاهرة من ابي سفيان وزوجته هند ، ومن حفيده يزيد من بعده تعطي ضوءاً ساطعاً على روح الامويين وطبيعتهم ومقاصدهم • قد يوجد في العرب لصوص وقتلة ومجرمون ، اما هذه الخسة والضعة ، اما هذه القسوة والغلظة فنادرة جدا الا في امية وشيعة امية •

وبالتالي ، فأين الذين يتغنون بأمية وعروبتها وامجادها عن هذه المخازي والاوباء ؟! • اين هم عن هذه الحقارة والنذالة والحقد والضغينة ؟! ولماذا يبررون ، بل يفخرون باعمال الفجار والاشرار ؟! ولماذا لا يدرسون التاريخ ، ويواجهون الحقائق بتجرد ؟! ومحال ان تكون آراؤنا على صواب في تفسير التاريخ وغيره اذا آمنا بها مسبقا وقبل البحث والنظر ، كما فعل الحفناوي ومحب الدين الخطيب والجبهان واضرابهم ، اما نحن فقد درسنا القرآن والسنة والكتاب ، وآمنا ايمانا عن فهم وعلم بأن طعنة ابي

سفيان لأسد الله واسد رسوله هي طعنة للاسلام بالذات ، وان حماية ابي طالب للنبي هي حمايـة للاســـلام بالذات ، وان من والى أبا ســـفيان او عده من المسلمين المتقين ، وعادى ابا طالب ، او أخرجه من زمـــرة الاسلام فهو عـدو لله ورسوله وجميع الانبيــاء والمرسلين وملائكة الله المقربين [1] .

---

(١) كان للحمزة ولدان عمارة ويعلي ، ولم يعقب عمارة ، ورزق يعلي خمسة أولاد ذكور ماتوا كلهم من غير عقب (ذخائر العقبى للمحب الطبري) وفي الجزء السادس من البحار ان اعمام النبي تسعة : الحرث والزبـير وابو طالب والحمزة والغيداق وضرار والمقوم وابو لهب والعباس ، ولم يعقب منهم الا اربعة : الحرث وابو طالب والعباس وابو لهب ويقوى في الظن ان ابناء الحرث والعباس وابي لهب قد نسبوا انفسهم الى الحسن والحسين لينالوا شرف النسبة الى الرسول ، والا فأين هم الان ، وغير بعيد ان يكونوا مـع هؤلاء السادة الكثر الذين يدعون بكاملهم الانتساب الى خاتم الانبياء (ص) .

الغـدر

حب السلطة :

مهما اختلف المسلمون ، وتعددت فرقهم ومذاهبهم فانهم متفقون كلمة واحدة على اتباع القرآن ، وما ثبت عن الرسول الاعظم (ص) وانهما الحجة القاطعة لكل حجة ، وأن أي عالم مهما سمت مكانته لا يؤخذ كدليل ، بل يطالب هو بالدليل على اقواله ، وينظر اليها كدعوى تحتاج الى بينة ، اما القرآن وسنة الرسول فكل منهما دليل قاطع ، وحجة بالغة بنفسها .

ويحاول اليوم رجال من السنة والشيعة ان يحصروا الاختلاف بين المسلمين في تفسير لفظ او صحة سند ، ومثل هذا الاختلاف حاصل بين الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ، وبين فقهاء الشيعة ايضا بعضهم مع بعض ، وعليه يكون الاختلاف عرضيا لا جوهريا ، وفي الفروع لا في الاصول .

ويصح هذا القول لو كانت الاختلافات كلها من نوع ما حصل في تفسير الآية ٦ من سورة المائدة « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم ، وارجلكم الى الكعبين » ؛ حيث اوجب

الشيعة مسح الارجل عطفا على الرؤوس ، وأوجب السنة غسلها عطفا على الايدي ، اما اذا كان الاختلاف من نوع آخر ، كالذي وقع في تفسير لفظة الولاية من الحديث المتواتر : « من كنت مولاه فعلي مولاه » حيث ذهب السنة في تفسير الولاية الى انها الحب والمودة ، وذهب الشيعة الى انها الحكم والسلطان ، اما اذا كان الاختلاف من هذا النوع فهو جوهري لا عرضي ، وفي اللباب لا في القشور .

وعلى أية حال ، فان الاهم ان نبحث عن الاسباب والدوافع التي بعثت « اولئك » على تفسير لفظ الولاية بالحب لا بالحكم وتفسير لفظ الوصي من قول النبي لعلي : « انت وصي » بالوصاية بالعلم والهداية ، او بالتجهيز والصلاة ، وتفسير لفظ : « انت خليفتي » بأنه الخليفة الرابع لا الاول ، وتفسير « انت مني بمنزلة هارون من موسى » بأنه ارضاء لعلي وتطييب لقلبه .

والذي يظهر للباحث المتأمل ان السبب الاول لهذا التكلف والتعسف، هو الظلم والبغي على امير المؤمنين ، ولو انصفوه وابقوا اللفظ على دلالته الظاهرة لكان المسلمون جميعا على ما كانوا عليه في عهد الرسول امة واحدة الى يوم يبعثون ، ولكنهم حرفوا كلام الله والرسول عن مواضعه ظلماً وعدواناً ، فتفرقوا من جراء هذا التحريف شيعا واحزابا ، قال تعالى في الآية ١٣ من سورة الشورى : « وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم » . قال الرازي في تفسيره الكبير : « ما تفرقوا الا من بعد ما علموا أن الفرقة ضلالة ، ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وطلب الرئاسة » .
وكلنا يعلم ان الذين طلبوا الرئاسة هم الذين ترأسوا بالفعل ، أما علي

فقد سكت خشية أن يتسع الخرق ، وتكلمنا عن ذلك مفصلا في كتاب « الشيعة والحاكمون » وقد دل تاريخ علي وسيرته ان الدنيا عنده احقر من ورقة في فم جرادة تقضمها ، واهون عليه من رماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، ومن أجل هذا اختاره الله والرسول للخلافة ، وانتخبته الطبيعة لهذا المنصب ، لأن من يحرس حقوق الناس ونصيبهم من هذه الحياة يجب ان يكون منزهاً عن اغراضها واهوائها ، بل معصوماً عن ذنوبها واخطائها ، تماما كعلي بن ابي طالب ، أما الذين اغتصبوا هذا الحق الالهي الطبيعي ، فهم الذين تكالبوا على حب السلطة ، وآثروها على طاعة الله والرسول ، ومزقوا من اجلها المسلمين شر تمزيق ، وتركوهم يعانون ادواء هذه التفرقة الى اليوم ، والى آخر يوم .

قال رسل الفيلسوف الانكليزي الشهير المعاصر : « لا نكون على صواب في تفسير التاريخ القديم منه والحديث على السواء الا حين ندرك ان السبب الكامن وراء النشاطات المهمة في امور المجتمع انما هو حب السلطة » ومن أجل حب السلطة غدروا بعلي ، ومن غدرهم هذا تولدت الاحداث المهمة في العالم الاسلامي ، قال الحاكم في المستدرك : ان النبي قال لعلي ان الامة ستغدر بك بعدي .. وقال له ايضاً : ستلقى بعدي جهدا [1] .

بين القرآن الكريم ان السبب لتفريق كلمة المسلمين هو الظلم والبغي ، وفسر الحديث النبوي هذا البغي بالغدر بعلي ، فالنتيجة الحتمية ان الغدر بعلي كان السبب لشتات المسلمين فرقا واحزابا .

---

(١) انظر دلائل الصدق للمظفر ـ ج ٣ ص ٤٨ ، واعيان الشيعة للامين ـ ج٣ للقسم الاول ص١٠٦ طبعة ثالثة ، والكتابان ينقلان عن كتب السنة .

التحذير من العواقب :

وقد ادرك هذه الحقيقة ، واعلنها ، وحذر من عواقبها الصحابي الجليل عمار بن ياسر ، فقال حين بويع عثمان : « يا معشر قريش اذا أردتم أن لا يختلف المسلمون فولوا عليا •• يامعشر قريش ان تصرفوا هـذا الامر عن بيت نبيكم ، وتحولوه ها هنا مرة ، وها هنـــا مرة فمـــا انا بآمن ان ينزعه الله منكم ، ويضعه في غيركم ، كما نزعتموه من اهله ، ووضعتموه في غير اهله » (١)

وصدقت نبوءة ابي اليقظان ، فتنـــازع المسلمون فيما بينهم ، وفشـــلوا وذهبت ريحهم وهيبتهم ، ثم انتزع السلطان الترك والديـــلم من قريش ، وانتزعه الافرنج من الترك والديلم ، وضربت الذلة على المسلمين ، والسبب الاول والاخير اغتصاب الحق من اهله ، ووضعه في غير محله •

ومن الخير ان ننقل حواراً بين المقداد بن الاسود الكندي ، وبـــين عبدالله بن ربيعـــة بن المغيرة يوم بويع عثمان ، لانـــه يلقي ضوءا ساطعا على هذه الحقيقة ، قال المقداد لقريش : اذا بايعتم علياً سـمعنا وأطعنا ، واذا بايعتم عثمان سمعنا وعصينا •

فقال عبدالله : اذا بايعتم عثمان سمعنا واطعنـــا ، واذا بايعتم عليـــاً سمعنا وعصينا •

ويدلنا هذا الحوار على ان الصراع بين قريش وعلي كان صراعا بين مصالح الارستقراطيات التي يمثلها عثمان ، ومصالح الجماعات التي يمثلها

---

(١) العقد الفريد ج٥ ص٢٩ طبعة سنة ١٩٥٢ • والكشكول فيما جرى على آل الرسول ص١٦٨ •

علي ، صراع بين قريش التي تريد الحكم لحماية مصالحها وامتيازاتها ، وبين مصالح المسلمين طلاب الحق والعدل ، ولم تجد قريش في اخلاق علي ما تتذرع به لابعاده عن الحكم ، فكل صفاتــه تؤهله لأمرة المؤمنين ، فجاهرت علنا بهذا العــداء ، تارة على لسان هشام بن المغيرة الذي قــال لعمار بن ياسر حين دعا الى مبايعــة الامـام : « مـا انت وثارات قريش لانفسها »[1] واخرى على لسان الخليفة الثاني .

قال عمر لابن عباس : ما أظن صاحبك الا مظلوما .

قال ابن عباس : ما يمنعك من رد ظلامته ؟! .

قال عمر : ان القوم استصغروا سنه ..

قال ابن عباس : ولـكن الله لم يستصغر سنه حين أمره أن يأخذ سورة براءة من ابي بكر .

قال عمر : ان قريشاً تبغضه .

قال ابن عباس : على من نقمت قريش ؟ هل نقمت على الله ، وقـد امر نبيه بقتالها ، ام على النبي حين امر علياً بقتالها ، ام على علي حـين اطاع الله والرسول ؟! .

فالتفت عمر الى ابن عباس ومشى[2]

اعترف الخليفة الثاني بأن قريشاً تبغض عليـاً ، ولم يشر الى سبب هذا البغض ، فصارحه ابن عباس بأن نقمــة قريش على الامــام الذي قاتلها على الاســلام ، تمامـا كنقمتها على النبي الــذي قاتلها بأمر الله عز وجل على الاسلام ، نقموا على علي ، لا لشيء الا لأنــه أرادهــم

---

(١) كتاب « الكشكول فيما جرى على آل للرسول » لحيدر الحسيني الاملي ص ١٦٨ .

«٢» المصدر السابق ص ١٧١ .

للحق والعدل والخير العام ، وأرادوه للاطماع والسلب والنهب ، فمن اقواله في نهج البلاغة : « اني اريدكم لله ، وانتم تريدونني لأنفسكم ، أيها الناس أعينوني على أنفسكم ، ولأيم الله لانصفن المظلوم من ظالميه ، ولاقودن الظالم بخزامته ، حتى اورده منهل الحق ، وان كان كارها » .

وقال النبي (ص) « علي يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الظلمة » وليس من شك أن معاوية أظهر افراد الظلمة لانه اشترى دين الرجال وضمائرهم ، ليولد ملكه ، ويمهد لولده يزيد . نقل الحاكم في المستدرك عن أبي قيس الاودي انه قال : « ادركت الناس ثلاث طبقات : أهل دين يحبون علياً ، وأهل دنيا يحبون معاوية ، وخوارج » وما زال اهل الدين والحق حتى اليوم يحبون علياً ، ويكرهون معاوية ، وسيبقى علي محلا للتقديس والتعظيم ، ومعاوية محلا للاحتقار والهوان الى آخر يوم .

سفينة النجاة :

جاء في الحديث أن رسول الله اخبر علياً بما يلقى بعده ، فقال له علي : ادعو الله أن يقبضني اليه . فقال : يا علي تسألني ان ادعو الله لأجل مؤجل وتواترت الاحاديث من السنة والشيعة على ان النبي اخبر بجميع ما تحدثه الامة من بعده حادثة حادثة ، بخاصة ما وقع على أهله ، وبين انهم سفينة النجاة ، والفارق بين الحق والباطل ، وبين حزب الله وحزب الشيطان ، نقل المظفر في الجزء الثاني من كتاب دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٨ عن كتب السنة ان النبي قال : « ستكون فتنة ، فمن ادركها فعليه بالقرآن وعلي بن أبي طالب ... انه أول من آمن بي ، وأول من يصافحني ، وهو فاروق هذه الامة ويعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة ، وهو الصديق الاكبر ، وهو خليفتي من بعدي » وفي القسم الثاني من الجزء الثالث من أعيان الشيعة للامين ص ١٠٦ طبعة

ثالثة : « ان الحاكم في مستدرك ، والسيوطي في الدر المنثور قالا : ان النبي حين نزلت هذه الآية : « انما أنت منذر ، ولكل قوم هاد » وضع يده على صدر علي ، وقال : « أنا المنذر وأنت الهادي ، يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي » .

ولم يكتف النبي بهذا الحديث ، بل ذكر جميع ما جرى على أهل بيته من بعده حادثة حادثة ، ونبه على انهم الحق في جميع الحالات ، وان المعتدي عليهم هو الآثم الظالم ، قال للزبير : لتقاتلن علياً ، وانت له ظالم ، ونهى عائشة عن الخروج ، وذكرها بالجمل الاحمر وكلاب حوأب ، وقال مشيراً الى القاسطين والمارقين والناكثين الذين حاربوا علياً : « حرب علي حربي ، وسلمه سلمي » وعبر عن معاوية ومن معه بالفئة الباغية ، وعلم أن ابن آكلة الاكباد سيسب علياً ، فقال : من سب علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله ، بل اسس قاعدة كلية ، واصلا عاملا بقوله : « يا علي لا يحبك الا مؤمن ، ولا يبغضك الا منافق » حيث جعل حب علي معياراً في قياس الايمان ، وبغضه معياراً في قياس النفاق ، وفي أحاديث أخر : « علي مع الحق والحق مع علي .. علي مع القرآن والقرآن مع علي .. علي مني ، وانا من علي وهو ولي كل مؤمن من بعدي » وما الى ذلك من النصوص الصحيحة الثابتة عند السنة والشيعة .

ومن اعاجيب المزاعم والتمحلات أن يقول قائل بأن معاوية أجتهد في شق عصا المسلمين والخروج على أمير المؤمنين ، وسبه على المنابر !..

الجواب :

اولا : انه اجتهاد في قبال النص ، فان قول الرسول : الحق مع

علي يدور معه كيفما دار ، وقوله : لا يبغضك الا منافق ، وقوله : حرب علي حربي لا يقبل التأويل والتفسير ، ومخالفته نفاق وفساد لا تأويل واجتهاد • ثم هل اجتهد معاوية في دس السم بالعسل ، واغتيال الحسن والاشتر وعبد الرحمن بن خالد ؟! وهل اجتهد في الحاق زياد بابي سفيان ، والنبي يقول : للعاهر الحجر !؟ ومن هنا قال الفقهاء : ان زياد اول دعي في الاسلام • وهل اجتهد في الاحتيال على عبد الله بن سلام وحرمانه من زوجته ؟! وهل اجتهد في اعطاء مصر واهلها لابن العاص طعمة ؟! وهل اجتهد في شراء ضمائر الناس ودينهم ليبايعوا ولده يزيد الكافر الفاجر ؟! واذا اجتهد معاوية وتأول في كل ذلك فابو جهل وأبو لهب وسائر المشركين الذين حاربوا الرسول في بدر وأحد والاحزاب اجتهدوا وتأولوا !••

ثانيا : ان الذين اعتذروا عن معاوية قد صرحوا في كتبهم الفقهية بانه لا يجوز الخروج على الحاكم الجائر ، بل يجب الصبر على جوره حقنا للدماء ، ومع ذلك فقد اجازوا لمعاوية ان يخرج على الامام العادل ، حتى قُتل بسبب فتنته سبعون الفا او اكثر في حرب صفين ، وعليه وحده تقع اوزار دمائهم وتبعاتهم • قال عبد الرحمن بن الجوزي في كتاب « صيد الخاطر » ص ٣٨٥ : لا يختلف العلماء ان عليا رضي الله عنه لم يقاتل أحدا الا والحق مع علي كيف وقد قال رسول الله (ص) : « اللهم أدر الحق معه كيفما دار » •

واختم هذا الفصل بكلمة للامام عثرت عليها ، وأنا ابحث وانقب في المصادر ، وهي « ما اختلفت امة بعد نبيها الا ظهر أهل باطلها على اهل حقها الا ما شاء الله » •

واذا سألني سائل عن السر والحكمة لظهور الاشرار على الاخيار في مثل هذه الحال فلا جواب لدي الا أن أقول : « الله اعلم » مع الايمان بحكمة الخالق عز وجل . واذا كنت على يقين من عقل رجل وتدبيره ، ثم رأيته يهدم داره بعد أن اتم بناءها ، فليس لك أن تقول بانه مجنون ، وانت تجهل سر البناء والهدم ، فان الحكيم لا يعبث ، وان غابت عنك حكمته .

نهج البلاغة

قال اعداء محمد (ص) وجاحدو رسالته ونبوته : ان القرآن من وضعه، لا من وحي الخالق جل وعلا .

وقال اعداء علي وجاحدو امامته وولايته : ان نهج البلاغة ـ كله او جله ـ من تأليف الشريف الرضي ، لا من أقوال الامام (ع) .

الجواب :

ان كتاب نهج البلاغة يختلف عن هذه الكتب التي يضع المؤلف تصميمها ، ثم يباشر بالتأليف والكتابة ، انه مجموعة من الخطب والحكم والمواعظ قالها الامام تبعا للظروف والمناسبات ، فمنها ما كان اجوبة عن اسئلة ، ومنها خطاب لاهل العراق الذين قاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين ، ومنها في عظمة الاسلام ونبيه ، ومنها وصايا لارحامه وأصحابه ، ومنها في وصف الجنة والنار ، ومنها نفثة مصدور ، الى غير ذلك [1] .

فهل تتبع الشريف الرضي كل هذه الحوادث والمناسبات ، وأحصاها

---

(١) جاء في آخر مقدمة الامام محمد عبده : « جمع الكتاب ما يمكن ان يعرض للكاتب والخاطب من اغراض الكلام ، فيه الترغيب والتنفير ، والسياسات ، والجدليات ، والحقوق واصول المدنية وقواعد العدالة ، والنصائح والمواعظ ، فلا يطلب الطالب طلبة الا ويرى فيه افضلها ، ولا تختلج فكرة الا وجد فيه اكملها .

حادثة حادثة ، ووضع لكل منها خطبة تلائمهـــا !!• وكيف استطاع ان يتقمص روح الامام التي يستحيل على انسان ان يجاريها او يقلدها ، لانها روح النبي بالذات ؟! كيف استطاع ان يتجـاوب مع الـذات العلويـــة باحساسها ومشاعرها ، ويرسم شخصيتها وعظمتها ، من قريب وبعيد ؟! كيف استطاع ان يجرد من نفسه بابا لعلم مدينة الرسول ، وللنبـــأ العظيم الذي شغل وسيشغل الناس اجيالا واجيالا •

ان كل كلمة من كلمات نهج البلاغة تعكس في وضوح روح الامام وعلمه وعظمته في دينه وجميع صفات الجلال والكمال ، ولو لم يحمل نهج البلاغة اسم الامـام ، ثم قرأه عارف بسـيرته وشخصيتـــه لا يتردد في القول بانه كلام الامام من ألفه الى يائه [٢] •

ومما تذرع به الزاعمون بان نهج البلاغـــة كله او بعضه مدسوس ومنحول ، ان فيه معاني واصطلاحات كلامية وفلسفية ، مع ان الفلسفة كانت مجهولة عند المسلمين في عهد الامام ! ••

الجواب :

ان في القرآن قضايا علمية وفلسفية وتشريعية لم تعرفها العرب في عهد النبي ولا قبله ، وقد استدل علماء الكلام وفلاسفة المسلمين بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية في كثير من الموضوعات الفلسفيـــة التي تكلموا عنها ؛ فهل هذه الآيات والاحاديث منحولة مدسوسة ؟! وهل من الضروري اذا

---

(٢) قال الاستاذ الهنداوي في كتاب « مع الامام علي » ص٢٠٠ : « لانكاد نرى كتابا انفرد بقطعات مختلفة يجمعها سلك واحد من الشخصية الواحدة والاسلوب الواحد ، كما نراه في نهج البلاغة ، لذلك نقرر ونكرر ان النهج لا يمكن ان يكون الا لشخص واحد نفخ فيه نفس واحد » •

اتفق قول مع قول ان يكون احدهما مصدرا للاخر ؟! • وقد اثبت علماء الغرب والشرق من غير المسلمين بان القرآن والسنّة هما المصدر الاول للحضارة الاسلامية وعلومها وفلسفتها ، وكلنا يعلم أن علياً هو صنو الرسول وتلميذه ونجيه ، وشريك القرآن ، بل هو القرآن الناطق ، وما بين الدفتين القرآن الصامت [1] •

والغريب ان هؤلاء المنكرين لا يستكثرون على ابن خلدون الكلام في علم الاجتماع قبل ان يعرفه روسو ومنتسكيو ، وان يقولوا عن علومه ومعارفه : « انها تدفق تجاني وحدس باطني واختمار لا شعوري » ، ثم يستكثرون على باب مدينة العلم ان يصف الطاووس ، وان يقول : الله أيّن الأين ، فلا يقال له : أين ؟ وكيّف الكيف ، فلا يقال له : كيف ؟ وان يصف الباري تعالى بصفات تليق بجلاله • وهو أعرف الناس به بعد الرسول ؟!

هذا الى ان الامام تكلم عن اشياء لا يعرفها اليونان ولا غير اليونان ـ فيما اعلم ـ كقوله : يعيش الولد لستة اشهر ، ولسبعة اشهر ، ولتسعة أشهر ولا يعيش لثمانية أشهر [2] •

وقوله : العقل في الدماغ ، والضحك في الكبد ، والرأفة في الطحال، والصوت في الرئة ، وما الى ذاك [3] •

---

(١) بعد البحث لم اجد اي سبب للشك في نسبة نهج البلاغة الى الامام الا ان جامعة الشريف الرضي شيعي وهم لا يعتبرون رواية الشيعة ، فقد رد ابن عساكر بعض الروايات لان «الرواي رافضي ليس بثقة» وكذلك فعل ابن عدي لان الراوي « شيعي محترق » وقال التباني في كتاب « تحذير العبقري » : الرضي رافضي امامي معتزلي ، انظر كتاب التباني المذكور ص ٦٢ و١١٢ ج٢ •

(٢) سفينة البحار للقمي ج١ ص٤٧ •

(٣) العقد الفريد ج٢ ص٩٠ طبعة ١٩٥٣ •

ولو نسب نهج البلاغة لمعاوية بن ابي سفيان لكانت النسبة حقا وصدقا ولكان ابا يزيد المصدر الاول للفلسفة والحضارة الاسلامية ، ولكنه نسب الى امام المتقين وحبيب المؤمنين وعدو المنافقين فأصبح موضع الريب والتشكيك .

وقد أثبت السيد محسن الامين في الجزء الاول من اعيان الشيعة ، والشيخ هادي كاشف الغطاء في المستدرك ، أثبتا بطرق السنة ان خطب نهج البلاغة كانت مدونة في كتب شتى تحفظها الناس مع غيرها من كلام الامام ، قبل أن يخلق الشريف الرضي . وقال المسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ٤٣١ الطبعة الثانية : « والذي حفظ الناس من خطبه في سائر مقاماته اربعماية خطبة ونيفا وثمانين خطبة يوردها على البديهه ، تداول الناس ذلك قولاً وعملاً » وقد توفي المسعودي سنة ٣٤٦ هـ أي قبل ان يولد الشريف الرضي بأكثر من عشر سنوات ، لانه توفي سنة ٤٠٦ عن ٤٧ سنة وفي الجزء الـ ٤٥ من « اعيان الشيعة » قال ابن ابي الحديد في شرح النهج : وجدت في كتاب « الانصاف » لابي جعفر محمد بن عبدالرحمن المعروف بابن قبة الخطبة الشقشقية ، ومات ابن قبة قبل أن يكون الرضي موجودا . ومما استدلوا به على ان النهج منحول قولهم ان فيه آراء فلسفية لم تكن معروفة في عهد ، وكانت معروفة في عهد الشريف الرضي جامع الكتاب .. ونقول لهم : ان فيه نظريات علمية لم تكن معروفة في زمن الرضي ، ولم تكتشف ، الى عهد قريب ، مثل حركة الارض التي نسبت الى غاليلو ، قال الامام من خطبة في ص ٤٢٧ من النهج شرح عبده طبعة اولى مشيرا الى حركة : « فسكنت على حركتها ان تميد باهلها ، وتسيخ بحملها أو تزول عن مواضعها » .

ثم ان تدوين الفلسفة وترجمتها في عصر العباسيين ان دلا على شيء

فانما يدلان على ان التدوين والترجمة حصلا في ذلك العصر ، اما ان المسلمين ليسوا على علم بما عند غيرهم من الفنون والفلسفات فلا ، لان الفتوحات الاسلامية ، واختلاط المسلمين بالاجانب ابتدأ منذ خلافة عمر ابن الخطاب ، حيث انتصر المسلمون على الرومان والفرس ، واتصلوا بالسوريين واللبنانيين والمصريين ، وكانت مدرسة الاسكندرية مقرا للتراث العقلي ، وبقي التعليم فيها الى ايام عمر بن العزيز ، حيث انتقل منها الى مدرسة انطاكية ، وقد اشتهرت بيزنطة بالمجادلات الالهية والعقائد ، وكان الاتصال على أتمه بينها وبين المسلمين ، فالقول بان المسلمين كانوا يجهلون علم الكلام في عهد الخلفاء الراشدين لا يعتمد على اساس ، بل ان ترجمة الفلسفة في عهد العباسيين جاء نتيجة لحياة فكرية سابقة تبتديء من الصدر الاول ، ولكنها لم تنتشر في عهد الصحابة كما انتشرت في عهد العباسيين ، تماما كما هو الشأن في تدوين الحديث والتفسير ، فقد كان كل منهما موجودا ومعروفا قبل التدوين ، وان منطق الحوادث يحتم هذا التدرج ، ويثبت هذه الحقيقة ، لان الارتقاء دفعة واحدة محال .

ولا نقول هذا ، لنثبت ان الامام اخذ عن الفرس والرومان ، بل لنصحح الخطأ الشائع من ان المسلمين بوجه عام كانوا يجهلون الفلسفة ايام الصحابة والتابعين ، والا فان النبي (ص) قد افرغ في اذن علي كل ما لديه من علوم الدنيا والدين بنص الحديث الشريف « أنا مدينة العلم وعلي بابها » فعن الامام تأخذ الناس ، ولا يأخذ هو الا عن الرسول عن الله عز وعلا .

والآن تعال معي ، لننظر ونتأمل في بعض ما جاء في كتاب « نهج البلاغة » .

امور المسلمين :

حين عزموا على بيعة عثمان قال الامام :

« لقد علمتم اني أحق الناس بها من غيري ، والله لأسالمن ما سلمت امور المسلمين ، ولم يكن فيها جور الا علي خاصة التماسا لاجر ذلك وفضله ، وزهدا فيما تنافستموه من زخرفة وزبرجة » .

ان الحكم والسلطان في نظر الامام وسيلة لاحقاق الحق ، واقامة العدل وليس غاية في نفسه ، فأي حاكم تجرد عن الاهواء والاغراض ، وعمل للصالح العام ، وأنصف المظلوم من الظالم يسلم له الامام ، ويتناسى نفسه وحقه ، ويتحمل الجور اذا وقع عليه وحده ، ولم يتجاوزه الى سواه ، زهدا فيما يتنافس فيه الناس من الجاه والمال ، وهذه هي سيرته مدة حياته ، قبل الخلافة وبعدها .

حين تولى الخلافة قال له الخريت بن راشد : لن أأتمَّ بك ، ولن أشهد معك الصلاة ، ولن أأتمر بامرك ، ولن يكون لك علي سلطان .

فقال له الامام : لك ذلك مع عطائك كاملاً غير منقوص ، على شريطة ان لا تعتدي على أحد ، فان اعتديت عاقبتك بما تستحق . وحين دار القتال بين الامام ومعاوية اعتزلت فئة من القراء ، فلم يكرهها على المضي معه . وبلغه ان رجالاً من رعيته يتسللون الى معاوية ، فتركهم وشأنهم ، ونهى عن منعهم بالقوة ، وقال : انهم اهل الدنيا مقبلون عليها .

وبهذا يفترق اصحاب المبادىء عن الانتهازيين ، فصاحب المبدأ شعاره حب الخير للخير ، والبعد عن الشر لذات الشر ، وهدفه تحقق المصلحة العامة ، ومن اجلها يضحي بالنفس والنفيس ، اما الانتهازي

النفعي فلا هدف له الا مصلحته الشخصية ، يضحي بالافراد والجماعات للحصول عليها ، ولا يحب خيرا الا اذا كان له منــــه النصيب الاوفى ، ولا يكره شرا الا خشية ان يصيبه طرف منـــه ، هكـــذا كان اعـــداء الامام لا يباركون دينا ولا مبدأ الا على ربح ، ولا يعبــــــدون الله الا على حرف .

وكان الامام كما قال : « لاسالمن ما سلمت امور المسلمين ، وليس فيها جور الا علي خاصة » فضالة الامام هي المصلحة العامة يباركهـــا انى وجدت ، ولو عند ألد خصومه واعدى أعدائه [1] فان سالم فمـن اجلها يسالم ، وان قاتل فمن اجلها يقاتل ، قـال : « كنا مع رسول الله (ص) نقتل آباءنا وابناءنا واخواننا واعمامنا ، لا يزيدنا ذلك الا ايمـــانا وتسليما ولعمري لو كنا نأتي ما اتيتم ما قام للدين قائمـــة ، ولا اخضـر للايمان عود » .

وغير بعيد أن يكون قول الامام : « لاسالمن ما سلمت امور المسلمين » هو المدرك والدليل لقول ابن طاوس : « الكافر العادل خير مـــن المسلم الجائر » .

سورات الزفير :

قال في خطبته الطويلة المعروفــة بالغراء يصف الانسان ، وهـــو في يومه الاخير :

« دهمته فجعات المنية في غُبّر جماحه[2] وسنن مراحـه ، فظـل سادرا [3] وبات ساهرا في غمرات الآلام ، وطوارق الاوجاع والاســقام

(١) ومن كلامه في نهج البلاغة : « الحكمة ضالة المؤمن ، فخذ الحكمــة ولو من اهل النفاق » .

(٢) غبر جمع غابر ، والمراد به ايام تعنته ومعاندته للحق .

(٣) السادر هو الحائر .

بين اخ شقيق ، ووالد شفيق ، وداعية بالويل جزعا ولادمة للصدر قلقا ، والمرء في سكرة ملهية ، وغمرة كارثة ، وأنه موجعة ، وجذبة مكربة ، وسوقة متعبة ، ثم ادرج في أكفانه مبلسا [١] وجذب منقادا سلسا ثم القي على الاعواد رجيع وصب ، ونضو سقم ، تحمله حفدة الولدان ، وحشدة الاخوان الى دار غربة ، ومنقطع زورة ، حتى اذا انصرف المشيع ، ورجع المتفجع اقعد في حفرته نجيا ، لبهتة السؤال وعثرة الامتحان ، واعظم ما هنالك بلية نزول الحميم ، وتصلية جحيم ، وفورات السعير وسورات الزفير ، ولا فترة مريحة ، ولا قوة حاجزة ، ولا موتة ناجزة ، ولا سنة مسلية بين اطول الموتات ، وعذاب الساعات انا بالله عائذون » .

هذه صورة صادقة ناطقة عن خاتمة الانسان ونهايته ، يشاهدها ويلمسها في غيره بين حين وحين ، حتى اذا جاء دوره ، ودنا اجله كان هو العبرة والموعظة ، صورة تعبر عن آخر ساعة من ساعات الدنيا ، واول ساعة من ساعات اليوم المشهود الذي يخرج الناس فيه من قبورهم حفاة عراة ، يقومون الى ربهم للحساب والجزاء ولا حاكم الا هو ، ولا شاهد الا الاسماع والابصار والايدي والارجل ، ولا شفيع الا العمل الصالح ولا ملجأ الا اليه وحده ، ولا عقاب للمسيء الا الحريق والسعير ، والا انوع العذاب على ايدي ملائكة غلاظ شداد .

من عجائب الصدف ـ وكم للصدف من عجائب وغرائب ـ اني قبل ان اقتطف هذه الكلمات ، واعلق عليها بيوم واحد عدت مريضا مع ثلة من الاخوان ، فوجدناه على حال دونها كل حال .

عرفت هذا المريض منذ اربعين سنة على التحقيق ، وكان شابا فقيرا

---

(١) مبلس اي يائس .

يسكن مع زوجته في غرفة في احدى قرى جبل عامل ، وكانت الغرفة اشبه بالكوخ ، سقفها وارضها من طين ، لا نوافذ لها الا باب صغير وطيء للدخول والخروج ، أما محتوياتها من أدوات وطعام فتتلاءم تماما مع وضعها ، ويستطيع رجل واحد ان يحمل كل ما فيها على ظهره ، وكان في اول امره يشتغل حمالا في بيروت ينقل امتعة الناس على ظهره باجر زهيد ، ثم فتح حانوتا صغيرا في القرية ، وتدرج في التجارة شيئا فشيئا ، وكان ذا خبرة بها ومهارة ، وله عقل وتدبير ، ولما تقدمت تجارته ، وتحسنت حالته نقل تجارته الى مدينة صور ، فتدفقت عليه الارباح ، واشترى بناية محترمة في بيروت ، وأنشأ بستانا في صور ، واصبح من الاغنياء واهل الثراء ، ومن ابرز صفاته الحرص على المال ، والولوع بتحصيله وكنزه ، ولا يخرج القرش من يده الا لضروره ماسة ، وحاجة لا مناص منها ولا خلاص ، وكان في الوقت نفسه امينا على حقوق الناس ، ولا يعتدي على احد ، ولا يتدخل فيما لا يعنيه ، ويؤدي الصوم والصلاة على اكمل الوجوه .

وفجأة وقع طريح الفراش فريسة للسرطان ، وحين عدته شاهدت صورة يعجز عن وصفها القلم واللسان ، فقد كان قبل احزانه وسرطانه معتدل القامة ، وسيم الوجه ، مفتول الساعدين ، ممتليء الجسم ، قويا نشيطا في ذهابه وايابه ، تطفح الحياة على وجهه ، في عينيه ، وحين دب الداء في جسمه اصبح رسما بدون جسم ، وخيالا بلا حقيقة ، ولو كان هذا وحده لكان فيه سعادته وهناؤه بالقياس الى آلامه واوجاعه ، فلقد رأيته يقضم اللحاف بأسنانه تارة ، ويعض يده اخرى ، وهو يبكي ويقول : أواه يا حبذا الموت ... عشرة أشهر لا أعرف فيها النوم ، ولا الطعام الا بعض العصير ، ثم يلتفت الى ابنه ، ويقول بصوت باك حزين : اشتروني ، لا أريد مالاً ولا عقاراً ... يا ليتني أعمى اكسح

أرعى نبات الارض عاريا كالحيوانات ، ولا أتألم ألمي هذا ••• اني أحس عظام ظهري تنشر بالمناشير ، وأمعائي تقطع بالسكاكين ، وكأن في خاصرتي مياسم من حديد ••

خرجت من بيته ، وأنا اقول : كلنا معرض لموضعه ومضجعه ، ومن الذي يضمن لنفسه السلامة والعافية ، ولكن لا نحس بألم الضرب قبل وقوعه ، ولا بلذع الحريق قبل ان تمسنا النار ، وهنا يكمن سر الاهمال والتقصير ، والى الله نعتذر ونفزع من كل مكروه •

وما زالت تلك الصورة المرهبة ماثلة أمام عيني ، تؤثر في نفسي أثرها المخيف ، ولا أخالها تتوارى عني ما دمت حيا ، وما وجدت شيئا أشرح به كلمات الامام اوضح منها ، وهو القائل عليه أفضل الصلاة والسلام : « فاتعظوا بالعبر ، واعتبروا بالغير ، وانتفعوا بالنذر » •

العيان والسماع :

قال : كل شيء من الدنيا سماعه اعظم من عيانه ، وكل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه ••• واعلموا ان ما نقص من الدنيا ، وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة ، وزاد في الدنيا •

اذا سمعت من يثني على شيء من أشياء هذه الحياة ، ويصفه بأسمى الصفات وأكملها فانك واجده لدى التجربة والعيان دون الوصف ، ان كنت ممن يدرك الامور على حقيقتها ، وهذه نتيجة حتمية تستدعيها طبيعة الدنيا التي أخذ في تحديدها الفناء والعناء ، وانها اذا احلولى منها جانب أمر منها جانب ، وان لذاتها مهما عظمت فانها الى زوال لا محالة ، على العكس من الآخرة ، فاذا سمعت وصفا لشيء من ثوابها او عقابها تستجده لدى العيان والتجربة أعظم من الوصف بكثير ، ذلك

انك لا تدرك الآن شيئا من أشياء الآخرة الا بالقياس الى حياتك هذه وقد أخبرنا الوحي ان ذرة من عقاب الآخرة لا تعادلها ألوان العذاب في الدنيا مجتمعة ، وان أقل ثواب هناك يفوق نعيم الدنيا من بدايتها الى نهايتها •

ولكن العاقل يتخذ من دنياه الفانية الوسيلة الى الدار الباقية ، وينقص من تلك ليزيد في هذه ، فكما ان النمو في حياتنا يعتمد على البذل والعمل كذلك النجاة في الآخرة تعتمد على طاعة الله سبحانه ، والتضحية في سبيل الخير والصالح العام •

ابو ذر والحق :

في عقيدتي ان خلافة عثمان كانت اهم حدث في تاريخ المسلمين ، وانها تركت اسوأ الاثر في حياتهم من يومها الى قيام الساعة [1] فلقد افسح المجال لبني ابيه الامويين ان يعبثوا بالدين ، كما يعبث الصبيان بالكرة وجاء قتله نتيجة حتمية ، لهذا الاستهتار ، كما كانت الحروب والفتن بين المسلمين نتيجة لقتله •

وكل من يعرف عثمان ، وتاريخه قبل الخلافة وبعدها يخطر له هذا السؤال :

لماذا حين تولى عثمان الخلافة نكل بالصفوة الاخيار من الصحابة ،

---

(١) قال بعض المؤلفين : لو تولى الخلافة علي بعد عمر لاستقامت امور المسلمين ، وتجنبوا ما حصل من الاحداث ثم ألقى مسئولية الحوادث والكوارث التي نشأت من خلافة عثمان على عمر • انظر مع « الامام علي » لخليل الهنداوي ص ٣٠ وما بعدها •

كابن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وابي ذر ؟! ‎..‎ [١] ألم يكن عثمان وهؤلاء في زمرة واحدة ، وجبهة واحدة يقاتلون مع رسول الله اعداء الاسلام !؟ وهل زاحموا عثمان على السلطان وجمع المال ؟! وكيف تجاهل عثمان سابقة ابي ذر وتعذيبه في الله ، ومكانه من رسول الله ، وقوله : « ما اظلت الخضراء ، ولا اقلت الغبراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر » وتجاهل سابقة عمار وابويه ، وتعذيبهما واستشهادهما في سبيل الدين يوم لم يكن للاسلام معين ولا ناصر ؟! ‎.‎ فهل احدث عمار وابن مسعود وابو ذر حدثا بعد رسول الله ، او ان عثمان هو الذي احدث ؟! ‎.‎

ونجد الجواب في قول الامام : « يا ابا ذر انك غضبت لله ‎..‎ ان القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك ‎..‎ ولو قبلت دنياهم لاحبوك » ‎.‎ رأى ابو ذر سننا تموت ، وبدعا تحيا ، فثارت ثائرته ، وطالب بالرجوع الى القرآن ، وسنة الرسول ، وحاول عثمان ان يستميله بالمال ، فاصر ، وابى ، لان الدين لا يشترى ، بل تبذل الارواح في سبيله ، بخاصة اذا اعتنقه قلب كقلب ابي ذر ، واحتواه صدر كصدره ‎.‎

آمن ابو ذر بما انزل على الرسول بعقله وقلبه وجميع مشاعره ، آمن به ايمانا أشد واصلب من الحديد ، لان الحديد يلين اذا مسته النار ، اما المؤمن الحق فلا يتغير ولا يتبدل ، وان قتل وقطع ونشر ‎.‎

واسلم غير ابي ذر في ظروف كان فيها عاجزا عن تحقيق أي شيء من ميوله واغراضه ، فلم يكن اسلامه ، والحال هذه ، بدافع من الغايات والشهوات ، لانه اعجز من ان يحقق شيئا في عهد الرسول ، وايضا

---

(١) انكر ابن مسعود على الوليد بن عقبة شربه الخمر ، فضربه عثمان وكسر ضلعيه ، وحرمه من العطاء ، لانه انكر المنكر ، ونفى اباذر لانه دعا الى الحق ، وشتم عمارا ، وامر بان يدفع في قفاه ، ويخرج من مجلسه ، وحاول نفيه ، لانه ترحم على ابي ذر حين سمع بوفاته ‎.‎

لا يعلم الغيب بانه اذا اسلم سيحقق ما يريد في المستقبل القريب او البعيد ، ولما انتقل الرسول الى ربه ، واستطاع ان يحقق هواه آثره على دينه ، وهنا يعرف الايمان ، وتبرز الخصائص ، فالمسالمة من الحمل ليست بوداعة وترك الشر من الضعيف ليس بفضيلة ما دام عاجزا لا يملك الا قول « نعم » .

وعثمان لا يجرأ في عهد الرسول ان يكرم ويحابي ابا سفيان ، ولا يستطيع ان يرجع الى المدينة عمه الحكم طريد رسول الله ، ولا ان يسند ولاية الى اخيه الفاسق الفاجر الوليد بن عقبة ، ولا ان ينكل بابن مسعود وعمار وابي ذر ، ولما استطاع فعل كل ذلك وزاد عليه ، فأكرم ابا سفيان وأجلسه معه على السرير بعد ان سمعه يقول : « تلقفوها يا بني اميه تلقف الكرة .. فلا جنة ولا نار » وأعاد الحكم وولى الوليد الكوفة ، وبسط ايدي أقاربه بأموال المسلمين ، ونفى ابا ذر ، وضرب ابن مسعود ، وأهان عمارا ، ولم يكترث بقول الرسول « عمار جلدة بين عيني .. من عادى عمارا فقد عادى الله ، ومن أبغضه أبغض الله » .

نفى ابا ذر الى الشام – اولا – ، ولما دخل ابو ذر على معاويه قام له ، واستقبله استقبالا حارا ، وأجلسه الى جنبه ، وأمر بالطعام ، فمدوا الخوان ، وعليه ما لذ وطاب ، وطلب معاوية من ابي ذر ان يأكل ، فأبى ، وقال : قد غيرتم وبدلتم .. ينخل لكم الشعير ، ولم يكن ينخل وخبزتم الرقيق ، وجمعتم بين ادامين ، وغدا احدكم ، ثوب ، وراح في ثوب . فأعاده معاوية الى عثمان ، فنفاه الى الربذة .

وقال الامام يعزيه ويواسيه : « لا يؤنسك الا الحق ، ولا يوحشنك الا الباطل » . فنظر ابو ذر الى الامام نظرة عطف وحنان ، وقال :

« رحمكم الله أهل البيت ، اذا رأيتك يا ابا الحسن وولديك ذكرت بكم رسول الله » .

وهنا يكمن السر ، ابو ذر يرى شخص الرسول ممثلا بعلي والحسن والحسين ، ثم يأمن الاذى والتشريد ! ابو ذر يؤمن ويدين بولاية علي وامامته ، ويتركه عثمان ومعاويةومروان حرا سليما ! ولكن أبا ذر لا يرهب الموت ولا يخشى التنكيل ، ولا يهتم الا بالحق الذي كان عليه رسول الله ، ونطق به كتاب الله ، وعمل به امير المؤمنين ، ان الامنية الوحيدة لابي ذر ان يسيطر الحق والعدل ، وان توزع الاموال على الناس بالسوية ، حتى لا يوجد فقير على وجه الارض ، وهذا هو مبدأ الامام الذي قال : « لو كان الفقر رجلاً لقتلته » . وقال : « لو كان المال لي لسويت بينهم ، كيف وانما المال مال الله ؟! » . ومن اجل هذا وحده ثار ابو ذر ، ومات غريباً مشرداً .

محاسبة النفس :

قال : ما من طاعة الله شيء الا يأتي في كره ، وما من معصية الله شيء الا يأتي في شهوة ، فرحم الله رجلا نزع عن شهوته ، وقمع هوى نفسه ، فان هذه النفس ابعد شيء نزعاً ، وانها لا تزال تنزع الى معصية في هوى .

وقال : طوبى لمن ذل في نفسه ، وطاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وحسنت خليقته ، وانفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من لسانه ، وعزل عن الناس شره .

لكل انسان عدو في داخله ، يزين له ارادة الشر ، ويغريه بالشهوات ويلقيه في المهلكات ، وهذا العدو هو نفسه النزاعة الى المعصية ، وهنا

يكمن الخطر .. نفسك التي تعتقد بأنها ناصحة امينة مخلصة تسلمك للخطايا والذنوب ، تسرك لحظة ، لتسيء اليك مدى الحيـــاة ، واذا كان اعدى اعداء الانسان نفسه فلماذا لا يحاسبها وينتقدها كما يحاسب وينتقد عدوه ؟! لماذا يتساهل معها ، ويبرر اعمالها ذاهلا عن ميولها الاجرامية ، وشهواتها الشيطانية ؟!

جاء في الحديث ان رجلا عبد الله اربعـــين سنة ، ثم قرب قرباناً ، فلم يقبل منه . فقال لنفسه : ما أتيت الا منـــك . فأوحى الله اليـــه : ذمك لنفسك افضل عندي من عبادتك اربعين عامـــاً . وقـال الامـــام الصادق : لا حجاب اعظم وأوحش بين العبـــد وربه من هوى النفس . وكل كلام في هذا الباب نافلة وفضول بعـد قول أمير المؤمنين في وصف التقي الصالح : « نفسه منـــه في عناء ، والناس منـــه في راحـــة ، اتعب نفسه لآخرته ، واراح الناس من نفسه » .

اتعب نفسه ، لأنه يراقبها ويحاسبها على كـل شيء ، ولا يستجيب لشيء من اهوائها واغراضها ، تماماً كالـذي يجتهـــد في تأديب ولده ، ويؤاخذه على هفواته ، ولا يستجيب لميوله التي تضر بتربيته وتهذيبـــه . واراح الناس من نفسه لان اهتمـــامه بعيـــوبه صرفه عـن الناس ، عـلى العكس من الخبيث الشرير الذي يتلهى بعيوب الناس ويذهل عن عيوبه ، قيل لرسول الله (ص) : من شر الناس ؟ فقـــال من تخـــاف الناس من شره . وفي حديث آخر : من ابغض الناس . وابغضـــه النـــاس . وفي ثالث : أكيس الكيسين من حاسب نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، واحمق الحمقى من اتبع هواه ، وتمنى على الله الاماني .

وسئل الامام : كيف يحاسب الرجل نفسه ؟

قال : اذا اصبح ثم أمسى رجع الى نفسه ، وقال : يانفس ان هـــذا

يوم مضى عليك ، لا يعود اليك ابدا ، والله يسـألك عنـه فيما افنيته ، فما الذي عملت فيه ! أذكـرت الله ؟ أقضيت حق اخ مؤمن ؟ أنفست كربته ؟ أحفظته في ظهر الغيب !

الجاهـل :

قال : ان الجاهل من عد نفسه بما جهـل عالماً ، وبرأيه مكتفياً ، وما يزال للعلماء مباعدا ، وعليهم زاريا ، ولمن خالفـه مخطئاً ، ولمـا لا يعرف مضللاً ، فاذا ورد عليه من الامر ما يجهله أنكـره وكـذب به ، وقال بجهالة : ما اعرف هذا ، وما أراه كان ، ولا أظن ان يكون •

وقال الامام : اربع من خصال الجهل : من غضب على من لا يرضيه ، أي لا يهتم بغضبه ولا برضاه ، ومن جلس الى من لا يـدنيه ، أي لا يحترمه ، ومن تفاقر الى من لا يغنيه ، أي أظهر الفقر لمن لا يعطيـه شيئاً ، ومن تكلم بما لا يعنيه •

وقال رسول الله (ص) : الجاهل ان صحبته عناك ، وان اعتزلتـه شتمك ، وان اعطاك منّ عليـك ، وان اعطيتـه جحد نعمتـك ، وان اسررت اليه ساءك ، وان اسر اليك اتهمك بافشاء سـره ، وان استغنى بطر ، وكان فظاً غليظـاً ، وان افتقر جحـد ولم يتحرج ، وان فـرح اسرف وطغى ، وان حزن آيس ، وان ضحك فهق ، وان بكى خـار ، يقع في الابرار ، ولا يستحي من الله ، ولا يـذكره ، وان ارضيتـه مدحك ، وقال فيك من الحسنات ما ليس فيك ، وان سخط عليك وقـع فيك من السوء ما ليس فيك •

فساد الزمان :

قال : اذا استولى الفساد على الزمان واهله ثم احسن رجل الظن برجل فقد غرر •

ليس هذا القول مجرد موعظة ، ونصيحة فحسب ، بـــل هو تعبير عن حقيقة علمية ، فقد اثبت العلم الحديث ان الانسان في تفاعـل مستمر مع المجتمع الذي يعيش فيه ، فهو جزء من كل يثبت له ما يثبت للكـــل من عادات واخلاق ـ اذن الفرد يمثل التوافق مع البيئة الا اذا كـان من العباقرة المتمردين ، وقليل ما هم ، وما دام الفرد عضوا في جسم المجتمع فلا يسوغ ان يظن به الصحة اذا كان الجسم فاسدا ٠

ومن هنا قال العلماء : « العقل السليم في الجسم السليم في مجتمـع سليم » ولا سلامة لعقل الفرد ، وان سلم جسمه ما دام عقل مجتمعه عليلا ٠

وهكذا جميع وصايا اهل البيت ونصائحهم ترتكز على اساس من العلم الذي يكشف عن حقيقة الانسان وغرائزه واعماقه ٠

نكتفي ـ الآن ـ بهذه الكلمات ، لنعود الى حكم الامام مرة ثانيـــة عندما نذكر طرفاً من اقوال الائمة الاطهار وحكمهم ٠

مساجدنا

عامرة من البناء ، خراب من الهدى

لو رجعنا الى الآثار والحفريات ، والتاريخ المكتوب لوجدنا شعائر الدين تسير جنباً الى جنب مع الانسان منذ اللحظة التي وجد فيها آدم ابو البشر على ظهر هذا الكوكب ، فمن كهوف العبادة في العصر الحجري الى هياكل الآلهة في مصر والصين وبابل ، الى الفلسفة الالهية في اليونان ، الى معبد سليمان ، الى الكعبة وحرم الرسول في المدينة ، الى الاعتاب المقدسة في ايران والعراق ، الى الفن وهندسة البناء الديني في كل مكان .

وحين هاجر النبي (ص) من مكة الى المدينة فاول عمل قام به بناء المسجد ، وكان يعمل فيه بنفسه ، واشترك معه في البناء امير المؤمنين وعمار بن ياسر ، وكان الامام يعمل ويرتجز :

لا يستوي من يعمل المساجد　　يدأب فيها قائماً وقاعدا
ومن يرى عن الغبار حائدا

وأخذ عمار هذا الرجز ، وجعل يردده ، وكأن بعض الاصحاب قد ساءه ذلك ، فأخذ يحمّل عمارا ما لا يستطيع ، فقال عمار : يا رسول الله قتلوني ، فانهم يحملوني ما لا يحملون . فنفض النبي شعر عمار بيده ، وهو يقول : ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك انما تقتلك الفئة الباغية .. ما لهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ، ويدعونه الى النار ؟

واثنى الله على من بنى المساجد ، وقرن تعميرها بالايمان به وباليوم

الآخر : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله ـ «التوبة» وانما تكون المساعـــدة مظهراً من مظاهر الايمان بالله واليوم الآخر اذا اقيمت فيها شعائر الدين للدين ، وذكر فيها اسم الله لله ، ودعي فيها الى الحق لوجه الحـق ، اما اذا كان القصد من بناء الاحجار ان يقال : بانيها فلان ، وان مسجد هذا البلـــد اضخم وانخم من مسجد او كنيسة البلد الآخر ، امـــا ان يكون القصد مجرد الظهور والتنافس دون نظر الى حاجة المصلين والمتعبـــدين كما كان القصد من مسجد ضرار فان عـــدم هــذا المسجد خـير من وجوده ، وهدمه افضل من بقائه (١)

قال الامام : يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن الا رسمه ومن الاسلام الا اسمه ، مساجدهم يومئذ عامرة من البناء ، خراب مـن الهدى ، سكانها وعمارها شر اهــل الارض ، منهم تخرج الفتنة واليهـم تأوي الخطيئة .

هذه صورة صادقة واضحة لكثير من مساجد هذا العصر ، فانهـــا عامرة بالفن والجمال والمتانة والضخامة ، خراب من الهدى والدين ، والتقى والصلاح ، لا جمعة تقاوم فيها ولا جماعة ، ولا أمر يسمع فيها بالمعروف ، ولا حلقات للمتفقه في الدين ، ولا احد يؤمهـــا للصـــلاة الا نادراً ، وفي

---

(١) تتلخص قصة مسجد ضرار بان جماعة من اصحاب رسول الله بنوا مسجد قبا ، وطلبوا من رسول الله ان يصلي فيه ففعل ، فحسدهم جماعة من المنافقين ؛ فبنوا مسجدا ، ودعوا الرسول الى الصلاة فيه فنزل فيهـم قوله تعالى « والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفــرا وتفريقا بين المؤمنـين وارضاء لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحفلن ان اردنا الا الحسنا والله يشهد انهم لكاذبون ـ ١٠٧ التوبة » فوجه النبي جماعة الى هذا المسجد ؛ وامرهم بهدمه وحرقه ، وان يتخذ مكانه مزبلة تلقى فيها الجيف . وهــذا حكم الاسلام في كل مسجد يقام للحزبية وتفريق الكلمة .

هذه الحقيقة التي نراها رأي العين شاهد صدق وعدل على ان الامـام يخبر عن أشياء غيبية عن النبي عن جبريل عن الله عز وجل •

ويوم كان النـاس يتسابقون الى ذكر الله والتعبد ، ودراسة الفقـه والتفسير والحديث في المساجد كانت صغيرة متواضحة ، والآن حيث لا شيء ، تكثر وتتسع ، وانه لغريب حقاً ان يكثر عددها ، وتزداد ضخامة كلما قل عدد المصلين ، غريب ان نرى قرية صغيرة حقيرة تبني جامعـاً فخماً بمئذنة شامخة ، ثم تهمل مشاريع اخرى هي في أشد الحاجة اليها ؟•

ليست المساجد قلاعا حربية ، ولا قصورا لمفاخرة الانداد والاضداد ، وانما هي للخشوع والخضوع ، والعبادة والمناجاة ، فعظمتها باحيائها بذكر الله واصلوات ، والعلم النافع ، والارشاد المفيد ، لا بالقبـاب العاليـة ، والعمد الرفيعة ، والمآذن الشامخة ، كان مسجد الرسول في المدينـة من النخل وسعفه ، وكان علوه قامة رجل ، واذا نزل المطر أصاب المصلين ، ولكن الركعة فيه تعدل عشرة آلاف ركعة بالقياس الى غيره من المساجد ، فلا البساطة وضعت من قـدره وجلاله ، ولا الفن والجمـال رفع مـن شـأن غيره ، وكفى مسجد الرسول عظمة وكمالا ان يصـلي فيه محمد ومن معه •

لقد رأينا عدداً من أثرياء هذا العصر يتبارون في بناء مساجد جاءت آية من آيات الفن والجمال ، ولكنها لا تبعث في النفس الهيبة والجلال ، وانها ان عبرت عن شيء فانهـا تعبر عن ان الرياء والتظاهر بالدين قـد تقدم وتطور في عصر الذرة ، حتى صيغ في فن جميل •

فأولى ثم أولى لمن يبذل الاموال على تلك القباب والمآذن ان ينفقهـا على الجياع العراة ، او لبناء مسجد متواضع في بلـد او حي لا جـامع

فيه ، او في انشاء ميتم او مستشفى او مأوى للعجز او مدرسة ، وما الى ذلك مما ينفع الناس ، اما من يبني جامعاً الى جنب آخر ، وهو يعلم بأن الاول يشكو الى الله الهجر وعدم المصلين[1] فلا يلومن من يسوء به الظن ، ويجعله مثالاً لقول الامام : « وعمارها شر اهل الارض » .

ونختم هذا الفصل بقول الصادق : « من كسب مالاً من غير حله سلط عليه البناء والطين والماء » .

واصدق شاهد على هذه الحقيقة ما نراه من ناطحات السحاب في هذا العصر .

(١) جاء في الحديث ، ثلاثة يشكون الى الله : مسجد لا يصلي فيه اهله، وعالم بين جهال ، ومصحف معلق لا يقرأ فيه .

لا اشتراكية ، ولا رأسمالية

في الاسلام

كتبت فصلاً في كتاب « مع الشيعة الامامية » بعنوان : « هل ابو ذر اشتراكي ؟ » ، وفصلين من كتاب « الاسلام مع الحياة » طبعة ثانية : أحدهما بعنوان « الارض لله ومن عمرها » والثاني بعنوان « الاشتراكية في الاسلام مبدأ أخلاقي » أوضحت في هذه الفصول ان للاسلام نظاماً مستقلاً ، لا هو بالاشتراكي ، ولا بالرأسمالي المعروفين في هذا العصر ، ولم أفكر أبداً في العودة الى هذا الموضوع ، ولكن بعض الافاضل حين علم اني أكتب في فضائل الامام رغب الي في العودة ، والاشارة الى ما يراه سيد الكونين بعد الرسول في هذا الباب .

وبديهة ان ما يراه هو عين ما نزل به القرآن الكريم ، وثبت في السنة النبوية ، فرجعت اليهما مرة اخرى ، ولم اعتمد على معرفتي السابقة ، عسى ان اهتدي الى جديد ، ولكن لم انته الى شيء سوى قوة الايمان بانه لا اشتراكية ولا رأسمالية في الاسلام ، بل تعاون وتآزر .

لا اشتراكية ، لأن الاسلام يقر بمبدأ الملكية الخاصة ، ولا يعترف بدكتاتورية العمال ، ولا يحتم ان يكون دخل الفرد مساوياً لعمله ، او لدخل سائر الافراد ، ثم انه لم تبلغ الحال في عهد الرسول (ص) الى ان يعمل عشرات الالوف من العمال السنوات الطوال في مصنع واحد لرجل واحد او فئة معينة ، كما هي الحال الآن ، حتى تتولد فكرة الاشتراكية ، فقد كان الرجل يستأجر معه شخصاً او أكثر ليبني بيتاً ، او يغرس بستاناً

في أيام معدودات ، ثم يذهب العامل الى شأنه ، ومثل هـذا لا يستدعي التفكير بالنظام الاشتراكي الذي يؤمن حياة العامل ، ويضمن لـه معاش التقـاعد .

ولا رأسمالية ، لان الاسلام لا يقر حرية التملك بدون قيد او شرط المعبر عنها بـ « دعه يعمل » ويستغل مواهبه كيف شـاء ، ولا يعترف بسلطة اصحاب الاعمال والثروات على احد من الناس عاملاً كان او غير عامل ، وينهى عن التكتلات الاقتصادية ذات الامتياز ، ويحرم احتكار المشروعات العـامة .

وهنا سؤال يفرض نفسه : اذا نفينا الاشتراكيـة والرأسمالية فماذا يبقى ؟ وهل هناك من ثالث ؟

الجـواب :

لقد كان الناس ـ عدا الحكام والموظفين ـ وما زالو على فئـات ثلاث : الفلاحين ، وارباب الحـرف والتجار والفئـة الاولى تزرع الطعام وما اليه ، وتعطي الثانيـة ، والثانية تصنع الملابس والادوات وتعطي الاولى ، والتجار صلة الوصل ، واداة التسلم والتسليم بينهما ، ولما كانت سعادة الجميع ، واستتباب الامن والنظام لا يتم الا بالتعاون الصحيح بين هذه الفئات حدد الاسلام مفهوم هذا التعاون الذي لا تطغى معه فئـة على فئة ، ولا انسان على انسان ، حدده بالآية **٢٨** من سورة النساء : « يا ايها الذين أمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجـارة عـن تراض منكم » وجاء في الحديث « لا يحل مـال امرىء الا عـن طيب نفس » وليس من شك ان طيب النفس وتراضي الاطراف المعنية هو قوام التعاون ، لان الانسان بطبعه لا يرضى الا بالعـدل والمساواة ، اجـل ،

لقد استثنى الاسلام من الرضا المعاملة الربوية . بشتى انواعها ، والاحتكار وشركة الابدان [1] ، وحكم بتحريمها لانها استغلال من جانب واحد .

وهنا سؤلان :

الاول : ما حكم هذه الثروات المكدسة في ايدي الافراد ، وهي تعد بمئات الملايين ؟ هل هي جائزة في نظر الاسلام ؟

الجـــواب :

قال كثير من الخبراء : ان هذه الثروات تمنح صاحبها سلطة غـــير مشروعة على الناس ، وتستدعي الحد من حقهم في الحرية ، اي ان امتلاك الاراضي الواسعة والثراء الضخم امتلاك لحرية الآخرين ، واذا كان الامر كذلك فهي محرمة .

السؤال الثاني : ما معنى قول الامـــام ما جاع فقير الا بمـــا متع به غني ؟

الجـــواب :

ان الامام قال : ان الله فرض في اموال الاغنياء اقوات الفقراء ، فما جاع فقير الا بما متع به غني . فهو يشير بذلـــك الى ان جوع الفقـــير مسبب عن منع الاغنياء زكاة اموالهم ، ولو اخرجوها كما امر الله لما وجد على ظهر الارض فقير ، كما جاء في حديث آخر ، وكلام اهل البيت (ع) كآي الذكر الحكيم يفسر بعضه بعضا ، اجل ، ان قول الامام ما جـــاع

---

(١) شركة الابدان ان يتفق اثنان على ان يقتسما بينهما ما يكتسبانـــه بايديهما ، قال فقهاء الامامية : لا تصح هذه الشركة بحال ، لان كل واحد مستقل بنفسه ، ومنافعه تابعة لعمله ، ولو اشتركا اخذ احدهـــما ما لا يستحقه من عمل الآخر .

فقير الخ .. يؤيد النظرية القائلة ان وجود الفقر الى جانب الغنى مستلزم قهرا لوجود الظلم ، وايضاً يدل عليها بدلالة اوضح واصرح قوله ما رأيت نعمة موفورة الا والى جانبها حق مضيع .

ومهما يكن ، فان المهم هو التعاون ، فكل ما يحققه فهو جائز ، سواء أكان تملك عقار او مصنع او تجارة في السوق الحرة ، وكل ما يتنافى مع التعاون فهو حرام من أي نوع كان ، وعليه فاذا افترض ان هناك نوعاً من الاشتراكية يحقق للانسانية حياة افضل ، مع بقاء التعاون والاحتفاظ بحق الانسان في حريته المشروعة فان الاسلام يقرها بلا ريب ، لان « كل ما فيه صلاح للناس بجهة من الجهات فهو جائز » في الشريعة ، وجاء في الحديث عن الامام الصادق : « ان رجلاً سأله عن زكاة الاموال فقال : « اما الظاهرة ففي كل الف خمسة وعشرون درهماً ، واما الباطنة فلا تستأثر على اخيك بما هو احوج اليه منك » .

وبالتالي ، فنحن مع القائلين بالنزعة الاشتراكية في الاسلام ، وضد من يقول بالاشتراكية او الرأسمالية فيه .

حروب الامـام

بـــدر :

١ ـ بدر اسم بئر كانت لرجل يدعى بدرا ، وتقع في مكان بين مكة والمدينة ، وتبعد عنها ١٦٠ كيلومتراً على التقريب ، وحصلت الموقعة فيها في التاسع عشر من شهر رمضان المبارك السنة الثانية من الهجرة .

عدد الجيش :

كان المسلمون ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً ، وكـان معهم فرسان ، وسبعون بعيراً ، فكان الرجلان والثلاثة يتعاقبون على بعير واحد ، وكـان النبي (ص) وعلي واحد الأصحاب ، واسمه مرثد ، يتعاقبون على بعـير لمرثد : وقـال علي ومرثـد للنبي : اركب انت يا رسول الله ، ونحـن نمشي . فأبى ، وقـال : ما انتما بأقوى مني على المشـي ، ولا انا بأغنى منكما عن الأجر .

وكان المشركون تسـعمئة وخمسين رجلا ، ومعهـم مئتا فرس وسبعمئة بعير .

القتــال :

قبل ان يقع القتال انزل الله على نبيه « وان جنحوا للسلم فاجنح لها ـ ٦٢ الانفال » فبعث النبي الى المشركين : ارجعوا فلان يلي هذا الامـر

مني غيركم احب الي ، اي يحاربني غيركم ، فوافق عتبة ، ونهى عن القتال ، وقال : ما رد هذا قوم فافلحوا ••• يا معشر قريش ان محمدا ابن عمكم فخلوه والعرب ، فان يك صادقا فانتم أعلى عينا به ، وان يك كاذبا كفتكم ذؤبان العرب امره • فابى ابو جهل الا القتال •

ودفع رسول رايته العقاب[1] الى علي ، وكان عمره يومذاك ٢٥ سنة وهي اول مرة يحارب فيها الامام ، كما ان معركة بدر هي اول حروب النبي •

وبرز من المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة بن ربيعة وبرز لهم الحمزة بن عبدالمطلب ، وابنا اخيه علي بن ابي طالب ، وعبيدة ابن الحارث ، فحمل عبيدة ـ وكان عمره سبعين سنة ـ على عتبة ، وضربه على رأسه ، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فقطعها ، وسقطا معا ، وحمل علي على الوليد ، وكانا اصغر القوم سنا ، فضربه الامام على حبل عاتقه ، فخرج السيف من ابطه ، وحمل الحمزة على شيبة [2] فتضاربا بالسيف حتى انثلما ، فاعتنق كل واحد صاحبه ، وكان الحمزة اطول من شيبة ، فقال علي للحمزة : طأطيء راسك يا عم ، فادخل الحمزة رأسه في صدر شيبة فضربه الامام على عنقه فقطعها ، ثم كر علي والحمزة على عتبة فاجهزا عليه ، وحملا عبيدة فالقياه بين يدي ابن عمه الرسول ، ولم يلبث بعدها الا يسيرا •

ثم التحم الجيشان ، ودار بينهما اعنف قتال ، وانجلت المعركة عن سبعين قتيلاً ، وسبعين اسيرا من المشركين ، وفر بقيتهم ، واستشهد من

---

(١) قال بعض العلماء : ان الفرق بين الراية واللواء ان الراية هي العلم ، واللواء دونها ، فالراية كانت مع علي ، والالوية وزعها الرسول بين المهاجرين والانصار •

(٢) وقيل : ان الحمزة بارز عتبة ، وعبيدة بارز شيبة •

المسلمين اربعة عشر رجلاً ، وخاطب الله سبحانه المسلمين بقوله : « ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .

قتلى الامـام :

عن الشيخ المفيد ان امير المؤمنين قتل ببدر ٣٥ رجلاً من المشركين سوى من شرك في قتله ، وكان في جملة من قتل ، حنظلة بن ابي سفيان اخو معاوية ، والعاص بن سعيد العاص الاموي ، وعقبـــة بن ابي معيط الاموي ، والوليد بن عتبة الاموي اخو هند وخال معـــاوية ، وابو قيس ابن الوليد اخو خالد بن الوليد ، واشترك في قتل عتبة جد معاوية ، ومن كلام الامام لمعاوية : وعندي السيف الذي اعضضت به اخـــاك وخالك وجدك يوم بدر .

مثل عليـا :

هذا موجز لموقعة بدر ، وقد حوت شواهد كثيرة على عظمة البدريين، ومثلاً عليا من اخلاصهم وجهادهم :

« منها » ان الآباء كانوا يقاتلون ابناءهم ، والاخوة اخوتهم ، فكان ابو بكر مع المسلمين ، وكان ولده عبدالرحمن يقاتل مع المشركين ، وكان عتبة مع المشركين ، وهو اول من بارز المسلمين ، وكان ولده ابو حذيفة مع المسلمين . وروي انه لما سحبت جثة ابيه لترمى في القليب الذي حفر لقتلى المشركين تغير لون ابي حذيفة ، فقال رسول الله : لعله دخلك من شأن ابيك شيء ؟ فقال : لا والله يا رسول الله ، ما شككت في ابي ولا في مصرعه ، ولكني حزنت ، لانه مات على الكفر .

وكان الحمزة مع رسول الله ، وكان اخوه العباس مع المشـــركين ، وكان نوفل بن الحارث مع المشركين ، وكان اخوه عبيدة مع رسول الله ،

وهو اول من استشهد بين يدي الرسول . وكان عقيل بن ابي طالب مع المشركين ، وكان اخوه علي مع الرسول [1] .

و « منها » ان المشركين لما دنوا الى القتال قال رسول الله لأصحابه : قوموا الى جنة عرضها السموات والارض . فقال عمير بن الحمام الانصاري: يا رسول الله ، جنة عرضها السموات والارض ! قال : نعم . قال . بخ بخ .. قال الرسول : وما حملك على قول بخ بخ ؟ قال : رجاء ان أكون من أهلها . فقال له النبي : انك من أهلها . ولما سمع البشارة بالجنة رمى من يده تمرات كان يأكلها ، وصاح : لئن انا حييت ، حتى آكل تمراتي هذه انها لحياة طويلة ، وبرز ، وهو يقول :

ركضنا الى الله بغير زاد الا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد

غير التقى والبر والرشاد

و « منها » ان حارثة بن سراقة كان مع رسول الله ، وقتل ، فجاءت امه، وقالت يا رسول اخبرني عن ابني حارثة ، فان كان في الجنة صبرت ، والا لين الله ما أصنع ، اي انها تبالغ في النياحة والبكاء . فقال لها الرسول : ويحك أهبلت ؟! انها جنان ثمان ، وان ابنك أصاب الفردوس الاعلى . فرضيت واطمأنت .

و « منها » ان عبدالرحمن بن عوف قال : كنت في الصف يوم بدر

---

(١) كان العباس وعقيل ونوفل قد اسلموا ، ولكن المشركين اكرهوهم على الخروج . قال السيد محسن الامين في الجزء الثاني من أعيان الشيعة ص ٢٠٢ الطبعة الثالثة : « ان العباس قال : يا رسول الله اني كنت مسلما، ولكن القوم استكرهوني . فقال له : الله اعلم باسلامك ، اما ظاهر امرك فقد كان علينا » .

فاذا شابان حديثا السن احدهما عن يميني ، والآخر عن يساري ، فقال لي كل واحد منهما سراً من صاحبه : يا عم ارني ابا جهل . فقلت : ما تصنع به ان رأيته ؟ قال : عاهدت الله ان رأيته ان اقتله ، او اموت دونه . فأشرت لهما اليه ، فشدا عليه متعقرين ، حتى تركاه بين الحياة والموت ، وقد تكاثر عليهما المشركون ، ولم يتركوهما حتى استشهدا ، فوقف الرسول على مصرعهما يدعو لهما ، ويذكر صنيعهما .

و « ومنها » ان عليا رأى اخاه عقيلا بين الاسرى ، فتجاهله وحاد عنه ، فقال له عقيل : يا ابن أم والله لقد رأيت مكاني . فتركه ، ولم يلتفت اليه ، وهو اخوه لامه وابيه .

و « منها » ان معاذ بن عمر وكان مع المسلمين ، فضربه مشرك على يده فقطعها ، وبقيت الجلدة ، فكان يمشي ويسحبها معه ، فلما آذته وضع رجله عليها ، ثم تمطى في الهواء ، حتى قطعها .

بهذا النكران للذات ، وهذه الاستهانة بالحياة غلبت الفئة القليلة الفئة الكثيرة ، وانتصر الاسلام ، وعم الشرق والغرب ، لا بالخطب في المحافل والكلام بالجرائد ، والحديث بالصالونات .

احـــد :

٢ ـ احد اسم جبل يبعد عن المدينة ثلاثة اميال على التقريب ، وكانت معركة احد في شوال سنة ثلاث من الهجرة .

عدد الجيش :

بعد ان دارت الدائرة على مشركي قريش في بدر ، اخذوا يعدون العدة للثأر ، وقد استطاعوا ان يؤلفوا جيشا من ثلاثة آلاف مقاتل ، وزحف الجيش بقيادة ابي سفيان الى المدينة ، ونزل قريبا من جبل احد ،

وكان معهم مئتا فرس ، وثلاثة آلاف بعير ، وكان خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وزوجته ريطة مع المشركين ، وأخرج ابو سفيان النساء ليحرضن الرجال على القتال ، وكما قاد هو الرجال ضد الرسول قادت النساء زوجته هند ام معاوية .

وخرج النبي (ص) لقتالهم في الف رجل ، ولكن عبدالله بن ابي رأس النفاق نادى في الطريق قائلاً : علام نقتل انفسنا ؟! ارجعوا ايها الناس ، فرجع معه ثلاثمئة ، وبقي مع النبي سبعمئة ، وحاول عبد الله بن عمرو والد جابر الانصاري ان يثنيهم عن عزمهم ، ويعود بهم الى النبي ، وقال لهم فيما قال : يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا قومكم ونبيكم ، فلم يستجيبوا له .

القتال :

رسم النبي خطة القتال ، فجعل الرماة على جبل خلف عسكر المسلمين، وكانوا خمسين راميا ، وأمَّرَ عليهم عبدالله بن جبير ، وقال لهم : احموا ظهورنا ، ولا تفارقوا مكانكم ، ان رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا ، وان رأيتمونا نغنم فلا تشاركونا .

وكان لواء المشركين مع طلحة بن ابي طلحة الملقب بكبش الكتيبة ، وهو من بني عبد الدار ، فاعطى النبي (ص) اللواء لمصعب بن عمر ، لانه من بني عبد الدار ، ولما قتل مصعب دفعه النبي الى علي ، وبرز طلحة ، وصاح : من يبارز ، فبرز اليه علي ، فقال له : من انت ؟ قال : انا علي بن ابي طالب . فقال : لقد علمت انه لا يجسر عليّ احد غيرك . وضربه الامام على فخذيه فقطعهما ، فسقط على الارض ، ولما همّ الامام ان يحتز رأسه ناشده الله والرحم ، وقيل : بل كشف عن عورته فانصرف عنه الامام ، ولكنه لم يلبث بعد الضربة الا قليلا .

قال صاحب اعيان الشيعة في الجزء الثاني ص ٢٣٢ الطبعة الثالثة :

« روى الطبري انه لما قتل علي بن ابي طالب اصحاب الالوية ابصر رسول الله جماعة من المشركين ، فقال لعلي : احمل عليهم ، فحمل عليهم وفرق جمعهم ، وقتل عمرو بن عبدالله الجحمي ، ثم ابصر جماعة اخرى ، فقال لعلي : احمل عليهم ، فحمل عليهم ، ففرق جمعهم ، وقتل شيبة بن مالك ، فقال جبريل : يا رسول الله ان هذه لهي المواساة . فقال الرسول : انه مني ، وانا منه ، فقال جبريل : وانا منكما ، قال : فسمعوا صوتا :

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي

وفي ارشاد المفيد ان أصحاب اللواء كانوا تسعة قتلهم علي بن ابي طالب عن آخرهم ، وانهزم القوم » .

اجل ، انهزم المشركون لا يلوون على شيء ، وانتقضت جموعهم بسيف علي ، وسيف عمه الحمزة بن عبدالمطلب ، اسد الله واسد رسوله ، وأطلقت هند ساقيها الى الريح مع صويحباتها ، ونادين بالويل والثبور . قال الواقدي : « ما ظفر الله نبيه في موطن قط ما ظفره واصحابه يوم احد » .

ولكن الرماة عصوا الرسول ، وأخلوا مكانهم الذي رتبهم النبي فيه بعد ان رأوا هزيمة المشركين ، ونظروا الى اخوانهم المسلمين ينتهبون الغنائم ، وردعهم اميرهم عبدالله بن جبير . وقال لهم : أطيعوا الله والرسول فأبوا ، وقال بعضهم : علام نقيم هنا ، وقد هزم الله العدو ، وهؤلاء اخواننا ينتهبون عسكرهم ، ثم انطلقوا للسلب والنهب ، ولم يبق مع ابن جبير الا عشرة رجال ، ولما رأى خالد بن الوليد ان ظهر المسلمين قد خلا كرَّ في مئتي فارس ، على من بقي مع ابن جبير ، فأبادهم ، وقتل ابن جبير بعد ان قاتل قتال المستميت . وتجمع المشركون من جديد

وأحاطوا بالمسلمين ، وهم ينتهبون الغنائم ، وأطبقوا عليهم من الامـــام والخلف وأوقعوهم بين شقي الرحى •

وتر المسلمون عن النبي (ص) ولم يبق معه الا نفر قليل ، على رأسهم علي بن ابي طالب ، وابو دجانة ، وسهل بن حنيف ، وقد استماتوا في الدفاع عن النبي • وعن الطبري ان عمر وعثمان كانا من المهزومين ، وقاتل رسول الله اشد قتال ، فرمى بالنبل ، وضرب بالسيف ، وقد تجمع عليـه المشركون ، وحاولوا قتله بكل سبيل ، ورمي بحجر تكسر انفه ورباعيتـه السفلى ، وشقت شفته ، واصابته ضربة في جبهته الشريفة • فسال الدم على وجهه ، واغمي عليه مما ناله ، ولما فتح عينيه نظر الى عـــلي ، وكان الى جنبه لا يفارقه ، وقال : ياعلي ما فعل الناس ؟ قـــال : نقضوا العهـــد وولو الدبر • فقـــال له : أكفني هؤلاء الذين قصدوا قصدي ، فحمل عليهم ، فكشفهم ، فعادوا الى الرسول من ناحيـــة اخرى ، فقـــال له : اكفنيهم ، فحمل عليهم وكشفهم عنه ، وهكذا كلما كروا على النبي انقض عليهم علي كالصقر يفرق جمعهم ، ويدفعهم عنه ، ومن هنا عرف الامام بكاشف الكربات عن وجه الرسول ، ولان النبي (ص) كان يناديـــه عند الشدائد نادى الشيعة باسمه في الملمات •

ولما يئس المشركون من قتل النبي برغم جميع المحاولات فترت همتهم وقفلوا راجعين بعد ان قتل من المسلمين سبعون رجلاً بعـــدد من قتل في بدر من المشركين (١) •

وحين عاد النبي (ص) الى المدينة استقبلته فاطمة ، ومعها اناء فيـــه ماء ، فغسل وجهه ، ولحقه الامام ، وقد خضب الدم يده ، الى كتفـــه ،

---

(١) لم نتعرض هنا لاستشهاد الحمزة اسد الله واسد رسوله ، لاننـــا عقدنا له فصلا خاصا من هذا الكتاب ، فليراجع •

ومعه ذو الفقار ، فناوله فاطمة ، وقال خـذي هذا السيف ، فقـد صدقني اليوم ، فقال لها رسول الله : خذيه يا فاطمة ، فقد ادى مـا عليه ، وقتل الله بسيفه صناديد قريش •

ولندع قول القائلين ، ونرجع الى كتاب الله وآي الذكـر الحكيم ، ونقارن بين آيتين من سورة آل عمران نزلتا بسبب معركة احد باتفـاق المفسرين :

الآية الاولى « وما محمد الا رسول قـد خلت من قبله الرسل آفان مات او قتل انقلبتم على اعقـابكم ومن ينقلب على عقبيـه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ـ ١٤٤ » •

قال المفسرون واهل السير : ان المسلمين سمعوا صارخا يقول : قتـل محمد ، ففر اكثرهم ، ومنهم من شك في دينه ، وقال : ليت عبدالله بن ابي ـ وهو رأس النفاق ـ يأخذ لنا الامان من ابي سفيان ، وقال آخرون لو كان نبيا لما قتل • فانزل الله فيهم انهم انقلبوا وارتـدوا ، ويكفـي لثبوت الردة مجرد الشك في نبوة محمـد ، ويكفي للذم مجـرد الفرار عن رسول الله ، وتركه وحيدا بين الاعداء يحيط به ثلاثة آلاف فارس •

الآية الثانية قوله تعالى : « وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فمـا وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا ومـا اسـتكانوا والله يحب الصابرين ـ ١٤٦ » •

قال الرازي الاشعري في تفسيره الكبير : « اعلم انه من تمام تأديبـه قال للمنهزمين يوم احد : ان لكم بالانبياء المتقدمين واتباعهم اسوة حسنة ، فلمـا كانت طريقة اتباع الانبياء المتقدمـين الصبر على الجهـاد ، وترك الفرار ، فكيف يليق بكم الفرار والانهزام ؟! ••»

ثم قال الرازي عن الذين ثبتوا ولم ينهزموا : « قال صاحب الكشاف : ما وهنوا عند قتل النبي ، وما ضعفوا عن الجهاد بعده ، وما استكانوا للعدو ، وهذا تعريض بما اصابهم - اي المهزومين - من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسولهم ، وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين ، واستكانتهم للكفار ، حتى ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبدالله بن ابي ، وطلب الامان من ابي سفيان » .

ثم قال الرازي : « ومعنى قوله تعالى : والله يحب الصابرين ان من صبر على تحمل الشدائد في طريق الله ، ولم يظهر الجزع والعجز والهلع فان الله يحبه ، ومحبة الله للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وتعظيمه ، والحكم له بالثواب والجنة ، وذلك نهاية المطلوب » .

ومهما اختلف المفسرون واهل السير في عدد الذين ثبتوا مع النبي (ص) يوم احد فانهم متفقون جميعا على ان عليا كان مع الرسول جنبا الى جنب يذب عنه ، ويلقى بنفسه في المهالك من اجله ، فلا احد ، اذن ، اولى من علي بمحبة الله وكرامته واعزازه وتعظيمه .

الردة بعد موت الرسول :

وهنا ظاهرة تستلفت النظر ، وتدعو الى التساؤل ، وهي ان الذين خاصموا عليا ، ونصبوا له العداء بعد موت الرسول ، وصدوه عن حقه هم بالذات الذين ابنتهم وقرعتهم آية « أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم » فهل يا ترى بعد أن مات النبي (ص) نقض هؤلاء العهد وارتدوا عن دينهم ، تماما كما فعلوا يوم احد ؟! ..

ومهما يكن ، فقد جاء في كتاب الجمع بين الصحيحين . صحيح البخاري ، وصحيح مسلم « ان النبي قال : ليردن علي الحوض رجال

ممن صحبني ، حتى اذا رأيتهم ، ورفعوا الي رؤوسهم اختلجوا ، فلأقولن : أي رب أصحابي ، فليقالن لي : انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ؟! » • وهذا حديث صحيح صريح بان من الصحابة من ارتد عن دينه بعد الرسول •

واذا عطفنا هذا الحديث على حديث الثقلين : كتاب الله والعترة الذي رواه الامام احمد في مسنده ، ومسلم في صحيحه ، وعطفناه ايضا على حديث علي مع الحق الذي رواه الترمذي في سننه التي هي احد الصحاح الستة عند السنة ، وعطفناه ايضا على حديث « من أطاع عليا فقد أطاعني ، ومن عصاه فقد عصاني » الذي رواه الحاكم في مستدركه اذا ضممنا هذه الاحاديث بعضها الى بعض تكون النتيجة الحتمية ان الذي ثبت على دينه بعد الرسول هو علي ومن والاه ، وأطاعه ، والذي انقلب وارتد هو الذي عصاه وعاداه •

للدرس والعظة :

ومن الخير ان نذكر بعض ما حدث في احد للدرس والعظة ، كما فعلنا عند الكلام عن وقعة بدر •

انس بن النضر :

حين رأى انس بن النضر المنهزمين صاح بهم ، وقال : ماذا تصنعون بالحياة بعد نبيكم !•• موتوا على ما مات عليه رسول الله ، وان كان محمد قد قتل ، فان رب محمد لم يقتل ، ثم استقبل الموت ، فقاتل ، حتى قتل ، رضوان الله عليه •

ابو دجانة الانصاري :

جاء في الجزء السادس من كتاب البحار للمجلسي ، ان النبي قال

لابي دجانة يوم احد ، وبعد هزيمة الناس : « انصـــرف فانت في حـل من بيعتي » ، فبكى ابو دجانة ورفع رأسه الى السماء ، وقال : لا والله ، الى أين انصرف ؟•• الى زوجة تموت ، أو ولد يموت ، او دار تخرب ، او مال يفنى ، او أجل قد اقترب !•• فكان يقاتل هو في ناحية ، وعلي في ناحية ، ولما أثخن بالجراح سقط على وجهه ، فاحتمله علي ، ووضعه جانبـــا •

سعد بن الربيع :

بعد انتهاء المعركة قال رسول الله : من ينظر لي سعد بن الربيـع ؟ أفي الاحياء هو أم في الاموات ؟ فقال رجل من الانصار : انا يا رسول الله ، فبحث عنه ، فوجده جريحا بين القتلى ، وبه رمق ، فقـــال لـــه : ان رسول الله امرني ان انظر : افي الاحيـاء انت او في الاموات ؟• قـــال : انا في الاموات ، ابلغ رسول الله عني السلام ، وقل له ان سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله خير ما جزى نبيـــا عن امته ، وابلغ عني قومـــك السلام ، وقل لهم : ان سعدا يقول لكم : انه لا عذر لكـم عنـد الله ان خلص الى نبيكم ، وفيكم عين تطرف ، ثم تنفس فخرج منـــه مثـــل دم الجزور ، ومات •

فعاد الانصاري الى الرسول ، وأخبره فقال : رحم الله سعدا نصـرنا حيا ، واوصى بنا ميتا •

وما أشبه حال سعد هذا بحال مسلم بن عوسجة ، حيث قـال ، وهو يلفظ النفس الاخير لحبيب بن مظاهر : اوصيك بهذا ، واهوى بيده الى الحسين ، ان تموت دونه •

حمنة بنت عمة النبي :

لما انصرف النبي الى المدينة استقبلته حمنة بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب ، وهي اخت زينب بنت جحش زوجة الرسول ، فقال النبي لحمنة : احتسبي ، قالت : من يا رسول الله ؟ اي تسأله عن الذي قتل قال : اخاك عبدالله ، فاسترجعت ، واستغفرت له ، وهنأته بالشهادة ، ثم قال لها : احتسبي قالت : من يا رسول الله ؟ قال : الحمزة بن عبد المطلب خالك ، فاسترجعت ، واستغفرت له ، وهنأته بالشهادة ، ثم قال احتسبي ، قالت : من يا رسول الله ؟ قال : زوجك مصعب بن عمير فقالت : واحزناه ، وولولت ، وصاحت ، فقال رسول الله : ان زوج المرأة منها بمكان ما هو لأحد .

نسيبة المازنية :

قال صاحب البحار في الجزء السادس : كانت نسيبة بنت كعب المازنية تخرج مع رسول الله في غزواته تداوي الجرحى ، وكان ابنها معها في أحدْ ، فأراد أن ينهزم مع الذين انهزموا ، فحملت عليه وقالت : الى أين يا بني تفر عن الله ورسوله ، فردته ، وحمل عليه رجل فقتله ، فأخذت سيف ابنها ، وضربت به قاتل ولدها على فخذه ، فقتلته ، فقال لها رسول الله : بارك الله عليك يا نسيبة ، وكانت تقي رسول الله بصدرها وثدييها ، حتى اصابتها جراحات كثيرة .

صفية عمة الرسول :

اقبلت صفية بنت عبدالمطلب ، لتنظر الى الحمزة ، وكان اخاها لابيها وامها ، فقال النبي لابنها الزبير : ارجعها ، حتى لا ترى ما بأخيها ، فأعلمها الزبير بأمر رسول الله ، فقالت : ولمَ ، وقد بلغني

انه مثل بأخي ، وهذا قليل في الله ، فما ارضانا بما كان ، لاحتسبن واصبرن .

وهل يصدر هذا الا من الذين اذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا ؟! يسمع احدنا كلمة نابية في سبيل الحق فيتأفف ، ويصرخ ويمن على الله والناس ويسميه البعض بالمجاهد المصلح ..

امرأة من بني دينار :

نقل صاحب الاعيان عن الطبري ان امرأة من بني دينار استشهد زوجها واخوها وابوها في أحد مع رسول الله ، فلما نعوهم لها قالت : فما فعل رسول الله ؟ قالوا : هو بحمد الله كما تحبين ، قالت أروني اياه ، حتى انظر اليه ، فلما رأته ، حمدت الله ، وقالت : كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله .

غسيل الملائكة :

كان حنظلة مع النبي ، وكان ابوه ، ابو عامر ، مع ابي سفيان ، وهو من الخزرج ، وصادف ان حنظلة تزوج في الليلة التي كانت حرب احد في صبيحتها ، واستأذن حنظلة الرسول ان يبقى مع اهله ، فنزلت هذه الآية : « ان الذين يستأذنوك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ـ ٦٣ النور » فأذن له الرسول وتخلف حنظلة عند اهله ، ولكنه حين اصبح ، وسمع هواتف الحرب انخلع من احضان عرسه ، وهرع الى ساحة الجهاد ، وكان لا يزال جنبا ، ولكن عرسه تعلقت به . واشهدت عليه اربعة نفر من الانصار على انه واقعها ، ولما قيل لها : لم فعلت ذلك ؟ قالت : رأيت في هذه الليلة في

نومي ان السماء قد انفرجت ، فدخل فيها حنظلة ، ثم انضمت ، فعلمت انها الشهادة ، فكرهت ان لا اشهد عليه ، فحملت منه .

وذهب حنظلة الى ساحة الوغى ، فجاهد ، حتى استشهد ، وقال رسول الله : رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والارض بماء المزن في صحائف من ذهب .

الاحـزاب :

٣ ـ سميت الاحزاب ، لأن جيش العـدو كان مؤلفا من قريش ، وسائر القبائل ، على ما بينها من التنافر والعـداء ، ومن الموالي واليهـود ، وكان عـدده عشرة آلاف بقيادة ابي سفيان والد معاويـة ، وجـد يزيد ، وظن ابو سفيان انه بهذا الجيش الكثيف يستطيع ان يضـرب محمد الضربة القاضية ، ويستأصله ومن معه . وكانت هذه الغزوة في ذي القعدة السنة الخامسة من الهجرة .

الخنـدق :

وتسمى ايضا غزوة الخندق ، لأن النبي لما علم بهذا الجيش الضخم اخبر اصحابه ، وشاورهم فيما ينبغي عمله ، فأخذتهم الحيرة ، ولم يهتدوا الى سبيل ، لأن القتال والالتحام وجها لوجه لا يضمن لهم النصـر ، فأنقذ سلمان الفارسي الموقف برأيه وحكمته ، وقال : يا رسول الله كنـا بفارس اذا حاصرنا العـدو خندقنا على أنفسـنا ، فأعجب ذلك المسلمون وفرحوا به : وقال المهاجرون : سلمان منا ، وقال الانصار : سلمان منـا فقال النبي : سلمان من اهل البيت . وتم حفر الخنـدق في ستة ايام ، وكان النبي يحفر ويحمل التراب بنفسه .

الخـوف :

وصف الله سبحانه خوف المسلمين من الاحزاب ، فقـال : « واذ زاغت الابصـار وبلغت القلوب الحنـاجر وتظنون بالله الظنون ـ ١٠ الاحزاب » وقـال المنافقون : كان محمد يعدنا كنوز كسـرى وقيصر ، واحدنا اليوم لا يأمن على نفسه ان يذهب الى الغائط ..

ولما رأى النبي اشتداد البلاء على الناس ، وضعف قلوبهم ، ووهنهـم اراد ان يرد عنهم قبيلة غطفـان التي تحالفت مع ابي سفيان ، وذلـك ان يعطي النبي لغطفان ثلث ثمار المدينة ، ولكن سادة الاوس والخزرج ابوا ، وقالوا للنبي : كنا وهؤلاء القوم على الشرك وعبـادة الاوثان ، وهـم لا يطمعون ان يأكلوا منا تمرة واحدة الا قرى او بيعـا ، أفحين اكرمنـا الله بالاسلام ، وأعزنا بك وبه نعطيهم اموالنـا ، لا والله لا نعطيهـم الا السيف ، والله يحكم بيننا وبينهم . فقال لهم : انتم وذاك .

القتـال :

ودام حصار الجيوش للمسلمين اكثر من عشرين يوما ، ليس فيهـا قتال الا الترامي بالنبل والحجارة ، ثم ان خمسة فوارس مـن قريش ، وهم عمرو بن ود ، وعكرمة بن أبي جهـل ، ونوفل بن عبـد الله بن المغيرة وهبيرة بن أبي لهب اقتحموا الخنـدق من مكان ضيق ، وركـز عمرو رمحه في الارض ، واخذ يجول ، ويرتجز ويطلب البراز فقام علي ، وقال : أنا له يا نبي الله . فقال : اجلس . ثم كـرر عمرو النـداء ، وجعل يهزأ بالمسلمين ، ويقول : أين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم دخلها ؟! . فقام علي ثانية ، فاجلسه النبي ، ونادى عمرو الثالثة ، فقام علي وأذن له النبي ، وقال : ادن مني ، فدنا منه ، فعممه بيـده ، وقـال : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، وحـين

برز علي لعمرو قال النبي : برز الايمان كله الى الشرك كله . وقال عمرو لعلي من انت ؟

قال : انا علي بن ابي طالب .

قال : ان اباك كان لي صديقا ونديما ، واني اكره ان اقتلك [1]

قال علي : ولكن والله ما اكره ان اقتلك .

ثم قال له علي : يا عمرو انك كنت تقول : لا يدعوني احد الى واحدة من ثلاث الا قبلتها . قال : اجل . قال : ادعوك ان تشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله . قال : نح هذه عني . هات الثانية . قال : ترجع الى بلادك ، فان يك محمدا صادقا كنت اسعد الناس به ، وان يك كاذبا كان الذي تريد . قال : اذن تتحدث عني نساء قريش اني جبنت ، وخذلت قوما رأسوني عليهم . ثم قال : هات الثالثة . قال : البراز . قال : هذه خصلة ما كنت أظن ان احدا من العرب يروعني بها . فقال علي : كيف أقاتلك وانت فارس ، وانا راجل ، فاقتحم عن فرسه ، وعقره ، وسل سيفه كأنه شعلة نار ، وبدأ الامام بضربة ، فاتقاها بالدرقة فقدها السيف ، وشج رأس الامام . فضربه علي على ساقيه فقطعهما جميعا ، فسقط على الارض ، فأخذ علي بلحيته وذبحه ، وأخذ رأسه بيده هدية الى الرسول ، وأقبل والدماء تسيل على وجهه من ضربة عمرو ، ورأس عمرو بيده يقطر دما ، وكان وجه علي يتهلل فرحا . وطرب المسلمون لهذا النصر والمنظر الرائع ، وصفقت له قلوبهم ، بعد ان بلغت الحناجر من الخوف ، وعادت السكينة الى نفوسهم

---

(١) قال ابو الخير استاذ ابن ابي الحديد : والله ما طلب عمرو الرجوع من علي الا خوفا منه ، فقد عرف قتلاه ببدر وأحد ، وعلم ان هو بارز عليا قتله علي ، فاستحى ان يظهر الفشل ، فاظهر هذا الادعاء ، وانه لكاذب .

بعد ان شككوا بالله وبالرسول ، وظنوا به الظنون • ولما وصل علي الى النبي ألقى رأس عمرو بين يديه ، فقام ابو بكر وعمر وقبلا رأس علي • وقال له عمر : هلا سلبته درعه ، فانه ليس في العرب مثلها ؟! فقال : اني استحييت ان أكشف سوءته •

وجزع الاعداء لمقتل سيدهم ، وأصابهم من الخوف ما أصاب المسلمين في بدء الامر ، وبذلوا لرسول الله عشرة آلاف درهم ، ليعطيهم جثة عمرو ، فقال : هي لكم ، ولا نأكل ثمن الموتى •

ثم أرسل الله على المشركين الريح العاتية في ليال شاتية شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح اخبيتهم ، وما عتم الليل ، حتى نادى ابو سفيان بالرحيل وقال : يا معشر قريش ، ان كنا نقاتل أهل السماء بزعم محمد ، فلا طاقة لنا بأهل السماء • وحين علم النبي برحيلهم قال : الآن نغزوهم ، ولا يغزوننا •

وكفى الله المؤمنين القتال :

جاء في الجزء الثاني ص ١٧٤ من كتاب « دلائل الصدق » انالسيوطي قال في الدر المنثور • ان ابن مسعود كان يقرأ « وكفى لله المؤمنين القتال بعلي بن ابي طالب » ونحن نهمل هذه القراءة ، وان تك بفضل علي عن طريق السنة ، لأن القرآن لا زيادة فيه ، ولا نقصان بضرورة الدين واجماع المسلمين ، وفي الوقت نفسه نؤمن بأن فشل المشركين وعدم حاجة المسلمين الى القتال يرجع الى أسباب عديدة ، لا الى سبب واحد ، منها دعاء النبي ، وابتهاله الى الله سبحانه ان يدفع الاذى عن الاسلام وأهله ، ومنها قتل علي عمرا ، ومنها اشارة سلمان بحفر الخندق ، ومنها الريح العاتية •• اذن ضربة علي احد الاسباب ، بل أهمها جميعا ، لان قتل عمرو ـ وهو رأس الجيش وعماده الاول ـ قد

ألقى الرعب في قلوب الاعداء ، وأذلهم ، وأمال كفتهم الى الهبوط ، بعد ان كان المقدر لها الارتفاع ، كما بعث الثقة والاطمئنان في نفوس المسلمين ، فرجوا النصر بعد اليأس منه .

لقد قلبت ضربة علي يوم الخندق الوضع رأسا على عقب ، فجعلت القوي ضعيفا والضعيف قويا ، ومن هنا قال النبي : « لضربة علي يوم الخندق افضل من عمل الثقلين » (١) وعن الحاكم في كتاب المغازي من المستدرك ج٣ ص ٣٤ « ان يحي بن آدم قال : ما شبهت قتل علي عمراً الا بقول الله عز وجل : وقتل داود جالوت فهزمهم باذن الله » .

والكلام متسع عن ضربة علي يوم الخندق ، وقد عقدنا لها فصلا خاصا في كتاب « علي والقرآن » .

سلمان الفارسي :

كان الامام الصادق يسميه سلمان المحمدي ، وعن عائشة انه كان لسلمان مجلس خاص من رسول الله ينفرد به ، وقال الامام الصادق :

كان سلمان يحب الفقراء والعلم والعلماء . وقال ابن ابي الحديد : سلمان رجل من الفرس ، وهو معدود من موالي رسول الله وكنيته ابو عبدالله ، وكان اذا قيل له ابن من انت ؟ قال : انا ابن الاسلام ، انا من بني آدم ، وآخى النبي بينه وبين ابي ذر .

وبعد النبي عين اميرا على المدائن ، فكان يعمل بيده ويأكل ، ولا يأخذ من بيت المال شيئا ، وكان عطاؤه خمسة آلاف ، فاذا خرج مع عطاء المسلمين اخذه وتصدق به على المحتاجين ، وأكل من عمل يده .

وخطب بعد موت رسول الله ، فقال : أيها الناس خذوا حديثي

(١) انظر المواقف للايجي ٨ ص ٣٧٢ سنة ١٩٠٧

واعقلوه ، الا واني لو حدثتكم بكل ما اعلم من فضائل علي بن ابي طالب لقالت طائفة منكم : هو مجنون ، وقالت اخرى : اللهم اغفر لقاتل سلمان ، الا ان لكم منايا وبلايا ، وان عند علي بن ابي طالب علم المنايا والبلايا ، وميراث الوصايا ، وفصل الخطاب •

خيبر :

٤ ـ خيبر اسم مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع وقلاع ونخل كثير ، وهي في ارض الحجاز ، وسكانها من اليهود ، وتبعد عن المدينة المنورة اربعة ليالٍ ـ على التقريب ـ وكانت غزوة خيبر في جمادي الاولى السنة السابعة من الهجرة •

عدد الجيش :

بعد ان فشلت الاحزاب قويت شوكة المسلمين في الجزيرة العربية ، واصبح العرب واليهود يحسبون للنبي وصحبه الف حساب ، وخاف يهود خيبر على أنفسهم فشرعوا يتصلون ببعض القبائل والاعراب ليؤلفوا جبهة ضد المسلمين ، وكان النبي متيقظا لهذه المؤامرة ، فألف جيشا من الف واربعمئة مقاتل وغزا يهود خيبر في عقر دارهم •

القتال :

لمابلغ المسلمون خيبر تحصن اليهود ، وراحوا يكافحون من وراء الجدران ، فحاصرهم النبي اكثر من عشرة ايام ، ثم عزم على فتح الحصون بكل وسيلة • وهنا اترك الكلام للاستاذ عبدالرحمن الشرقاي[1]

---

(١) من كبار الادباء وقادة الفكر المصريين في هذا العصر • وله شهرة واسعة في البلاد العربية •

لقد نشر مقالا طويلا في جريدة المساء المصرية عدد ٢٧ أيار سنة ١٩٦١ تكلم فيه عن غزوة خيبر ، قال ما نصه بالحرف الواحد :

« رأى محمد ان يحشد كل قواه الضاربة لفتح هذا الحصن ، فاجتماع اليهود فيه يجعلهم اقدر على الفتك بالمسلمين •• وجمع محمد جيشه ، وامرهم ان يفتحوا الحصن ، وسلم ابا بكر راية الجيش •• ولكن ابا بكر لم يقتحم الحصن •

وفي اليوم التالي جعل القيادة لعمر بن الخطاب •• وحارب عمر يومه كله ، ولكنه لم يستطع ان يقتحم الحصن ، وان كانت ابواب الحصن بدأت تلين •• غير ان اليهود ظلوا في موقعهم المنيع يسددون سهامهم دون ان يخرج منهم رجل واحد للقتال في السهل المكشوف •

فدعا محمد اليه علي بن ابي طالب ، وقال له : خذ هذه الراية فتح الله عليك • وقرر علي ان يحمل جنود اليهود على الخروج الى السهل ••

وخلع علي عنه الدرع ، ليكون خفيف الحركة ، وطالب رجاله ان يتخففوا من الدروع التي تثقلهم ليكونوا خفافا •• وانصرف وفي ذهنه وصية قائده محمد : انفذ على رسلك ، حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم الى الاسلام ، فان لم يطيعوا فقاتلهم ، فو الله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم • وصمم علي ان يدعوهم الى الاسلام لعلهم يستجيبون ••

وتقدم فدعاهم الى الاسلام ، ولكنهم سخروا به •

فطالبهم ان يحاربوا المسلمين رجلا لرجل ، ويبعثوا اليه شجعانهم ليبارزهم هو بنفسه ، وخرج اليه الحارث احد شجعانهم ، فصرعه علي ، وخرج اليه رجل آخر فصرعه ، واذ ذاك تعالت من المسلمين صيحات السخرية بقوة شجعان اليهود ، وسأل علي شجعان خيبر ان يبعثوا اليه

برجل يثبت في المعركة ، وخرج اليه مرحب ، وكان هو حقا سيد فرسان خيبر ٠

خرج الى علي بطينا في كبرياء وثقة مطمئنة مهيبا ضخما بيده حربة مخيفة ذات ثلاثة رؤوس ، وكل جسده الفارع الشاهق في الزرد ، والحديد يغطي رأسه وساقيه ، وليس في كل بدنه ثغرة ينفذ منها سيف العدو ٠٠

وتقدم اليه علي بقامته المعتدلة بلا درع ، في يده السيف وحده ، وتوقع المسلمون واليهود جميعا أنها نهاية علي ٠٠ ولكن علي استطاع ان يحسن الاستفادة من تخففه من الدروع والزرد ، وترك علي مرحبا يتقدم اليه بدروعه وزروده وحربته ٠٠ حتى اذا اوشك سن الحربة ان يمس صدر علي تراجع علي فجأة ، ثم قفز في الهواء متفاديا حربة مرحب ، ثم اقتحم وأهوى بكل قوته على رأس مرحب بالسيف ، وانفلق الحديد من على رأس مرحب ، وسقط سيف علي على الجمجمة فشقها نصفين ، وهوى مرحب وسط ذعر اليهود وعجبهم ، وصيحات النصر ترتفع من معسكر المسلمين ٠

واندفع علي الى باب الحصن هو ورجاله يدكونه بكل طاقاتهم ، حتى اقتحموه ، واليهود الذين أذهلهم موت مرحب يفرون فزعين الى حصن آخر ٠ غير ان المقاومة لم تدم طويلا ٠٠ فقد أعلن اليهود انهم مستعدون للاستسلام » ٠

باب خيبر :

تكلم الناس كثيرا عن اقتلاع علي باب الحصن الخيبري ، وتحدثوا حوله باحاديث تشبه الاسطورة والخيال ، منها انه اقتلعه بكفه اليمنى ، وجعله جسرا على الخندق تعبر عليه الجيوش ، وكان اليهود قد خصصوا

اثنين وعشرين رجلاً لاغلاقه وفتحه بالنظر لثقله وضخامته ، ومنها ان الامام رمى به في الهواء فارتفع عشرات الامتار ، ومنها انه اتخذه ترسا يقي به نفسه من الضربات ، الى غير ذلك من الحكايات التي منحت الامام لقب « قالع الباب » حتى قال الشاعر فيه :

يا قالع الباب الذي عن هزه   عجزت أكف اربعون واربع

ومهما يكن ، فان دلت هذه الحكايات على شيء فانما تدل على شجاعة الامام في نفسه ، وقدرته العجيبة الخارقة في بدنه .

ولندع هذه الحكايات ، وننظر الى ما جاء في كتب السنة في علي وباب خيبر ، قال الطبري : « لما دنا علي من الحصن خرج اليه اهله ، فقاتلهم ، فضربه رجل من اليهود ، فطاح ترسه من يده ، فتناول علي بابا كان عند الحصن ، فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم القاه من يده حين فرغ ، وقد اجتهد ثمانية نفر على ان يقلبوا ذلك الباب فلم يقلبوه » . وقال ابن هشام في السيرة : « وألقى علي الباب وراء ظهره ثمانين شبرا ، وفي رواية ان عليا لما انتهى الى باب الحصن اجتذبه فألقاه بالارض ، فاجتمع عليه بعده سبعون رجلا حتى أعادوه الى مكانه [1] » .

والاستاذ الشرقاوي ـ كما رأينا ـ لم يأت على ذكر الباب واقتلاعه ولم يشر اليه من قريب او بعيد ، ولكن تصويره الرائع للمبارزة بين علي ومرحب يوحي بقدرة علي العجيبة الخارقة لكل عادة ، تماما كما توحي بها تلك الحكايات التي أشرنا اليها ، فان اقتلاع الباب ، وجعله جسرا على الخندق ليس بأعجب ولا أغرب من قفزة علي في الهواء ، وضربته التي فلقت الرأس والجمجمة الغارقة في الحديد من قرنها الى قدمها .

(١) أنظر اعيان الشيعة ج٢ ص٣١٦ طبعة ١٩٥٠ .

كرار غير فرار :

قال العلامة الحلي في كتاب « نهج الحق » :

« جاء في مسند احمد من عدة طرق ، وصحيحي مسلم والبخاري من طرق متعددة ، وفي الجمع بين الصحاح الستة ايضا عن عبدالله بن بريدة ، قال : سمعت ابي يقول : حاصرنا خيبر ، وأخذ اللواء ابو بكر ، فانصرف ، ولم يفتح له ، ثم اخذه عمر من الغد ، فرجع ، ولم يفتح له ، وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد ، فقال رسول الله (ص) : اني دافع الراية غدا الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار ، لا يرجع ، حتى يفتح الله له .

فبات الناس يتداولون ليلتهم ، ايهم يعطاها ؟. فلما أصبح الناس غدوا الى رسول الله (ص) كلهم يرجو ان يعطاها . فقال النبي : اين علي ابن ابي طالب ؟ فقالوا انه أرمد العين . فأرسل اليه ، فأتى ، فبصق رسول الله (ص) في عينه ، ودعا له فبرىء ، فأعطاه الراية ، ومضى علي فلم يرجع ، حتى فتح الله على يديه » .

وقال الفضل بن روزبهان ـ وهو من اعلم علماء السنة ـ معقبا على قول العلامة الحلي : « حديث خيبر صحيح ، وهذا من الفضائل العلية لامير المؤمنين ، لا يكاد يشاركه فيها أحد ، وكم من فضائل مثل هذا ».

وقال الشيخ محمد حسن المظفر في كتاب «دلائل الصدق» : أن الحديث الذي نقله العلامة عن صحيح البخاري وصحيح مسلم والجمع بين الصحاح الستة ، ومسند احد نقله الحاكم ايضا في كتاب « المغازي » من المستدرك ج٥ ص ٣٥٨ ، وصاحب « كنز العمال » ج٦ ص ٣٩٤ ، والطبري في تاريخه ج٣ ص٩٣ ، وابن الاثير في ج٢ ص١٩٥ .

وفي هذا أبلغ الدلالة وأصدقها على تثبت الامامية في نقل الاحاديث ، وكل ما له صلة بعقيدتهم •

دلائل الصدق :

ومن الخير أن نشير بهذه المناسبة الى قصة كتاب « دلائل الصدق » للشيخ المعظم الشيخ محمد حسن المظفر الذي لم تحو المكتبة الاسلامية نظيرا له • الف العلامة الحلي كتاب « نهج الحق وكشف الصدق » اثبت فيه عقيدة الشيعة الامامية بالبرهان ، ودافع عنها بما جاء في كتب السنة بالذات ، فرد عليه الفضل بن روزبهان الاشعري بكتاب أسماه «ابطال الباطل» فجمع الشيخ المظفر الكتابين في كتاب واحد ، ورد على الفضل ، وانتصر للعلامة وزاد عما ذكره العلامة من الادلة والارقام اضعافا مضاعفة ، وذكر اسم الكتاب ورقم الصفحات التي ينقل عنها ، وسمى المجموع « دلائل الصدق » وقد جاء في ثلاثة مجلدات ، ويبلغ عدد صفحاته ما يقرب من الف وثلاثمئة صفحة بالقطع الكبير ، وطبع على ورق ابيض في طباعة حديثة رائعة • وهو يغني عن كل كتاب قديم وحديث في هذا الباب ، لأن صاحبه من اعاظم علماء الامامية في هذا القرن ، فهو متقدم في علمه ، متأخر في زمنه ، فأحاط بعلوم الاولين ، وزاد عليها ما لا يقبل المزيد • رضوان الله عليه ورحمته ، وشكر جهوده المثمرة النافعة ، وجعل حظه من الجنان حظ الأولياء والصديقين •

حنين :

٥ ـ حنين اسم وادٍ قريب من الطائف ، ويبعد عن مكة ثلاث ليالٍ ، وكانت غزوة حنين في شهر شوال السنة الثامنة من الهجرة ، وفتح مكة كان في شهر رمضان المبارك من السنة نفسها •

عدد الجيش :

لما فتح الله على نبيه مكة المكرمة خافتـــه هوازن وثقيف ، فجمعـــوا لحربه ثلاثين الف مقاتل ، وبلغ رسول الله ما اجمعوا عليه ، فتهيأ للقائهم باثني عشر الف رجل ، عشرة آلاف من اصحابه الذين فتح بهـــم مكة ، والفان ممن اسلم بعد الفتح ، ومنهم الطلقاء امثال ابي سفيان وابنه معاوية .

القتـــــال :

توجه النبي بجيشه الى هوازن ، وكان طريقه على وادي حنين ، وكان واديا ضيقـــا أجوف منحدرا ، ينحط فيـــه الركب ، كـــأنهم يسيرون في هاوية ، وكان جيش العدو قد سبقهم الى احتلال مضايقــه ، وكمن فيها ، وما ان وصل المسلمون الى الوادي ، حتى امطرهم العدو بوابل من السهام، فانهزم الناس وتفرقوا عن النبي لا يلوي احد على احـــد ، وكـــان اول المنهزمين الطلقاء أبا سفيان ، ومن لف لفه ، ونظر أبو سفيان الى هـــذه الهزيمة نظرة الشامت الحقود ، وفرح فرحا شديدا ، وقال : « لا تنتهي هزيمتهم دون البحر » .

وثبت مع رسول الله علي شاهرا سيفه بين يدي الرسول ، والعباس ابن عبدالمطلب ، وكان آخذا بلجام بغلة الرسول ، والفضـــل بن العباس عن يمين النبي ، والمغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب عن شمالــه ، وحـــين رأى المشركون انهزام المسلمين خرجوا من شعاب الوادي ، ومضايقـــه مصلتين سيوفهم ، وقصدوا رسول الله ، فقال النبي لعمه العباس ، وكـــان جهوري الصوت : ناد القوم ، وذكرهم العهد ، فنادى بأعلى صوتـــه : يا أهل بيعة الشجرة ، يا أصحاب سورة البقرة الى أين تفرون ؟ اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله (ص) ، فلما سمع الانصار نداء العباس

عطفوا وكسروا جفون سيوفهم ، وهم يقولون : لبيك لبيك ، فاستقبل بهم النبي الاعداء واقتتل الفريقان قتالا شديدا •

وكان حامل راية المشركين وطليعتهم رجلاً يدعى أبا جرول ، فكان يكر على المسلمين وينال منهم ، فبرز له علي وقتله ، وبقتله تمّ النصر للنبي والمؤمنين ، ولما علم الطلقاء ، ومن اليهم بانتصار المسلمين ، وكثرة الغنائم رجعوا الى رسول الله (ص)

المؤلفة قلوبهم :

قال الشيخ محمد الغزالي في كتاب « فقه السيرة » ص **٢٩٧** وما بعدها ، وهو العالم والمؤلف المعروف ، ومفتش الاوقاف في القاهرة ، قال :

« بدأ النبي بقسمة المال ، فكان المؤلفة قلوبهم اول من اعطى ، بل اول من حظي بالانصبة الجزلة ، فأخذ أبو سفيان مئة من الابل ، واربعين اوقية من الفضة ، فقال : وابني معاوية ، فمنح مثلها لابنه معاوية ، فقال وابني يزيد ، فمنح مثلها لابنه يزيد ••• والعجب ان هؤلاء الذين فروا عند الفزع هم الذين كثروا عند الطمع ، وشاء النبي ان يلطف معهم ، وينسى ماضيهم تكرما وتألفا ، وماذا يصنع ؟ ان في الدنيا اقواما كثيرين يقادون الى الحق من بطونهم لا من عقولهم ، فكما تهدى الدواب الى طريقها بحزمة برسيم تظل تمد اليها فمها ، حتى تدخل حظيرتها آمنة !• فكذلك هذه الاصناف من البشر ، تحتاج الى فنون من الاغراء ، حتى تستأنس بالايمان وتهش له » •

ولكن ابا سفيان أكل الحشيش ، ولم يدخل الحظيرة ، ولا استأنس بالايمان ، ولا هش له ، وظل هو وولده معاوية وحفيده يزيد يكيدون للاسلام ونبيه وآله ، ويعملون على تفريق المسلمين • وتفتيت قوتهم ووحدتهم •

ام سليم :

كان مع النبي في معركة حنين امرأة اسمها أم سليم ، فرآها احد الاصحاب ، وهو ابو طلحة ، وفي يدها خنجر ، فقال لها : ما هذا يا أم سليم ؟ قالت : ان دنا مني مشرك بعجت بطنه . فقال ابو طلحة للنبي : اما تسمع ما تقول ام سليم ؟. فضحك النبي . فقالت ام سليم : يا رسول الله اقتل بخنجري الطلقاء الذين انهزموا عنك . فقال لها : ان الله قد كفى واحسن يا ام سليم .

الاعرابي :

جاء اعرابي الى الرسول ، وهو يفرق الغنائم فجذبه من ثوبه جذبة شديدة ، وقال : مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت اليه النبي وضحك ، ثم امر له بعطاء .

ذو الخويصرة :

لما قسم النبي غنائم حنين اقبل ذو الخويصرة ، وكان رجلا طويلا بين عينيه اثر السجود ، وقال لرسول الله : قد رأيت ما صنعت في هذه الغنائم !.. قال النبي وكيف رأيت ؟ قال : لم ارك عدلت . فغضب رسول الله ، وقال : ويلك اذا لم اعدل انا فمن يعدل ؟!.. فقال المسلمون: الا نقتله ؟ قال : دعوه ، فسيكون له اتباع يمرقون من الدين ، كما يمرق

السهم من الرمية ، يقتلهم الله على يد احب الخلق اليه من بعدي ، فقتله الامام فيمن قتل يوم النهروان من الخوارج .

اعاذني الله واياك ايها القارىء من أهل الجباه السود ، وصرف عنك وعني بلاءهم وجهلهم ورياءهم .

النبي والانصار :

قسم رسول الله (ص) غنائم حنين في قريش ، واجزل العطاء للمؤلفة قلوبهم كأبي سفيان ومن اليه ، فغضب قوم من الانصار ، وقالوا : لقي رسول الله قومه فحاباهم . فبلغ الرسول عنهم ذلك . فجمعهم ، ولم يكن احد غير الانصار الا النبي وعلي .

قال لهم النبي : اني سائلكم عن امر فاجيبوني

قالوا : قل يا رسول الله .

قال : ألستم كنتم ضالين فهداكم الله بي ؟! ألم تكونوا على شفا حفرة من النار ، فانقذكم الله بي ؟! ألم تكونوا قليلا فكثركم الله بي ؟! وعالة فاغناكم الله بي ؟! واعداء فألف بين قلوبكم بي ؟!

قالوا : بلى والله ، فلله ولرسوله المن والفضل .

ثم قال لهم : ألا تجيبوني بما عندكم ؟!.

قالوا : بماذا نجيبك فداك آباؤنا وامهاتنا ؟!.

قال : اما لو شئتم لقلتم فصدقتم ، وأنت قد جئتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وخائفا فأمناك ، وعائلا فآسيناك .

فارتفعت اصواتهم بالبكاء وقاموا اليه يقبلون يديه ورجليه ، وقالوا :

رضينا بالله وبرسول الله ، وهـــذه اموالنا بـين يديك فاعطها لمن شئت ، وقسمها بين قومك .

فقال النبي : اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار ولابناء ابناء الانصار ، يا معشر الانصار ألا ترضون ان يرجع غيركم بالشاء والنعم ، وترجعون انتم وسهمكم برسول الله ؟!

قالوا : بلى رضينا

فقال النبي : الانصار كرشي وعيبتي ، لو سلك الناس واديا ، وسلك الأنصار شعبا سلكت شعب الانصار .

واني لأعرف افرادا معرفة شخصية يكفرون بابي سفيـــان نظريا ، ويسيرون بسيرته عمليـــا ، يتوارون عن ميدان الكفاح والجهاد في سبيل الحق ، ولا يناصرون اهله بكلمة واحدة ، بل ولا باضعف الايمان ، بل ويضمرون لهم العداء ، ويشمتون ويفرحون اذا انزلت بهم نازلة ، كمـا شمت وفرح ابو سفيان بهزيمة المسلمين عن النبي ، ويمدون اعناقهم وايديهم الى الغنائم اينما كانت وتكون ، فهم مع الشاء والعطاء ، لا مع الرســول وآل الرسول ، وان لهجوا بذكرهم ، ونادوا باسمهم ، انهم تماما كما قال الشيخ الغزالي : يقادون من امعائهم وبطونهم ، لا من عقولهم وايمانهم .

بقيــة الغزوات :

هذا مجمل حروب الامام مع النبي في غزواته ، وهناك غزوات اخرى ، للنبي شارك فيها الامام ، وقتل بعض أبطال المشركين ، كغزوة بني النضير ، وغزوة بني المصطلق ، وغزوة وادي القرى ، وغزوة الطائف ، ولكـــن المسلمين لم يلقوا في هذه الغزوات مقاومة تذكر ، اذ كان العدو ضعيفـــا

للغاية يستسلم من الجولة الاولى ، ففي غزوة الطائف كان الامام هو القائد ، وما ان قتل اول فارس من المشركين ، حتى استسلم الباقون ، ودخل الامام المدينة ، وكسر الاصنام كما امره النبي ، وهكذا كانت الحال في غزوة بني النضير والمصطلق ووادي القرى ، يقتل المسلمون بعض الافراد من المشركين ، وتنتهي المعركة .

اما حروب الامام بعد النبي (ص) فثلاث : الجمل ، وصفين ، والنهروان ، الناكثون ، والقاسطون ، والمارقون .

الجمل :

٦ ـ سميت هذه الحرب بوقعة الجمل ، لان قائدة الجيش ، وهي السيدة عائشة فضلت ركوب الجمل على البغل والحمير ، قال المستشرق الالماني «كارل بروكلمن» في الجزء الاول من «تاريخ الشعوب الاسلامية» ص ١٣٩ : « توقفت المعركة امام الجمل الذي كانت تمتطيه عائشة ، وتستفز من على ظهره المقاتلين حسب العادة العربية العريقة ـ اي عادة الجاهلية الجهلاء ـ ولم تتم الغلبة لعلي الا بعد ان عقر الجمل الذي خلع اسمه على هذه المعركة في ٤ كانون الاول سنة ٦٤٦م ، وعرضت عائشة على المنتصر تأييدها ، ولكنه رفض . وعن الواقدي والمسعودي ان الوقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة ٣٦ هـ .

صاحبة الجمل :

ركبت الجمل ، تسير عليه من بلد الى بلد ، تخطب بصوت جهوري ،

---

(١) الطبري ج ٥ ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

وتكتب الى الآفاق بتوقيع أم المؤمنين[1] تشعل نار الحرب ، وتفرق كلمة المسلمين الى شيع وأحزاب يقتل بعضهم بعضاً .

آخى النبي المسلمين وألف بين قلوبهم ، وفعلت عائشة ما فعلت من القاء العداوة والبغضاء بين الاصحاب وأتباع الرسول الذين استجابوا لدعوته وجاهدوا بين يديه لاعلاء كلمة الاسلام .

وأمر الله والرسول أن تقر النساء في البيوت ، ووقفت عائشة علماً للجيش لم تراع للنبي ستراً ولا حرمة .

قالت لها أم سلمة : أقسم بالله لو سرت مسيرك هذا ، ثم قيل لي : أدخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى محمداً هاتكة حجابا قد ضربه علي ، اجعلي حصنك بيتك ، والستر قبرك ، حتى تلقيه ، وأنت على ذلك أطوع ما تكونين لله ما لزمته ، وأنصر ما تكونين للدين ما جلست عنه . وقال الامام : والله ان راكبة الجمل الاحمر ما تقطع عقبة ، ولا تحل عقدة الا في معصية الله وسخطه ، حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة وقال لها جارية بن قدامة السعدي : يا أم المؤمنين ، والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون ، عرضة للسلاح ، انه قد كان لك من رسول الله ستر وحرمة ، فهتكت سترك ، وأبحت حرمتك ، انه من رأى قتالك يرى قتلك[1] .

القاتل يطلب الثأر :

كانت السيدة عائشة بمكة المكرمة حين قتل عثمان ، ولما بلغها الخبر قالت :

---

(١) ابن الاثير ج٣ ص١٠٩ حوادث سنة ٢٦ وأعيان الشيعة نقلا عن الطبري .

أبعده الله ، ذلك بما قدمت يداه ، وأسرعت الى المدينة ، وهي لاتشك أن ابن عمها طلحة قد بويع بالخلافة ، ولعلمها بأنه السبب الاول في قتل عثمان ، ولما أخبرها عبيد بن أم كلاب أن الناس بايعوا علياً قالت : قتل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبن بدمه . فقال لها ابن أم كلاب : ولمَ ؟ فوالله أول من أمال حرفه لأنت ، فلقد كنت تقولين : أقتلوا نعثلاً فقد كفر[1] .

ولعل قائلاً يقول : ان أم المؤمنين اجتهدت وتغير رأيها ، رأت أولاً أن عثمان يستحق القتل ، ثم رأت أنه قتل مظلوماً ، ولها في الحالين عذرها واجتهادها .

الجـواب :

١ ـ انها بقيت أمداً طويلاً تحرّض عليه ، وتقول : أقتلوا نعثلا فقد كفر .

٢ ـ انها طلبت الدم من غير قاتله ، وتعاونت مع طلحة ، ودعت الى مبايعته ، مع أنه كان أشد الناس على عثمان ، وهو الذي قاد الثورة ضده ، وقد قتله مروان بن الحكم آخذاً بثأر عثمان .

٣ ـ انها ليست ولية للدم حتى تطلب به ، ولا هي خليفة المسلمين ، حتى تقيم الحدود ، ومتى قام عامود الدين بالنساء ؟ ![2] .

٤ ـ انها نست أو تناست ، وهي حافظة الاحاديث ، أخوة النبي لعلي ، وقوله : سلمك سلمي ، وحربك حربي ، وقوله : علي مع الحق ،

---

(١) ابن الاثير ج٣ ص١٠٥ حوادث سنة ٣٦ .

(٢) انظر دلائل الصدق ج٣ ص١٣٢ ، وأحاديث أم المؤمنين عائشة للعسكري ص١٦٦ .

وقوله : علي مني وأنا من علي ، وقوله : لا يبغض علياً الا من خرج من الايمان ، وما الى ذلك من الاحاديث التي تغصّ بها الكتب والمجلدات .

٥ ـ أن تبدل الرأي ، وان كان ظاهرة طبيعية في الانسان الا أن له ظروفاً خاصة ، وأسباباً معينة تخرج عن الارادة والاختيار ، ومحال أن يتبدل النظر ، ويتغير الرأي مع وحدة الاسباب ، وبقاء الظروف ، محال أن يكون الانسان صادقاً في قوله : هذا حق ، ثم في قوله : هذا باطل في مجلس واحد ، وكلام واحد ، دون أن يحدث أي شيء ، فاذا حصل شيء من هذا فلا يكون تبدلاً للرأي والنظر ، وانما هو تناقض وتهافت وخضوع للاهواء والاغراض ، قال المنذر بن الجارود لعائشة ومن معها : لقد كان عثمان بين أظهركم فخذلتموه ، فمتى استنبطتم هذا العلم وبدا لكم هذا الرأي ؟

وقد اتفق المؤرخون جميعاً على أن هوى السيدة عائشة كان مع طلحة ، وانها ما أبنت عثمان بقولها : « أبعده الله ، ذلك بما قدمت يداه » الا وهي على يقين من أن الناس قد بايعوا طلحة . فلما انكشف لها الامر صار عثمان مظلوماً بعد أن كان ظالماً ، وكذا حين انتصر الامام عليها أصبح محقاً بعد أن كان مبطلاً ، وعرضت عليه تأييدها ، بعد أن قادت الجيوش لحربه .

وبالتالي ، فان الذين تتبدل آراؤهم وأنظارهم ، ويأتون بأحكام متضاربة متناقضة يحتاجون الى حجج أتم وأقوى من كل حجة تبرر هذا التبدل والتغير ، ولا ندري كيف خفيت هذه الحقيقة على أم المؤمنين ، وهي الذكية الفطنة ؟! . ونحن لم نجد عندها أية حجة تبرر عدولها عن القول « أبعده الله » الى القول « قتل مظلوماً » الا انها زوجة رسول الله ، وصدق الله العظيم ، حيث يقول :

« ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين ـ ١٠ التحريم » •

طلحة والزبير :

طلحة بن عبدالله التيمي قرابة الخليفة الثاني أبي بكر والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، وأمه صفية بنت عبدالمطلب ، فهو ابن عمة النبي ، وابن أخي خديجة الكبرى أم المؤمنين وزوج أسماء بنت أبي بكر أخت عائشة • وكان طلحة والزبير ممن بايعا علياً مع الناس ، ثم سألاه أن يشركهما في الحكم ، وأن يولي أحدهما البصرة ، والآخر الكوفة ، فأبى وحين قسم العطاء ساوى بينهما ، وبين الموالي ، فكان نصيب كل منهما ثلاثة دنانير ، فقال طلحة : « ما لنا من هذا الامر الا كلحسة الكلب أنفه »[1] •

وقال الاستاذ جورج جرداق في كتاب « الامام علي » ج٤ ص٩٢٦ :

« ان القريشيين في معظمهم يكرهون علياً •• وفي طليعتهم طلحة والزبير ، ولم يجدا مفراً من مبايعة علي ، لأن الرأي العام في المجموعة العربية ، وفي الاقطار المفتوحة ، ولا سيما مصر لم يكن يجيز استخلاف أحد سوى ابن أبي طالب ، ذلك أن صفاته هي الصفات التي تنشدها الثورة الاجتماعية في شخصية الخليفة ، فالثورة تنشد العدل في

---

(١) نقل هذا العسكري في كتاب « أحاديث أم المؤمنين عائشة » في ص١٢٢ عن اليعقوبي والطبري ابن أبي الحديد •

الامصار ، والرأفة بالمستضعفين ، وتأميم بيت المال ، ومنع الاحتكار في المنافع العامة ، وجعل الحكم توجيهياً ، وتطبيقاً لمفاهيم العدالة ، وما كان لذلك غير علي •

أما أشد منافسي علي طمعاً بالخلافة فهم طلحة والزبير ، وهذا لم يتوفر فيهما شيء من صفات الحاكم الذي تريده الثورة •• فقد كانا من الراغبين في الملك والمال والجاه » •

عدد الجيش :

كان عسكر الامام عشرين ألفاً ، وعسكر عائشة ثلاثين ، ونقل المسعودي في الجزء الثاني وصفاً رائعاً عن المنذر بن الجارود لعسكر الامام نوجزه بما يلي :

قال المنذر : لما قدم علي البصرة خرجت أنظر اليه ، فاذا بموكب في ألف فارس يتقدمهم فارس على فرس أشهب ، عليه قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفاً ، ومعه راية ، واذا تيجان القوم الاغلب عليها البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح ، فقلت من هذا ؟ قالوا : هذا أبو أيوب الانصاري صاحب رسول الله (ص) وهؤلاء الانصار •

ثم تلاه فارس آخر ، عليه عمامة صفراء ، وثياب بيض ، متقلد سيفاً ، متنكب قوساً ، ومعه راية ، وهو على فرس أشقر في نحو ألف فارس ، قلت : من هذا ؟ قالوا خزيمة بن ثابت الانصاري ذو الشهادتين[1] •

ثم مر فارس آخر على فرس أشهب ، عليه ثياب بيض ، وعمامة

(١) سمي « ذو الشهادتين » لان النبي جعل شهادته شهادة رجلين•

سوداء ، وقد سدلها من بين يديه ومن خلفه ، شديد الأدمة عليه سكينة ووقار ، رافع صوته بقراءة القرآن ، وحوله مشيخة وكهول وشبان ، كأنما قد أوقفوا للحساب قد أثر السجود في جباههم ، فقلت : من هذا ؟ قيل : هذا عمار بن ياسر في عدة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والانصار وأبنائهم •

ثم مر آخر وآخر ، حتى ورد موكب فيه خلق من الناس ، عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات ، يتقدمهم رجل كأنما كسر وجبر - أي شديد الساعدين ينظر الى الارض أكثر من نظره الى فوق - وعن يمينه شاب حسن الوجه ، وعن يساره شاب حسن الوجه ، وبين يديه شاب مثلهما ، قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا علي بن أبي طالب ، وهذان الحسنان عن يمينه وشماله ، وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى والذين خلفه عبدالله بن جعفر وولده عقيل وغيرهم من فتيان قريش ، وهؤلاء المشايخ من حوله أهل بدر من المهاجرين والانصار •

الدعوة الى السلم :

قال الامام لأصحابه لا تبدأوا القوم بقتال ، وكلموهم بألطف الكلام ••واذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح ، واذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبراً ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، واذا وصلتم الى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً ، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً ••• ولا تهيجوا امرأة بأذى ، وان شتمن أعراضكم ، وسببن أمراءكم وصلحاءكم •

وأخذ الامام مصحفاً ، وقال : من يأخذ هذا المصحف ، ويدعوهم

الى ما فيه ، وهو مقتول ؟ فقام اليه فتى من أهل الكوفة ، وقال : أنا • فأعرض عنه الامام • ثم قال الامام : من يأخذ هذا المصحف ، ويدعوهم الى ما فيه ، وهو مقتول ؟ قال الفتى : أنا • فدفعه اليه ، ودعاهم الى الله ، فقطعوا يده اليمنى ، فأخذه باليسرى فقطعوها ، فأخذ القرآن بصدره فقتلوه• ثم قام عمار بن ياسر بين الصفين ، ودعاهم الى المسالمة ، وترك الحرب ، ودنا من عائشة ، وقال : ماذا تريدين ؟ قالت : الطلب بدم عثمان • قال : قتل الله في هذا اليوم الباغي ، والطالب بغير حق ، وأنشأ يقول :

فمنك البكاء ومنك العويل ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام وقاتله عندنا من أمر

فرشقه أصحاب الجمل بالنبل • فرجع ، وقال : ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين ؟! ليس لك عند القوم الا الحرب •

القتال :

أخذ أصحاب الجمل يرمون عسكر علي بالنبل رمياً متتابعاً ، حتى قتل ثلاثة أو أكثر ، وضج اليه أصحابه ، قالوا : عقرتنا سهامهم ، وهذه القتلى بين يديك ، عند ذلك استرجع الامام ، وقال : اللهم اشهد • ثم لبس درع رسول الله ذات الفضول ، وتقلد ذا الفقار ، ودفع راية رسول الله السوداء ، وهي المعروفة بالعقاب ، دفعها الى ولده محمد بن الحنفية ، وقال للحسن والحسين : انما دفعت الراية لأخيكما ، وتركتكما لمكانكما من رسول الله •

وبعد أن اصطف الفريقان وتقابلا للقتـــال ، قالت عائشة : ناولوني كفاً من الحصاة ، فأخذتها ، وحصبت بهـــا وجوه أصحاب الامـــام ، وصاحت بأعلى صوتهـــا : شاهت الوجوه ، كما صنع رسول الله يـــوم بدر ، فناداها رجـــل من أصحاب علي : وما رميتِ اذ رميتِ ولـكن الشيطان رمى .

وترك الزبير القتال بعد أن ذكره الامام بقول النبي له : « انك والله ستقاتل علياً ، وأنت له ظالم » وتبعه ابن جرموز فقتله غيلة ، أما طلحة فقال له الامام : جئت بعرس رسول الله (ص) تقاتل بهـــا ، وخبأت عرسك في البيت ؟ أنشدك الله أسمعت رسول الله يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ؟ قال طلحة : نعم ، ولكن جئت أطلب بدم عثمان . وحين اتيحت الفرصة لمروان بن الحـكم رمى طلحة بسهم فقتله ، وقال ، والله ان دم عثمان عند هذا .

وحين استوت الصفوف قال الامام لمحمد بن الحنفية : اقدم بالراية حتى تركزها في عين الجمل . وما أن قدم محمد حتى رشقته السهام من كل جانب ، فوقف رويداً لتخف السهام ، فقال له أبوه : احمل عليهم قال : أما ترى السهام كالمطر ؟! فدفع صدره ، وقال أخذك عرق مـــن أمك ، ثم أخذ الراية فهزها ، وقال :

اطعن بها طعن أبيك تحمد لا خير في الحرب اذا لم توقـد

وشد على عسكر العدو ، فضعضع أركانه ، وفرت الرجال من بين يديـــه فرار المعزى من الذئب ، وجرت الأرض بدماء القتلى ، وانحنى سيفه ، فرجع الى معسكره ، وقوّمه بركبته وأرجع الراية الى ولده محمد فحمل حملات أزال القوم عن مواقفهم ، فقال بعض أصحاب الامـــام

للامام : لو كان غير محمد لافتضح ، وقالت الانصار : يا أمير المؤمنين لولا الحسن والحسين لما قدمنا على محمد أحداً من العرب : فقال الامام : أين النجم من الشمس والقمر ؟!

وتكاثفت الرجال حول الجمل كلما خف قوم جاء أضعافهم ، وكان الامام يزأر زئير الأسود ، يحمل على القوم الحملة تلو الحملة ، حتى خاف عليه أصحابه ، وقالوا له : انك ان تصب يذهب الدين ، فأمسك ، ونحن نكفيك . فقال : والله ما أريد بما ترون الا وجه الله والدار الآخرة .

ولما كثرت القتلى ، قال الامام : ارشقوا الجمل بالنبل ، واعقروه والا فنيت العرب ، ولا يزال السيف قائماً ، حتى يهوي هذا البعير الى الارض ، فقطعوا قوائمه ، فوقف أهل البصرة تحته ، وحملوه بأكتافهم ، ولما رأى الامام أن الموت عند الجمل وضع سيفه على عاتقه ، وعطف نحوه ، وتبعه أصحابه ، وفيهم عمار والاشتر ، واشتد القتال ، واستمات بنو ضَبّة دون الجمل ، حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ، ولكن الامام وصل مع جماعة من أصحابه الى الجمل ، وأمر أحدهم بضربه ، فضرب عجز الجمل بالسيف فوقع لجنبه على الارض ، وعج عجيجاً لم يسمع بأشد منه ، نفرت الرجال ، كما يطير الجراد المنتشرفي الريح الشديد ، واحتملت عائشة بهودجها الى بعض الدور في البصرة .

وما أن القي السلاح ، حتى نادى الامام بالعفو العام عن كل من ألقى السلاح ، حتى مروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير ، أعدى أعداء الهاشميين بعامة والامام بخاصة .

ولما فتح أمير المؤمنين البصرة ، دخل بيت المال وقسم ما فيه فلحق الرجل خمسمئة درهم ، فأخذ هو كأحدهم فجاءه انسان لم يحضر الواقعة

وقال : يا أمير المؤمنين كنت معك في قلبي ، وان غاب عنك جسمي ، فاعطني من الفيء شيئاً . فدفع اليه الخمسمئة بكاملها .

وأرجع الامام عائشة الى بيتها التي أمرها الله أن تقر فيه ، وبعث معها أخاها عبدالرحمن ، وجهزها بأحسن جهاز ، وأمر لها باثني عشر ألف درهم .

عدد القتلى :

قال المسعودي ج٢ ص٣٦٠ طبعة سنة ١٩٤٨ :

قتل من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألفا ، ومن أصحاب علي خمسة آلاف ، وكانت وقعة واحدة في يوم واحد .

آثار الفتنة :

لا أعرف أحداً من الباحثين والمفكرين نظر الى حرب الجمل نظرة جدية ، وقاسها بأسوائها ، وما نجم عنها من أضرار ، وتمنيت لو اتيح لها من يدرسها دراسة موضوعية تكشف عن خصائصها وآثارها العميقة البعيدة ، ان لكل حادثة آثاراً قهرية لا تنفك عنها بحال ، سواء أكانت تلك الحادثة من الظواهر الطبيعية ، أم من عمل الانسان ، وبمشيئته واختياره .

وبعد ، فما هي الآثار التي تركتها فتنة الجمل ؟

ويستطيع العارف الخبير أن يضع كتاباً خاصاً في الجواب عن هذا السؤال ، أما نحن فنكتفي ـ الآن ـ بالاشارة التالية :

لولا حرب الجمل لما كانت حرب صفين والنهروان ، ولا مذبحة كربلاء ، ووقعة الحراء ، ولا رميت الكعبة المكرمة بالمنجنيق أكثر من

مرة ، ولا كانت الحرب بين الزبيرين والامويين ، ولا بين الامويين والعباسيين • ولما افترق المسلمون الى سنة وشيعة ، ولما وجد بينهم جواسيس وعملاء يعملون على التفريق والشتات ، ولما صارت الخلافة الاسلامية ملكاً يتوارثها الصبيان ، ويتلاعب بها الخدم والنسوان •

لقد جمعت حرب الجمل الرذائل والنقائص ، لأنها السبب لضعف المسلمين واذلالهم ، واستعبادهم وغصب بلادهم ، فلقد كانت أول فتنة ألقت بأس المسلمين فيما بينهم ، يقتل بعضهم بعضاً ، بعد أن كانوا قوة على أعدائهم ، كما أفسحت المجال لما تلاها من الفتن والحروب الداخلية التي أودت بكيان المسلمين ووحدتهم ، ومهدت لحكم الترك والديلم والصليبين وغيرهم • وبالاختصار لولا فتنة الجمل لاجتمع أهل الارض على الاسلام ، لان رحمته تشمل جميع الناس أجمعين : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » • وقال النبي (ص) : انما انا رحمة مهداة •

لقد تذرع قادة حرب الجمل بدم عثمان ، ولنفترض أن عثمان قُتل مظلوماً ، وأن الذين طالبوا بدمه كانوا مخلصين ، ولكن ماذا كانت النتيجة ؟! طالبوا بدم رجل واحد فقتلوا الالوف من الابرياء ، ولم يقتلوا قتلة عثمان ، وجروا الويلات والنكبات على الاسلام ، وما زال المسلمون يعانون أسواء تلك الفتنة ، حتى اليوم ، وسيعانونها الى آخر يوم•

لقد نُحي الامام عن الخلافة ، وهو يعلم ، والناس كلهم يعلمون ان محله منها محل القطب من الرحى ـ كما قال ـ ومع ذلك سكت حين بويع للاول ، وسكت أيضاً حين بويع للثاني وللثالث ، ولم يحرك ساكناً لا لشيء ، الا ليجنب الاسلام والمسلمين تلك المخاطر والمفاسد التي ترتبت على فتنة الجمل ، فلماذا لم يسكت طلحة والزبير والسيدة عائشة ، مراعاة

لمصلحة الاسلام ، كما سكت الامام ؟ لقد امتنع عبدالله بن عمر[1] وحسان بن ثابت واسامة بن زيد عن بيعة علي ، واعتزلوا الناس ، فتركهم الامام وشأنهم ، ولما قيل له : لو دعوتهم الى البيعة . قال : لا حاجة لنا فيمن لا يرغب فينا . فلماذا لا يعتزل طلحة والزبير كما اعتزل ابن عمر ؟ لماذا أركبا أم المؤمنين الجمل ، يسيران بها من بلد الى بلد ، وخبآ نساءهما في البيوت ؟!

لقد رأت السيدة عائشة ، ورأى معها طلحة والزبير المهاجرين والانصار وأبناءهم حول الامام شاهرين السلاح مصممين على القتال ، والدفاع عن النفس اذا هوجموا ، فلماذا أصر أصحاب الجمل على الهجوم وأمطروا عسكر الامام بالنبل ، وقتلوا منه أكثر من واحد قبل أن يسمعوا كلمة واحدة ؟ ولماذا رفضوا دعوة الامام الى كتاب الله وسنّة الرسول ، وأبوا الا الحرب ؟! لماذا اختاروا القتال ، ولم يؤثروا مصلحة الاسلام على أهوائهم وأغراضهم ؟! وهل يكفي أن يقول القائل : أنا مسلم ، ثم لا يكون فعالاً ، ولا ناصحاً لله ورسوله ؟! ، وكيف فات أم المؤمنين ، وهي الذكية الفطنة أن فتنة الجمل لم تكن بنتائجها الوخيمة حرباً ضد علي بالذات ، بل ضد الاسلام ونبي الاسلام ؟!

لقد كانت أم المؤمنين ذكية فطنة ما في ذلك ريب ، وكانت أيضاً تحفظ الاحاديث ، وكان طلحة والزبير من الاصحاب ، وحضرا مع الرسول بعض حروبه ، ولكن هل تقاس الفضيلة والعظمة بمجرد الذكاء والصحبة وحفظ الحديث ، دون اعتبار لأي شيء آخر ؟!

---

(١) قال بن عبدالبر في الاستيعاب : لقد ندم ابن عمر على تركه بيعة علي حين حضرته الوفاة . وقال المسعودي : قعد عبدالله بن عمر عن بيعة علي ، وبايع يزيد بن معاوية بعد ذلك ، وبايع الحجاج لعبدالملك بن مروان .

وهل يجب أن نقدس ونعظم الاذكياء والحفاظ مهما أتوا ومهما فعلوا ؟! ولا شيء أكثر ضرراً وخطراً من أن نثق بانسان أكثر مما يستحق •

وبالتالي ، فان الانسان لا يقاس بعمل من أعماله ، ولا بصفة من صفاته ، وانما بأعماله وصفاته كمجموعة واحدة حقيقية لا تقبل التبعيض والتجزئة ، تماماً كجمال الجسم الذي يقاس بسلامة جميع الاعضاء •

وكم رأينا من يتواضع ، ويلبس جلد الحمل لغايات شيطانية • ومن يتصدق بالاموال لاغراض تجارية ؟! ونحن لا ندعي ان طلحة والزبير والسيدة عائشة أظهروا الاسلام لمآرب شخصية ، في عهد الرسول ، وانما نقول : يجب أن لا تنظر الى صحبتهم للنبي (ص) ثم تتجاهل فتنة الجمل ، وما تركته من آثار وأضرار ، وقديماً قيل : « الامور بخواتيمها » •• وصدق الله العظيم : « ويقولون يا ويلنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحدا ــ ٥٠ الكهف » •

صفين :

٧ ــ قال ياقوت في معجم البلدان : « صفين موضع بقرب الرقة على شاطيء الفرات من الجانب الغربي » وهي الآن جزء من أراضي الجمهورية العراقية بالقرب من الحدود السورية •

سبق معاوية الى هذا المكان ، واحتله بعسكره وملك الشريعة ، وحصنها بالخيل والرجال ، ليمنع علياً ، ومن معه من الماء ، ولما وصل الامام الى صفين ، ورأى ما فعل معاوية أرسل اليه أن يخلي بين الناس والماء ، فأبى ، فقال له ابن العاص : خل الماء ، فلن يعطش علي ، وأنت ريان ،

فلم يأخذ برأيه ، فطرد جيش الامام أهل الشام ، وغلبوهم على الماء ، وعندها قال معاوية لابن العاص : ما ظنك أيمنعنا علي من الماء كما منعناه ؟ فقال : ان علياً لا يستحل منك ما استحللت منه • وبعث الامام الى معاوية من يقول له : نحن لا نكافيك بصنعك ، هلم الى الماء ، فنحن وأنت فيه سواء •

وليس بعجيب اذا منع معاوية الماء وأباحه علي ! •• فهنا الامامة الحقة والرحمة الشاملة ، وهناك الانتهازية والحقد • قال الاستاذ جرداق بعد أن نقل حكاية الماء : « لو كان في جيش معاوية قبس من الخلق الكريم لادركوا بهذا الحادث انهم بمناصرتهم معاوية على علي انما يناصرون انتهازيا على نبي » (الامام علي ج٤ ص٩٧٣) •

وصل الامام الى صفين في ذي القعدة ، وابتدأت الحرب في أول ذي الحجة سنة ٣٦ هـ ، وحصلت الهدنة في المحرم سنة ٣٧ ، واستؤنف القتال في أول صفر ، وانتهى في ١٣ منه •

معاوية وعثمان :

معاوية وعثمان ابنا عم ، ينتهي نسب كل منهما الى أمية بن عبد شمس ، وكان عثمان خليفة المسلمين ، وكان معاوية أميراً على الشام من قبله ، وقال الاستاذ جرداق وغيره : ان معاوية لم يخذل عثمان الا طمعاً بأن يكون هو الخليفة من بعده •

والذي نراه أن معاوية لم يطمع بالخلافة ، ولم يحدث بها نفسه قبل فتنة الجمل ، لأنه يعلم مكانه ، وانه أحقر من أن يطمع بالخلافة ، وهو

الطليق ابن الطليق ، وفي المسلمين السابقون المقربون .. وقد سمع معاوية عمر بن الخطاب يقول : الخلافة محرمـــة على الطلقاء . والسبب الوحيد لتخلف معاوية عن مناصرة عثمان انه رأى قوة الحزب المعارض ، وعلى رأسه الصحابة كالزبير وطلحة ، ورأى تأييد الرأي العـــام للثورة ضد عثمان ، فخاف اذا هو أعلن مناصرته لعثمان أن تدور عليه الدائرة بعـد انتصار الثورة وظفرهـــا ، وان يصيبه ما أصاب الخليفة ، أو يحرم من امارة الشام على الأقـــل ، فوقف يتربص ويرتقب اســـتغلال الفرص والظروف ، شأن السياسي المحترف الذي لا يهتم بقريب أو بعيد ، ولا يدين بمبدأ أو دين ، ولا يعمل الا على أساس الربح والمصلحة . وكذلك مروان بن الحكم ، لو لم يكن هو المطلوب للثوار بالذات لترك قريبه عثمان وأعلن انضمامه الى الثوار ، أو وقف موقف المترقب كما فعل معاوية . وهذا شأن كل سياسي محترف في كل زمان ومكان ، ومن أكثر الشواهدوالارقام.

وبعد أن قُتل عثمان ، وبويع الأمام أسقط في يد معاوية ، واحتار في أمره ، فهو يعلم علم اليقين أن علياً سوف يبعده عن امارة الشـــام ، وانه سيطبق أحكامه العادلة الصارمة على الجميع ، وان الناس ، كل الناس ، سيتساوون في الحقوق ، ولم يبق لأحد أية ميزة على غيره ، ولكن سرعان ما قدمت له فتنة الجمل الحل هذه المعضلة ، فتذرع بدم عثمان ، وانتحله بعد أن خذله ، تماماً كما فعل أصحاب الجمل الذين لم يألوا جهداً في الكيد لعثمان ، ثم اتهموا الامام انه المدبر لقتله . قال ابن سيرين : « مـا علمت أن علياً اتهم بدم عثمان ، حتى بويع ، فلما بويع اتهمه الناس » .

معاوية يساوم

قال الرواة : ان المغيرة بن شعبة أشار على الامام أن يثبت معاويـــة

في ولاية الشام أياماً ، ثم يرى فيه رأيــه ، فقــال له الامام : والله لا أداهن في ديني ، ولا أعطي الرياء في أمري ، فذهب المغيرة ، ثم عاد ، وقال له : نظرت في الأمر ، فاذا أنت المصيب بعزل معاويــة • وقــال الرواة أيضاً : ان ابن عباس قال للامام : نصحك في الأولى ، وغشــك في الثانية ، وشاع هــذا الرأي المنقول عن ابن عباس ، واعتنقه كثيرون في القديم والحديث ، وبنوا عليه حكمهم وقولهم بأن علياً لا يعرف السياسة •

ونحن نصدق الرواة فيما نقلوه عن المغيرة ، ونشك ، بل يجب أن نشك فيما نقلوه عن ابن عباس لسببين الأول أن فيــه مساً بسياسة الامام وخبرته ، وكل خبر يستشم منــه شيء من ذلك فهو من وضع الامويين وخصوم الامام ، ما في ذلك ريب • السبب الثــاني أن المغيرة لا هــدف له الا التجسس لمعاوية ومعرفة رأي الامــام بمعاوية ، ولما ذهب المغيرة خاف أن يفتضح ، وينكشف ستره وتجسسه ، فعاد وقال ما قال •

والى الذين يرون أن الحزم والصواب كان في اشارة المغيرة ، واقرار معاوية الى حين ، نوجه هذا السؤال :

لو أضمر الامام ـ على سبيل الافتراض ـ أن يبقي معاوية في امارة الشام أياماً ، ثم يعزله عنها ، فهل يخفى ذلك على معاوية ؟! وهل يستسلم معاوية دون قيد أو شرط بمجرد أن يقول له الامام : أنت عاملي عــلى الشام ، دون أن يحتاط لنفسه ، ودون أن يأخذ المواثيق والمستندات في ثباته واستمراره •

ان عمرو بن العاص لم يبايع معاوية الا بعد أن كتب له كتاباً بمصر على انها طعمة له ، وهكذا معاوية لا يبايع علياً ولا يأمن له الا اذا كتب له كتاباً بالشام ومعها مصر أيضاً ، على انهما هبة له وجباية ما دام حياً ، وهذا ما قاله معاوية لجرير رسول الامــام ، قال له بالحرف الواحد :

« اكتب الى صاحبك ان يجعل لي الشام ومصر جباية »[1] .

وبالتالي ، فعلى الذين يتحذلقون ، ويقول : ان عليا لا يعرف السياسة ان يدرسوا التاريخ ، ويذكروا هذه الحقيقة ، وينظروا الى معاوية نظرتهم الى ابن العاص ، لان الرجلين من طينة واحـــدة ، وعلى مبدأ واحـــد ، مبدأ الكسب والمساومة ، وارتكاب الجـــرائم والمآثم من اجـــل المناصب والمراكز . قال المستشرق « اوزبورن » : كان معاوية مخادعا داهيـــة ذا قلب خال من كل شفقة . كان ذلك الاموي لا يتهيب الاقدام على ايـــة جريمة من اجل ان يضمن مركزه » . (روح الاسلام لسيد مير عـــلي ص ٢٠٥ ترجمة عمر الديراوي) .

اما امير المؤمنين فهو القائل : والله ان دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها . ما لعلي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى ؟!..

عدد الجيش :

كان مع الامام تسعون الفا ، ومع معاوية خمسة وثمانون الفا (المسعودي ج ٢) وكان في عسكر الامام تسعمئة رجل مـــن الانصار ، وثماني مئـــة من المهاجرين الذين حاربوا مع رسول الله ، وكان جميع من شهد معـــه من الصحابة الفين وثماني مئة ، وفيهم من بايـــع تحت الشجرة ، وهي البيعة المعروفـــة ببيعـــة الرضوان ، وكـــان في جيش معـــاوية الامويون والمنافقون الذين حاربوا رسول الله مع ابي سفيان وولده معاوية .

---

(١) احاديث ام المؤمنين عائشة نقلا عن شرح ابن ابي الحديد ، واعيان الشيعة نقلا عن نصر بن مزاحم .

الدعوة الى السلام :

قال المسعودي وغيره : بعث علي الى معاوية يدعوه الى اجتماع الكلمة والدخول في جماعة المسلمين ، وطالت بينهما المراسلة ، وآخر ما قاله الامام لاهل الشام : « اني قد احتججت عليكم بكتاب الله ، ودعوتكم اليه واني قد نبذت اليكم على سواء • ان الله لا يهدي كيد الخائنين » •

فلم يردوا عليه جوابا الا قولهم : السيف بيننا وبينك او يهلك الاعجز منا •

القتال :

قال امير المؤمنين لعسكره : لا تقاتلوا القوم ، حتى يبدءوكم ، فانكم بحمد الله على حجة ، وتركم اياهم ، حتى يبدءوكم حجة اخرى لكم عليهم ، فاذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل •

وفي اول يوم من صفر سنة ٣٦ اصطف الجيشان ، فخرج الاشتر مع جماعة من عسكر الامام ، وخرج حبيب بن مسلمة الفهري مع جماعة من عسكر معاوية ، فاقتتلوا قتالا شديدا جل النهار ، ثم تراجعوا واسفرت المعركة عن قتلى من الفريقين ، ولم ينتصر فريق على فريق •

وخرج في اليوم الثاني هاشم المرقال من عسكر الامام ، ومن اهل الشام ابو الاعور السلمي ، ومع كل منهما الخيل والرجال ، فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل ، والرجال على الرجال ، وانصرفوا عن كثير من القتلى دون ان يتغلب فريق على آخر •

وفي اليوم الثالث برز عمار بن ياسر في عدة من المهاجرين والانصار ، وبرز عمرو بن العاص في عدة من اهل الشام ، فازال عمار عمرا عن موضعه ، والحقه بعسكر معاوية ، وكان عمار يقاتل وهو يقول :

يا اهل الاسلام اتريدون ان تنظروا الى من عادى الله ورسوله ، وجاهدهما وبغى على المسلمين ، وظاهر المشركين ، واسلم راهبا غير راغب ؟ ألا انه معاوية بن ابي سفيان ، وكانت الغلبة في هذا اليوم لجيش الامام .

وفي اليوم الرابع برز محمد بن الحنفية في جماعة ، وبرز اليه عبيد الله ابن عمر في جماعة ، وكانت الحرب في هذا اليوم على أهل الشام ، ونجا ابن عمر هربا .

وفي اليوم الخامس أخرج الامام ابن عمه عبدالله بن العباس ، وأخرج معاوية قريبه الوليد بن عقبة ، وكانت الغلبة لعبدالله بن العباس ، ولحق في هذا اليوم بعلي جماعة من جيش معاوية ، فيهم بعض قبائل أهل الشام ، فتألم معاوية ، وفت ذلك في عضده ، فقال له ابن العاص : انك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلا ، له من محمد قرابة قريبة ورحم ماسة ، وقدم في الاسلام ، ونجدة في الحرب لم تكن لاحد من أصحاب محمد ، وانه قد سار اليك بأصحاب رسول الله المعدودين وفرسانهم وأشرافهم ، وقدمائهم في الاسلام ، ولهم في النفوس مهابة ، ومهما نسيت فلا تنس انك على باطل .

وفي اليوم السادس اقتتل أهل العراق بقيادة سعيد بن قيس الهمداني ، وأهل الشام بقيادة ذي الكلاع ، وانصرفوا آخر النهار لا غالب ولا مغلوب .

واقتتلوا في اليوم السابع ، ثم في اليوم الثامن وافترقوا في المساء .

ولم يظفر فريق بخصمه •

وفي اليوم التاسع خرج الامام بنفسه ، وخرج معاوية ، وكان القتال على أشده ، وجاهد أبو اليقظان عمار بن ياسر جهاد المستميت ، يضرب بسيفه ، ويقول : هل من رائح الى الله ، الجنة تحت ظلال الاسنة ، والله لو هزمونا ، حتى بلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انا على حق ، وانهم على باطل •

واشتد العطش بأبي اليقظان ، فاستسقى فأتته امرأة بعس من لبن ، فشربه وقال : الله أكبر ! الله أكبر ! • اليوم ألقى الاحبة ، محمدا وصحبه ، صدق الصادق ، وبذلك أخبرني ، هذا هو اليوم الذي وعدت فيه ـ يشير الى الحديث المشهور : يا عمار آخر شرابك ضياح من لبن ، وتقتلك الفئة الباغية ـ وحمل عليه رجلان : أبو العادية الفزاري ، وابن جون السكسكي وكان قد أثخن بالجراح ، فطعنه الاول ، واحتز رأسه الثاني ، وقد بلغ من العمر ثلاثاً وتسعين سنة •

ولما صرع عمار حزن الامام عليه ، وغضب غضباً شديداً ، وقال للاشتر : احمل أنت على الميسرة ، وأحمل أنا على الميمنة ، فحملا وكان الاشتر يفتك بالناس كذئب في غنم ، والتقى بعمرو بن العاص ، ولكن عمراً فر ، ولم يثبت له ، واختلط الجمع بالجمع ، واشتد القتال ، واضطربوا بالسيوف ، وتطاعنوا بالرماح ، وفي هذا اليوم استشهد هاشم المرقال حامل لواء أمير المؤمنين ، وقتل ذو الكلاع حامل لواء معاوية •

قال المسعودي : لما وقع هاشم المرقال على الارض ، وهو يجود بنفسه رفع رأسه فاذا عبيد الله بن عمر بن الخطاب الى قربه جريحاً ، فحبا ، حتى دنا منه ، وعضه على ثدييه ، وقد وجد ميتاً فوقه •

واستمر القتال طوال النهار والليل ، وكانت هذه الليلة ليلة الجمعة ،

وهي التي تسمى بليلة الهرير ، وكان ابن عباس في الميسرة ، والاشتر في الميمنة ، وعلي في القلب ، وكان الاشتر بين الحين والحين يسير فيما بين الميمنة والميسرة ، يأمر أهل العراق بالثبات والاقدام ، وقد تحطمت في هذه الليلة السيوف ، وتكسرت الرماح ، ونفدت السهام ، وتحاثوا بالتراب ، وتكادموا بالاسنان ، وتلاكموا بالايدي ، ومرت مواقيت أربع صلوات لم يسجد لله فيها سجدة ، ولم يصلوا الا بالتكبير والتهليل • قال المسعودي :

« قتل علي بكفه في يومه وليلته خمسمئة وثلاثة وعشرين رجلاً ، ذلك أنه اذا ضرب كبر ، وما ضرب الا قتل » واستمر القتال على هذه الحال ثلاثة أيام بلياليها ، ولما رأى الامام كثرة القتلى قال لمعاوية : علام يقتتل الناس ؟ ابرز الي ، فأينا قتل صاحبه يكون الامر له •

قال ابن العاص : انصفك الرجل •

قال معاوية : طمعت فيها يا عمرو •

قال عمرو : أتجبن عن علي ، وتتهمني في النصيحة ؟

قال معاوية : ليس مثلي يخدع عن نفسه ، والله ما بارز علي رجلاً الا سقى الارض من دمه •

قال عمرو : والله لأبارزنه ، ولو متُّ ألف ميتة •

وبرز عمرو ، ولكن ما أن دنا من علي ، حتى رمى نفسه عن فرسه ، ورفع رجليه ، وكشف عن سوأته ، فصرف علي وجهه عنه ، وكان لا ينظر الى عورة أحد حياء وتكرما • وقال عمرو معفراً بالتراب ، هارباً على رجليه ، لا يلوي على شيء • ولما وصل الى معاوية قال له : احمد الله وعورتك يا عمرو •

ولما أشرف جيش الامام على الفتح ، ولم يبق الا ساعات ، قال معاوية لابن العاص : هلم مخبآتك يا ابن العاص ، هذا علي سيغدو علينا

بالفيصل • وتذكر ولاية مصر • فقال ابن العاص : أيها الناس من كان معه مصحف فليرفعه على رمح • وكانت المأساة التي يعرفها الجميع من انشقاق عسكر الامام ومهزلة التحكيم •

ومن السهل أن يصل الانسان الى غايته عن طريق الاحتيال والاجرام ، ولكن ليس من السهل أن يظل كعلي بن أبي طالب ، حياً في عقول الناس وضمائرهم ، ورمزاً للفضائل مدى الحياة ، ليس من السهل أن يحظى رجل باعجاب العالم المتمدن وتقديره ، بعد أن مرّ على وفاته أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، ليس من السهل أن تدين الملايين بأقواله ، كما تدين بكتاب الله وسنة الرسول •

عدد القتلى :

قال المسعودي : قتل بصفين سبعون ألفاً ، خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام ، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق •

وبالتالي ، هل حيلة معاوية وابن العاص في رفعهما المصاحف كانت لصالح المسلمين ؟! وهل مبادىء القرآن ، وتعاليم الدين وأحكام الشريعة تسود وتحيا بخلافة الامام ، أو بسلطان ابن أبي سفيان ؟!

وندع الجواب للخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، حيث قال لعلي : والله لان وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح ، والمحجه البيضاء[1] وقال المستشرق « أوسليزنز » : لو أنه سمح لعلي أن يحكم بسلام لكانت

(١) كتاب « السفيانية » للجاحظ ، انظر اعيان الشيعة ج ٣ القسم الاول ص ٣٣٢ طبعة ١٩٦٠

فضائله وصرامته ، وسمو خلقه هي التي خلدت الجمهورية القديمة وأساليبها البسيطة[1] .

وجاء في كتاب « ابطال الباطل » للفضل بن روزبهان الاشعري : ان عمر بن الخطاب قال : « لو وليها علي حملهم على الحق الذي لا يطيقونه » . واذا كان الناس لا يطيقون الحق فكيف أطاقوا حكم الخليفة الثاني أكثر من عشر سنين ؟! وهل تحمل الناس حكمه وحكم معاوية ، لانهم يطيقون الباطل ، ولا يطيقون الحق ؟!

شمر وشبث :

كان شمر بن ذي الجوشن في جيش أمير المؤمنين يوم صفين ، ونقل صاحب كتاب « سفينة البحار » عن كتاب « المثالب » لهشام بن السائب ان أم شمر مرت براعي معزى فواقعها ، فحملت بشمر . ثم قال صاحب السفينة : ولذا قال له الامام الحسين يوم كربلاء : « يا ابن راعية المعزى أنت أولى بها صليا » .

ونقل صاحب السفينة عن ابن حجر في كتاب « التقريب » أن شبث بن ربعي كان مؤذن سجاح التي ادعت النبوة ، ثم أظهر الاسلام ، وأعان على عثمان ، ثم انضم الى جيش أمير المؤمنين يوم صفين ، ثم خرج عليه مع من خرج من الخوارج ، ثم ترك الخوارج ، وأظهر التوبة ، ثم انضم الى جيش ابن زياد يقاتل الحسين في كربلاء ، ثم كان مع من طالب بدم الحسين .

(١) كتاب « روح الاسلام » لسيد مير علي ص ٦٢٧٠

النهروان :

٨ ـ النهروان مكان بين بغداد وحلوان ، وقد حصلت فيه الواقعة المعروفة بوقعة الخوارج سنة ٣٧ هـ .

وسببها أن أمير المؤمنين لما عاد من صفين انحرفت طائفة من جيشه في أربعة آلاف فارس ، وهم العباد والنساك أصحاب الجباه السود ، وقالوا للامام : تب من خطيئتك في تحكيم الرجال .

فقال لهم الامام : ألم أقل لكم : ان أهل الشام يخدعونكم بالمصاحف فان الحرب قد عضتهم ، فذروني أناجزهم ، فأبيتم الا التحكيم ، وأردت أن أنصب ابن عمي عبدالله بن عباس حكماً فانه رجل لا يخدع ، فأبيتم الا أبا موسى الاشعري ، وقلتم رضينا به حكماً ، فأجبتكم كارهاً ، ولو وجدت أعواناً غيركم في ذلك لما أجبتكم ، وشرطت على الحكمين بحضوركم أن يحكما بما أنزل الله تعالى في كتابه من فاتحته الى خاتمته ، وان هما لم يفعلا فلا طاعة لهما .

فلم يسمعوا له ، وانصرفوا عنه ، وهم يقولون : لا حكم الا الله ، وأمروا عليهم رجلا يلقب بذي الثدية ، لان يده كانت كثدي المرأة ، عليها شعرات كشارب الهر .

ولقيهم العبد الصالح عبدالله بن خباب صاحب رسول الله ، ومعه امرأته ، وهي حامل ، وكان في عنقه مصحف ، فقالوا له : ما تقول في علي ؟ قال : ان علياً أعلم بالله منكم ، وأشد توقيا على دينه ، وأنفذ بصيرة . قالوا : انك على غير هدى ، ثم أضجعوه وذبحوه ، وأقبلوا الى امرأته فقالت : أنا امرأة فاتقوا الله ،

فبقروا بطنها ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء .

وبعد أن فعلوا هـذا ذهبوا الى نصراني يملك بستاناً بالقرب منهم ، وطلبوا منه أن يبيعهم ثمرات نخلة ، فقال : هي لكم بدون ثمن ، فقالوا :

ما كنا نأخذ الا بالثمن . فقال : واعجباه ! أتقتلون مثل عبدالله بن خباب ، ولا تقبلون جني نخلة الا بثمن ! .. ومن غرائبهم انهم أنكروا على رجل منهم قتل خنزيراً ، وقالوا له : انك تسعى في الارض الفساد ، هذا بعد أن ذبحوا صاحب رسول الله ، وبعد أن مثلوا بزوجته الحامل ، وبعد أن قتلوا ثلاث نسوة من المسلمات البريئات ! ..

هذه صورة تاريخية تعبر عن معنى الايمان عند أصحاب الجباه السود ، وانهم في الاعم الاغلب يحجمون عما لا يجب الاحجام عنه ، ويقدمون على كبائر الاثم ، تمامـاً كالذي استحل دم الحسين (ع) واستشكل في دم **البعوضـة ! ..**

الدعوة الى السلم :

أرسل اليهم الامام الحارث بن مرة العبدي يدعوهم الى الـكف عن القتال ، فقتلوه ، وخالفوا كل شريعة وعرف في معاملة الرسول ، وعـدم التعرض له بسوء ، وأرسل اليهم ابن عمه عبدالله بن العباس ، فخاصمهم بالحجة والمنطق ، وكشف عن جهلهم وأخطائهم ، فأصروا على الجهالة والعماية ، فكلمهم الامام بنفسه ، وذكرهم ثانية بنهية عن قبول التحكيم ، واصرارهم عليه ثم قال لهم ، لقد ركبتم عظيما من الامر ، تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين ، فلم ينجح ذلك فيهم .

القتـــال :

لما أبى الخوارج الا القتـــال وقف الامام بجيشه جانباً ، ولم يحرك ساكناً فرموه بالســـهام ، فقـــال له أصحابه : قـــد رمونا ، ماذا تنتظر ؟ قال : كفوا عنهم ، فكرروا الرمي ، فقـــال : كفوا . فأعادوا ، حتـــى أتى أصحابه برجل قتيل متشحط بدمه ، فقـــال : الله أكبر الآن حـــل قتالهم .

وقبل أن يحمل عليهم نصب راية مع أبي أيوب الانصاري ، ونادى من جاء هذه الراية فهو آمن ، ومن انصرف الى الكوفة أو المدائن فهـــو آمن . وكانوا أربعة آلاف ، فانصرف منهم ألف ومئتان ، وبقي ألفـــان وثمانمائة . وكان الامام قد أخبر أصحابه بأنه لا يفلت منهم عشـــرة ، ولا يقتل منكم عشرة . ثم قال : احملوا على القوم ، فحملوا عليهم حملة رجل واحد . وما هي الا ساعات حتى انتهت المعركة ، وكان الامر كما قال الامام ، هرب من الخوارج تسعة ، وقتل من أصحابه تسعة . وكان ذو الثدية فيمن قتل .

قال المسعودي وغيره : ان بعض أصحاب الامام قـــال : قطـــع الله دابرهم الى آخر الدهر . فقـــال الامام : كلا ، والذي نفسي بيـــده ، انهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء[1] .

هذا مجمل حروب الامام مع النبي وبعده ، وكلها لله وفي الله ، حارب مع النبي لاحياء الدين ونشره ، وحارب بعده لتثبيته والذب عنـــه ، وورد

---

(١) وقد وجدوا في كل عصر ، ويوجد منهم الآن في طرابلس الغرب ، وفي زنجبار ، ووطنهم الاصلي عمان الذي تقوم الثورة فيه الآن بينهم وبين الانكليز ، ولهم كتب في الفقه والحديث .

المعتدين عليـه ، وكل منهما لا يقل خطـراً عن الآخـر ، أو جـزء متمم لصاحبه ، ولكن في حروب الامام بعد النبي ظاهرة تستلفت النظر ، وهي ان اصحاب الجمل وصفين عملوا جاهدين على قتل عثمان ، او خذلوه ولم يناصروه على الاقل ، ثم رموا الامام بدمه ، وهم يعلمون انه بريء منـه براءة الشمس من الدنس وحاربوه على فعلتهم وجريمتهم ، وكذا الخوارج أصروا على التحكيم ، ثم خرجوا على الامام يقاتلونه من اجله •

والسر في ذلك ان حروب الامام ليست بظاهرها كحروب النبي ضد اشرك والمشركين ، وانما هي حرب ضد اللصوص وقطاع الطرق كحرب اهل الجمل وصفين ، او ضد الجهلـة الذين يحـرمون قتل الخنـزير ، ويستبيحون ذبح الاتقياء والابرار ، وبقر بطون النساء الحبالى ، وماذا لدى اللص غير الاحتيال والنفاق ، ورمي الابرياء بالتهم ؟! وأية حجة عند الجاهل غير التهافت والتناقض ؟!

جاء في الاساطير ان موسى بن عمران قال لأبليس :

ما رأيك ان اسأل لك الله الرضا عنك على ان تستغفر وتتوب ؟

قال ابليس : انا اتوسط بك اليه ، كي يرضى ، بل عليه هو ان يتوسط بك الي ، كي أرضى ؟

قال موسى : ولمَ ذاك ؟

قال ابليس : امرني ان اسجد لآدم ، فقلت لـه : انا اسـجد لك ولا اسجد لأحد سواك ، فأي شيء في قولي هذا أعاقب عليه ؟!

وهذا بالذات منطق اتباع ابليس الذين خرجوا على الامام عليه افضل الصلاة والسلام •

الخضري والتباني

الصدفة :

حين وضعت تصميم كتابي هذا لم يخطر في بالي الشيخ محمد الخضري، وتهجماته على امير المؤمنين وابنائه في كتاب « المحاضرات » ، ولكنها الصدفة ، وكم للصدفة من فوائد ومنافع ، اقول الصدفة ، وانا على يقين بانها عون من الله سبحانه ، وتيسير منه للاسباب والظروف الملائمة ، وقد ابى الله الا نشر الحق ، واعلاء كلمته ، والا خذلان الباطل وأهله والكشف عن سوآتهم وعوراتهم ، ولو بعد حين ، وقد يسر لي جل شأنه الاطلاع على كتاب ضخم لم أسمع به من قبل ، ولم أعرف عنه شيئا ، وهو السبب لكتابة هذا الفصل .

حكاية هذا الفصل :

من عادتي ان انهض في الصباح الباكر ، فاشرع بالكتابة الى ان تدخل الساعة العاشرة ـ في الغالب ـ فأترك القلم ، وانصرف الى المكتبات ابحث وانقب عما جد فيها من كتب ، فاذا وقع نظري على اسم كتاب

لا عهد لي به تناولته مهما يكن الاســـم ، وقرأت ـ قبـل كل شيء ـ الفهرست وعنــاوين الموضوعات ، فاذا رأيت عنـــوانا لموضــوع مثمر ، استفيد وافيد من قراءته تصفحته بصورة مجملة ، اتبين نظرة المؤلف الى الموضوع ، ومدى تفكيره ، والهدف الذي يرمي اليـــه ، فاذا بدا لي ان فيه شيئا مما اردت اشتريته بدون تريث ، وبأي ثمـن ، وحملته عائدا الى غرفتي ، واستأنفت القراءة او الكتابة الى نصف الليل او بعـــده حسب ما تستدعيه طبيعة الموضوع من طول الوقت او قصره .

وبالامس القريب ، وقبل ان انتهي من كتابة الفصل السابق « حروب الامـام » وقع نظري ، وانا في مكتبـة دار الثقافـــة ، على مؤلف كتب على غلافه بالخط العريض : « **تحذير العبقري من محاضرات الخضري** . او افادة الاخيار ببراءة الابرار . تأليف العلامة المؤرخ الثقة الثبت الشيخ محمد العربي التباني . المدرس بمدرسة الفلاح والحرم المكي » .

تناولته ، ونظرت في الفهرست ـ كالمعتـاد ـ واذا به يستغرق **٤٨** صفحة في اسماء الفصول والموضوعات التي حواها الكتاب ، منها ـ افتراء الخضري على امير المؤمنين علي بن ابي طالب ـ يزيد خليفة مقدس عند **الخضري وعلي بن أبي طالب ليس بخليفة ـ طعن الخضري بالحسين وكذبه** على التاريخ ـ شدة شكيمة ابي طالب في حماية النبي ـ التهويش والتدليس والكذب على النبي لرفعة معاوية ـ عزل علي لمعاوية مثل عزل عمر لخالد ـ تلون الخضري وتناقضه وتمسكه بالاقوال البـاطلة في بيعة علي ـ عداوة حمقاء ظاهرة لابي الحسن واولاده ـ ظهرت خوارق بعـد قتل الحسين رواها علماء الاثر ـ ومثل ذلك كثير وكثير .

وقبل ان انتهي من قـــراءة الفهرست ، وقبـل ان انظر في صفحـة واحدة من صفحات الكتاب دفعت الثمن دون مساومـة او مراجعـــة ،

وذهبت به ، وانا اشعر باني اسعد انسان ، تماما كما يشعر البائس المحتاج اذا اتاه الرزق الواسع من غير احتساب ، وهل أطمع في شيء أكثر من ان يرد عالم من علماء السنة افتراءات الخضري بالادلة القاطعة والسنة الثابتة عندهم وعند الشيعة ؟!• وهل لي من امل ـ وانا اكتب عن فضائل علي ـ الا ان أفحم المعاندين بالعلم وقول الفصل ؟!• فلك الحمد على ذلك يا متم الحجة على من جحد وعاند •

الخضري :

عاش الشيخ الخضري في اوائل هذا القرن العشرين ، وكان من شيوخ الازهر وكبار علمائه ، وكان مؤلفا معروفا ، ومدرسا بالجامعة المصرية ، تماما كتلميذه الشيخ ابي زهرة ـ اليوم ـ وان كانت مؤلفات التلميذ أكثر عددا ، وأقل تعصبا •

ومن مؤلفات الخضري « المحاضرات » يقع في جزأين ، وهو في التاريخ الاسلامي ، الدولة الاموية والدولة العباسية ، وكان يدرس بالجامعة المصرية ، وقد اعتمد عليه كثيرون من اساتذة التاريخ ، وبعض المؤلفين وانتشر في الاوساط ، وطبع سبع مرات ، وفي هذا الكتاب كثير من الاخطاء التاريخية ، والتعصب البغيض ضد اهل بيت الرسول الاعظم ، كما رأيت من العناوين ، فقد تحامل عليهم وعلى شيعتهم ، لا لشيء الا لانهم من البيت المحمدي ، لا من البيت السفياني ، والا لأن فيهم شمائل محمد بن عبدالله (ص) ، لا شمائل ابي سفيان وزوجته هند • ومضت السنون الطوال دون ان نقرأ ردا مفصلاً يكشف عن جميع تلبيسات الخضري وبدعه ، حتى قام بهذه المهمة الشيخ محمد العربي التباني •

التبـاني :

الشيخ محمد العربي التبـاني اصله من الجزائر ، ويقيم الآن في مكة المكرمة ، وهو من كبار العلمـاء في الحجاز ، وله حلقـة درس بالحـرم المكي الشريف ، وعدة مؤلفـات منها « تحذير العبقري من محاضـرات الخضري » في مجلدين كبيرين ، واسم الكتاب يـدل عليه ، وقـد نعت فيه الشيخ الخضري بأقبح النعوت ، ووصف اقواله « بالخيـانة والغش والهـراء والتدليس والتناقض والتلون والاكاذيب والاباطيـل والوقاحـة والسفاهة والنصب لعلي بن ابي طالب » وما الى ذلك .

وقرضه جماعة من علماء مصر والحجاز ، وهم الشيخ محمد يحى امان العضو بالمحكمة الشرعية بمكة ، والشيخ حسن مشـاط العضو بالمحكمـة المذكورة والسيد اسحق عزوز العضو في مجلس الشورى بمكة ، والسيد محمد امين كتبي ، المدرس بكلية المعلمين ، والشيخ محمد نور سيف المدرس بالمسجد الحرام ، والسيد علي المالكي المدرس بالمسجد المذكور ، والسـيد يوسف عبدالرزاق من علماء الازهر والمدرس بكلية اصول الدين ، وممـا قاله هؤلاء في وصف المؤلف التباني : « العالم الجليل والعلامة الدراكـة الشـهير المؤرخ المحدث المفسر النحوي اللغوي الكبير ، شـهرته تغني عن ذكره » .

تناقضات التباني :

اخذ الشيخ التباني على الشيخ الخضري مآخذ كان في بعضهـا عادلا وموفقا في نصرة الحق ، والذب عن الدين واهله ، ولكنـه في الوقت

نفسه وقع من حيث لا يشعر في اخطاء كثيرة ، كمتناقضات الخضري او تزيد :

« منها » قوله ان ابا بكر اشجع اصحاب الرسول (ص ١٠٠ ج ٢) ولكنه لم يذكر لنا شاهدا واحدا على هذه الشجاعة ، فلم ينقل هو ولا غيره ان ابا بكر قتل مشركا واحدا ، على الرغم من حضوره مع النبي في حروبه ...

والغريب ان الشيخ التباني الذي زعم ان ابا بكر اشجع الاصحاب قال : سمع يوم احد مناديا ينادي : « لا سيف الا ذو الفقار . ولا فتى الا علي » وان النبي (ص) بعث يوم خيبر ابا بكر ، فعاد ولم يفتح ، وبعث عمر ، فعاد ، ولم يفتح ، فقال : لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار ، فاعطاها عليا ، ففتح الحصن ، وترس ببابه الذي عجز عن قلبه ثمانية من الاصحاب - كما قال التباني - وقتل مرحبا (ص ١٦٤ ج ١ و ص ١٠٢ ج ٢) .

عجز ابو بكر عن فتح الحصن ، وفتحه علي ، وعجز الجميع عن قتل مرحب ، وقتله علي ، ولم يستطع ثمانية من الاصحاب ان يقلبوا الباب ، ورفعه علي بيد واحدة ، وترس به - كما قال التباني - ومع ذلك كله فأبو بكر - عند التباني - أشجع الاصحاب بما فيهم علي ... أتدرون لماذا ؟! ابدا لا لشيء الا لان ابا بكر كان الخليفة الاول ، فيجب أيضا ان يكون اولا في الشجاعة ، واولا في العلم ، واولا في الايمان !.

و « منها » قوله في ص ٦٩ ج ٢ « علي افضل الصحابة بعد الخلفاء الثلاثة » .

وهذا يناقض قوله في ص ١٠٠ ج ٢ :

« قال الامام احمد بن حنبل والنسأي والقاضي اسماعيل وابو علي النيسابوري : لم ينقل لاحد من الصحابة ما نقل لعلي من المناقب ، ولم يرد في حق احد منهم بالاسانيد الحسان اكثر مما جاء في علي ، وتتبع الامام النسأي ما خص به من دون الصحابة فجمع منه شيئا كثيرا باسانيد ، اكثرها جياد ، وسماها خصائص امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وهو مطبوع » .

وايضا يتنافى مع اعترافه بأن النبي قال : « انا مدينة العلم ، وعلي بابها » وان عمر قال : « لولا علي لهلك عمر . اقضانا علي »[1] (ص١١ و١٦ و١٧ و١٠٤ ج ٢) .

يشهد لعلي بالتقدم والافضلية النبي واصحابه والائمة واصحاب الصحاح والعلماء ، ومع ذلك يأتي علي في الفضل بعد الخلفاء الثلاثة ، حتى كأنه قال وشهد على نفسه بأن « لولا عمر لهلك علي » .. ولماذا ؟! لأن الثلاثة تقدموا في الحكم ، فيجب ان يكونوا مقدمين في العلم والشجاعة والسابقة ، وفي كل شيء حتى في الفصاحة والبلاغة !

و « منها » : أي تناقضات التباني قوله ان معاوية وطلحة والزبير وعائشة مجتهدون ومعذورون في قتالهم علي بن ابي طالب[2] (ص ٤٨ و٥١ و٧٤ ج ٢) .

ولا ادري : كيف يجتمع هذا الاعتذار من التباني مع ما جاء في كتابه (ص ٢٣٤ ج ٢) ان النبي قال : « يا علي ستقاتلك الفئة الباغية ، وانت

---

(١) قال الراغب الاصبهاني في الجزء الاول من «محاضرات الادباء» ص٩٦ طبعة ١٩٦١ « ان اول من خاطب باطال الله بقاءك عمر بن الخطاب قالها لعلي بن ابي طالب » .

(٢) الملاحظ ان الخضري يخطيء الفريقين المتحاربين في وقعة الجمل والتباني يبرر اعمالهما معا .

على الحق ، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني » • واذا كان المحايد الذي لم يناصر عليا ليس من النبي في شيء ، فكيف بمن أعلن عليــه الحرب واقتال ؟! وهل لمن تبرأ منه النبي ؟! وهل لمن قال له انبي : لست مني ، ان يجتهد ويعمل برأيه ضد الله ورسوله ؟!

ونقل الشيخ التباني عن انبي (ص) انه قال : « عمــار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم الى الجنة ، ويدعونه الى النار • ان عمــارا ملىء ايمانا أيتكن صاحبــة الجمل الادبب ؟ تخــرج ـ اي عائشــة ـ حتى تنبحها كلاب الحوأب ، يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثير •• انك يا علي تقاتل على تأويله ، كما قاتلت على تنزيله •• اللهم أدر الحق مــع علي حيث دار •• يا زبير تقاتل عليا وانت له ظالم (ص ٢٥٥ ج ١ و ٨ و٩ و٤٥ ج ٢) •

ومع اعتراف الشيخ التباني بهذه الاحاديث ، وصحتها والايمان بها فقد اعتذر عن أصحاب الجمل وصفين بأنهم مجتهدون معذورون ! ان الاجتهاد مع وجود هذه الأحاديث تماماً كالاجتهاد في جواز ترك الصلاة والزكاة مع وجود الآية الكريمة : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » وكالاجتهــاد في تحليل الزنا مع قوله تعالى « ولا تقربوا الزنا » •

هــذا ، الى أن قول الرسول الاعظم : « علي مع الحق يدور معه حيث دار » يثبت بأن محاربة علي تماماً كمحاربة النبي ، ومن هنا قال : « يا علي حربك حربي ، وسلمك سلمي » فاذا اعتذر معتذر عمن حارب علي جاز لغيره أن يعتذر عمن حارب انبي ، والفرق تحكم • ولا شيء أدل على تناقضات التباني من أنه جمع في كتاب واحد بين قوله أصحاب الجمل وصفين معذورون ، وبين قوله في ص٢٠٩ ج١ « ان أصحــاب صفين رفعوا المصاحف مكيدة ، لأنهم أشرفوا على فضيحة الهزيمــة

الكبرى » اذن يصدق على أهل صفين قولـه تعالى : « حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت » .

ومن أطرف تناقضات الشيخ التباني شكه في نسبة نهج البلاغة الى الامام ، لان جامعه الشريف الرضي ، وهو « رافضي امامي معتزلي » كما قال في (ص١٢ ج٢) وصغار الطلبة يعرفون أن الامامي غير المعتزلي ، لان الامامية يقولون بوجود النص من النبي على خليفتـه ، والمعتزلة ينكرون ذلك ، ومن أدلة التباني على عدم الاخذ برواية الامامي أن ابن عساكر رد بعض الرواة لانه « رافضي ليس بثقة » وكذا ابن عدي رده ، لانـه « شيعي محترق » . (ص٦٢ ج٢) .

ومن أدلة الشيخ التباني على انكار نهج البلاغة أن بعض خطبه تشعر بعدم رضا الامام بخلافة الثلاثة ، والحال انها كانت بقضاء الله وقدره ، وعلي يرضى بقضاء الله وقدره ، فهو يرضى بخلافتهم .. (ص١٢٣ ج٢) . وقس على هذا المنطق بقية ما أورده من الادلة في هذا الباب .

وفي كتاب الشيخ التباني تناقضات كثيرة من هـذا النوع ، وردود ضعيفة واهية ، بخاصة رده على الشيعة ، فانه مجرد جهل وتعصب موروث أباً عن جد ، ولا شيء أدل على ذلك من هـذا الاجترار والتكرار ، يردده اللاحق تقليداً للسابق ، وكذا نحن رددنا أجوبة السلف مكرهين غير مختارين ، ومهما يكن ، فان الرد على التباني يعرف من ردنا على الخطوط العريضة في الفصل الآتي ، ومما ذكرناه في آخر كتاب « الشيعة والحاكمون » بعنوان « كتاب السفياني » .

وبالتالي ، فالذي يهمنا من كتاب « تحذير العبقري » هو رد الشيخ التباني المكي على الشيخ الخضري المصري ، وهو والحق أكثر نجاحاً في رده على هذا الشيخ من بقية أقواله ، ولا دليل لدينـا الا احالة القارىء الى الكتاب .

علي والامـة :

قال الخضري : لم يصف الامر للخليفة الرابع علي بن أبي طالب ، لانه قام في وجهه نصف الامة غير متأثر من تلك الدعوة التي قصد منهـا اقرار الامر في نصابه من بيت النبوة ٠ وكان هنـاك تصادم بين الرأيين ، وقد غلبت القوة وحسن السياسة رأي التخصيص بالقرابة ، حيث انتهى الحال بظفر معاوية بالخلافة ، وهو من بني أمية ، وليس من بني هاشم ٠

قال التباني في رده : ان قوله : قام في وجه علي نصف الامة كذب واضح يدركه كل مسلم ، فان أهل الشام لم يكونوا ربع الامة التي بايعت علياً (ص٢٠٨ ج١) ٠

وقال التباني : خرج علي في سبعين ألفـاً ، فيهم تسعون بدريا ، وسبعمئة من أهل بيعة الرضوان ، وأربعمئة من سائر المهاجرين والانصار ، وخرج معاوية في خمسة وثمانين ألفاً ليس فيهم من الانصار الا النعمان بن بشير ، ومسلمة بن مخلد ، وعلي لم يخرج الا بجيش العراق ، أما باقي رعيته كالجزيرة العربية ، واليمن وحضرموت وعمان ومصر وفارس فلم يجند منها شيئاً ، بينما معاوية خرج بجيش أهل الشام ، ولا سلطان له على غيرها ٠ (ص٢٠٨ و ٢٣٤ ج١) ٠

وقال التباني : ان قول الخضري غلبت القوة وحسن السياسة تكذيب للتاريخ ووقاحة ، ولان التاريخ نقل أن جيش معاوية رفعوا المصـاحف مكيدة لما أشرفوا على فضيحة الهزيمة الكبرى ، وان القتـــل فيهم كان أكثر من جيش علي ٠٠٠ ولم ينقل مؤرخ ينتمي الى الاسلام أن علياً كان مسيئاً في سياسته ، ولم ينقل مؤرخ مسلم أن معاويـــة ظفر بالخلافـــة ،

وتسمى بها على المسلمين عموماً مدة حياة علي ، بل ولا مدة ابنه الحسن ، وهذا المحاضر لا يستحي من كثرة الكذب والبهتان (ص ٢٠٩ و ٢١٠ ج١) •

وقال الخضري : ولما جاء دور علي قام جماعة من أهل المدينة والثوار من الآفاق فبايعوه بالخلافة •• وكان معظم الامة عليه •

قال التباني : هـــذا كذب وتدليس وتذبذب وتخبط ونصب لحيدرة (ص٢٢٨ ج١) فقـــد اجتمع على بيعة علي المهاجرون والانصـــار ، بل اجتمعت الامة على بيعته ورضيت بها ما عدا معاوية ومن معه ، أمـــا سعد بن أبي وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة فلم يتخلفوا عن بيعته ، وانما تحرجوا من قتال المسلمين ، وقد صح عن سعد وابن عمر أنهما ندما عن نصرته لما قتل عمار ، وقال ابن عمر : ما آسى على شيء الا عـــلى أن لا أكون قاتلت الفئة الباغية ، هذا الى أن أبا بكر وعمر وعثمان لـــم يبايعهم الا أهل المدينة (ص٣٢٨ و ٢٣٥ ج١ وص ٦ و٧ و١٣ ج٢) •

قال الخضري : حين بويع علي اضطرب الحبل في جميع الأمصـــار الكبرى الاسلامية •

قال التباني : هذا كذب مكشوف ، فلم يقل أي مؤرخ مسلم ، ولو ناصبيا : ان حبل الامة اضطرب في جميع الامصار الكبرى ، لا قبل بيعـة حيدرة ، ولا بعدها • (ص٣٥ ج٢) •

قال الخضري : لم يكن المراد من حرب صفين الوصول الى تقرير مبدأ ديني ، أو رفع حيف حل بالامة ، وانما كانت لنصرة شخص عـلى شخص ، فشيعة علي ينصرونه لانـــه ابن عم رسول الله (ص) وأحـــق بولاية الامر •

قال التباني : هذا كذب على التاريخ ، لأن الذين نصروا علياً نصروه

أولا لانه امام عادل قد لزمتهم بيعته وطاعته ، فوجب عليهم نصره والمدافعة عنه بمقتضى ذلك ، وكونه ابن عم رسول الله وأحق الناس بالولاية أمر ثانوي مفروغ منه مؤكد لاستحقاقه الامامة . (ص٦٩ ج٢) .

علي واصحاب الجمل :

قال الخضري فيما يتعلق بوقعة الجمل : « لم يكن عند علي بن أبي طالب من الاناة ما يمكنه من المصابرة حتى يلتئم هذا الصدع .. والنتيجة أن تبعة حرب الجمل تقع على الفريقين » أي على علي وأصحاب الجمل .

وقال التباني في رده : ان قوله « لم يكن عند علي من الاناة » وقاحة وتكذيب للتاريخ ، كأنه يريد منه أن يقعد في بيته ، ويترك رعيته في الفوضى يضرب بعضها بعضاً ، ولا ينظر فيما أوجبه الله عليه من مصالحها ، وقد تأنى بارسال السياسي المحنك أحد أبطال الاسلام القعقاع بن عمرو الى طلحة والزبير وعائشة ، فناظرهم حتى أقنعهم بالحجة ، وتبين لهم وجه الخطأ (ص٥١ ج٢) .

وقد ثبت بدليل الدين أن علياً كان اماماً عادلاً ، وان من خرج عليه باغ ، وان قتاله واجب ، حتى يفيء الى الحق (ص٣٨ ج٢) . وثبت أن النبي (ص) قال للزبير : تقاتل علياً وأنت له ظالم (ص٤٥ ج٢).

وقال الحافظ ابن حجر : أخرج الطبري بسند صحيح ان الاحنف بن قيس قال : لقيت طلحة والزبير فقلت : اني لا أرى عثمان الا مقتولا ، فمن تأمراني به ؟ قالا : علي . فقدمت مكة فلقيت عائشة فقلت لها : من تأمرني به ؟ قالت علي . قال الاحنف فرجعنا الى المدينة ، فبايعت علياً ، ورجعت الى البصرة فبينما نحن كذلك اذ أتاني آت ، فقال هذه

عائشة وطلحة والزبير يستنصرون بك ، فأتيت عائشة فذكرتها بما قالت لي ، ثم أتيت طلحة والزبير فذكرتهما • (ص٥٣ ج٢) •

علي واهل صفين :

قال الخضري : ممن يترقب الخلافة ، ويرى نفسه أهلا لها معاوية ، فقام بأهل الشام معلناً أنه مخالف لعلي ، لان بيعة علي ليست بصحيحة •

وقال التباني : قد ثبت عن الفاروق الذي يقدسه الخضري دون سائر الصحابة أنه قال : ان الخلافة لا تحل للطلقاء ، ولا لابنائهم ، وانما هي لأهل السبق الى الاسلام من قريش ، ومعاوية وأبوه من الطلقاء ••• ومعاوية لم يقل لعلي بيعتك غير صحيحة ، ولم ينازعه فيها (ص٢٢٩ ج١)•

وقال الخضري : في نظرنا أن خلافة معاوية وبيعته لم تنقص في الشكل عن بيعة علي •

قال التباني : هذا نظر فاسد ، وكذب على التاريخ ، وغش للقراء •• لقد انعقدت خلافة علي باتفاق أهل الحل والعقد ، ودلت عليها الاحاديث منها قول النبي لعلي : انك تقاتل الناكثين ، والمارقين والقساطين ومنها قوله لعمار تقتلك الفئة الباغية ، وقال أحد شيوخ البخاري ، وهو يحى بن سليمان الجعفي : ان أبا المسلم الخولاني قال لمعاوية : أنت تنازع علياً في الخلافة ؟! • أأنت مثله ؟! • قال : لا ، واني أعلم انه أفضل مني وأحق بالامر ، ولكن عثمان قتل مظلوماً • (ص٢٣٢ و ٢٣٣ ج١) •

ولو كان معاوية صادقاً في طلب دم عثمان لطلبه من ابن العاص ، فقد نقل التباني في ص٥٤ ج٢ عن ابن الأثير والطبري انه لما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر ، قدم المدينة ، وجرت بينه وبين عثمان محاورة

افتخر فيها بأبيه على عثمان ، وغضب عليه ، وصار يحرض الناس عليه ، ثم خرج الى منزله بفلسطين ، وهو دائب على تأليب الناس عليه ،حتى قال عن نفسه : والله اني كنت لألقى الراعي فأحرضه على عثمان ، ولما بلغه حصره سرّه ذلك ، وقال كلاماً لا يليق ذكره .

علي يحاسب ومعاوية يتساهل :

قال الخضري : كان معاوية يتساهل بعض الشيء لرؤوس أجناده ، ويفيض عليهم من العطاء ما يجعل رقابهم خاضعة لـــه .. وعلي يحاسبهم على النقير والقطمير في وقت هو محتاج اليهم .

قال التباني : ان كان هذا العطاء من الجود بماله الخاص فعلي أسخى منه ، وان كان هذا التساهل من العدل فعلي عنده منه أضعاف ما عنــد معاوية ، وان كان من المداراة من نمط ما يعطي لمن يغضب بالنهـــار ، ويرضى بالليل فليس عند علي . كان مالك بن هبيرة الكندي من كبـــار قواد معاوية . ولما أراد معاوية قتل حجر استشفع مالك لابن عمه فلم يشفعه ، فغضب مالك ، فلما جاء الليل أرسل له معاوية مئة ألف فرضي ، وليس عند علي شيء من ذلك .

واذا حاسب علي عماله فقد حاسبهم من قبله رسول الله والخلفاء ، فالطعن فيه طعن فيهم (ص١٣٧ و ١٣٨) .

ابن عباس :

قال الخضري : تغير قلب ابن عباس على علي ، فترك البصـــرة ـ

وكان والياً عليها ـ وذهب الى مكة ، لأن علياً يحاسب على النقير والقمطير .

قال التباني : هذا غير صحيح ، فقد جزم الحافظ ابن حجر في ترجمة ابن عباس بكتاب الاصابة بأنه لم يزل واليا على البصرة ، حتى قتل علي .. وكذلك ابن كثير في بدايته قال : لم يزل ابن عباس على ابصرة ، حتى مات علي . (ص١٣٩ ج٣) .

اذن حديث اختلاس ابن عباس ما تحت يده من المال ، وذهابه الى مكة كذب وافتراء .

ثم قال الشيخ التباني : ثبت في الصحيح أن النبي دعا لابن عباس ، وقال : اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل . وقال المهاجرون لعمر : ألا تدعو أبناءنا لمجلسك كما تدعو ابن عباس ؟! فقال : ذاكم فتى الكهول له لسان سئول ، وقلب عقول . وقال ابن مسعود : لو أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد ، ولنعم ترجمان القرآن ابن عباس . وقال مسروق : اذا رأيت ابن عباس قلت : اجمل الناس ، فاذا نطق قلت : افصح الناس ، فاذا تحدث قلت : اعلم الناس .

واستعمله عثمان أميراً للموسم ، فخطب الناس ، وجعل يفسر سورة النور فقال رجل : لو سمعت هذا فارس والروم لاسلمت . وحضر غزو افريقيا فتكلم مع ملكها ، فقال الملك لابن عباس : ما ينبغي الا أن تكون حبر العرب ، فلقب الحبر ، ويلقب أيضاً ، ترجمان القرآن .

وشتمه رجل ، فقال له انك تشتمني ، وفي ثلاث :اني أسمع بالحاكم يعدل ، فأحبه ، ولا حاجة لي عنده أبداً ، وأسمع بالغيث يصيب البلاد ، فأفرح به ، ومالي بها سائمة ولا زرع ، وآتي على آية من القرآن فأحب ان المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم . (ص١٤٣ ج٢) .

الامويون :

يحاول الخضري أن يساوي بين الهاشميين والامويين في المكانة ، وان يوجد شيئاً من لا شيء ، وان يطفيء نور الله بالاقوال والتلاعب بالالفاظ . فمن أقواله كان أبو طالب كبير بيته (أي لا سيد قريش)

وكان أبو سفيان رجلا عظيماً في نفسه ذا شرف ، قال رسول الله يوم فتح مكة : من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فسوى بين بيته وبيت الله ، وهذا شرف عظيم لم ينل أحد مثله للآن .

وقال التباني في جوابه : هذا تهويش وتلبيس قصد من ورائه ان يرفع مقام معاوية .. ان أبا طالب لم يكن كبير بيته ، بل كان سيد قريش مرموقاً من أشرافهم بعين الاجلال والتوقير ، مع كونه فقيراً ، وقد قال معاوية بن أبي سفيان يخاطب عمرو بن العاص :

نجوت وقد بل المرادي سيفه   من ابن شيخ الاباطح طالب

وقد زاد شرفه ، وشدة شكيمته على قريش دفاعه عن الرسول الاعظم ، ثم ذكر التباني قصيدة أبي طالب التي يقول فيها :

كذبتم وبيت الله نبذي محمدا   ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله   ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للارامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم   فهم عنده في نعمة وفواضل

وقال التباني : وقول الخضري كان أبو سفيان رجلا عظيما في نفسه تهويش لا معنى له ، لان الشرف والعظمة لا تكون الا بالتقوى والتفقه في الدين ، وقال المفسرون : ان هـذه الآيـة : « ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفروا وأحلوا قومهم دار البوار » نزلت بالافجرين بني مخزوم وبني أمية ، فأما بنو أمية فمتعوا الى حين ، وأما بنـو مخزوم فأهلـكوا يوم بدر .

أما قول النبي من دخل دار أبي سفيان فهو آمن فلا دلالة فيه على الشرف والمكانة ، فالنبي قال أيضاً : من دخل دار حكيم بن حـزام فهو آمن ، ومن أغمد سيفه فهو آمن ، بل أوصى جيشه ان لا يقـاتلوا أحدا الا من قاتلهم ، وهـذا أمان لـكل مشـرك قرشياً كان أو غـير قرشي ، ولو لم يدخل بيتاً ، فأي شرف اذن لبيت أبي سفيان ؟! هـذا ، الى أن أبا سفيان من المؤلفة قلوبهم ، حيث ساوى النبي بينـه وبينهم في غنائم هوازن يوم حنين (ص١٦٤ الى ١٨٠ ج٢) وقال التباني في الجـزء الاول ص ١٦٨ : كان أبو سفيان جالساً في المسجد ، فقال في نفسـه : ما أدري بم يغلبنا محمد ؟! فأتاه النبي ، وضرب صدره وقال : بالله نغلبك ومرة ثانية قال أبو سفيان في نفسه بعد أن أظهر الاسـلام : لو عاودت هذا الرجل القتال ، وجمعت له جمعاً . فضرب النبي صدره وقال : اذن يخزيك الله .

ورأى النبي في منامه بني أمية على منبره ، فساءه ذلك ، فنزلت « انا أنزلناه في ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألـف شهر » والمراد بألف شهر مدة حكم الامويين . (ص٢٤٤ ج١) .

وقال التباني في ج٢ ص١٩٧ : ان أبا هريرة قال :

لدي علم لو بثثته لقطع مني هذا الحلقوم . قال العلماء : لما فيه من

الاخبار عن امراء السوء من بني أمية الذين بدلوا سنة الرسول ، ويؤيد قولهم هذا ما جاء في الصحيح « هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش » فقال مروان : غلمة ! •• فقال أبو هريرة : لو شئت أن أقول : بنو فلان وفلان لفعلت – أي بنو سفيان وبنو مروان – •

وقد أطال التباني الحديث في مثالب مروان كما نفاه من صحبة الرسول ، ونقل قصة أبيه الحكم ، وايذائه رسول (ص) ونفيه من المدينة ، ومما قاله عن مروان انه ابتدع في الدين ، فقدم خطبة العيد على الصلاة وكان النبي يؤخرها ، وانما قدمها مروان ، لانه كان يلعن الامام علياً على المنبر في خطبته ، فكان الناس ينصرفون بمجرد أن يفرغ من الصلاة ، كي لا يسمعوا هجره ، فقدمها ليحبس الناس ، ويسمعهم التشهير واللعن (ص٢٨٣ ج٢) ثم نقل التباني مذبحة كربلاء ، ووقعة الحرة وغيرها • وعقد فصلا خاصاً فيما جاء من الاحاديث في ذم يزيد بن معاوية ولعنه على لسان الأئمة والعلماء •

العلويون :

عقد التباني فصلا في شجاعة الامام ، وآخر في علمه ، وثالث في فضائل الحسنين وأمهما بنت الرسول (ص) ، ويجد متتبع الكتاب في صفحاته التي تجاوزت ٦٥٠ أحاديث متفرقة هنا وهناك في فضائل الامام ، كحديث : من كنت مولاه فعلي مولاه ، وحديث الجنة لتشتاق الى ثلاثة : علي وعمار وسلمان ، ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فقال أبو بكر : انا يا رسول الله ؟ فقال لا ، فقال عمر : انا يا رسول الله : قال : لا ، ولكنه خاصف النعل ، وكان قد أعطى علياً

نعده ليصلحه ، الى كثير من الاحاديث وأقوال العلماء والأئمة والخلفـاء ، بخاصة الخليفة الثاني •

وذكر التباني طرفاً من المعاجز وخوارق العادات الدالة على عظمة آل الرسول ، ومنزلتهم عند الله سبحانه ، منهـا ما رواه ابن حجـر في الصواعق المحرقة من ان رجلاً بالشام كان يلعن علياً كل يوم ألف مرة ، وفي يوم الجمعة آلاف المرات ، وأولاده معه ، فرأى النبي (ص) في المنام ، فبصق في وجهه ، فأصبح وجهه وجه خنزير ، ومنهـا أن السماء أمطرت دماً يوم قتل الحسين ، وأصبحت جرارهم مملوءة دماً ، وان الدنيا اسودت اسوداداً عظيماً ، واستمرت الظلمة ثلاثة أيام ، ثم ظهرت بعدها الحمرة في السماء ، وان العدس الذي كان في عسكرهم تحول رماداً ، وانهم نحروا ناقة فكانوا يرون في لحمها مثل الفيران ، فطبخوها فصارت مثل العلقم ، وان ما من أحد من عسكر ابن سعد الا اصابته آفـة أو عاهـة قبل أن يخرج من الدنيا •

ومن الاحاديث التي أوردها التباني في فضل آل البيت قول الرسول الاعظم : « انما فاطمة بضعة مني يؤذيني من آذاها ، وينصبني ما انصبها ••

فاطمة سيدة نساء أهل الجنة الا مريم بنت عمران •• الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما خير منهما •• الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا •• من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني •• ونظر الى علي وفاطمة والحسن والحسين ، وقال : انا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالمكم •• وقال عن الحسن : ان ابني هذا سيد ، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين •• » •

وقد أشرنا في بعض مؤلفاتنا السابقة الى أن حديث « يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » من وضع الامويين وأنصارهم ، والغاية منه

اثبات الاسلام لمعاوية ومن كان معه في صفين ، لان حديث عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ، ويدعونه الى النار ، قد أخرج قاتلي عمار من الاسلام فوضعوا في قباله هذا الحديث ليُستدل به على بقائهم مسلمين بالرغم من قتل عمار ، ويؤيد الوضع لفظة « عظيمتين » التي حشرت للدلالة على تساوي فئة معاوية لفئة علي في العظمة .. ولكن خاب سعيهم ، فان قول النبي : يا علي حربك حربي ، وسلمك سلمي يفضح هذه الاكذوبة ، ويجعل الذين حاربوا علياً في مصاف أبي جهل ومن اليه ، حتى ولو تستروا بلفظ « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

وهكذا كل مبطل اذا رأى فضيلة لخصمه المحق ، وعجز عن جحودها وانكارها انتحل مثلها لنفسه ، وادعاها كذباً ونفاقاً ، واذا أعوزته القدرة على التأثير في عقول الناس ، ولم يجد عندهم سبيلا لتصديقه لا في انكار ما لخصمه من مكانة ، ولا في انتحال مثلها لنفسه تظاهر بالاعتراف له ، لا لشيء الا ليقال : انه منصف لا تمنعه الخصومة من قول الحق .. ومن هذا الباب ما رواه الشبلنجي في الجزء الثاني صفحة ٧٧ و ٧٨ قال :

ان معاوية بكى حين بلغه قتل أمير المؤمنين ، فقالت له زوجته فاختة : أنت بالأمس تطعن عليه ، واليوم تبكي عليه ، فقال : ويحك انما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره .

وانه بكى أيضاً ، وقال : رحم الله أبا الحسن ، كان والله كذلك حين سمع ضرار بن ضمرة الكناني يصف الامام بقوله :

كان بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطلق الحكمة من لسانه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، كان غزير الدمعة طويل الفكرة ، يقلب كفيه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام

ما جشب ـ أي تغير ـ .

وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا اذا سألناه ، ويبتدئنا اذا أتيناه ، ويأتينا اذا دعوناه ، ونحن والله مع قربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله .

وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل في محرابه ، قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، فكأني أسمعه وهو يقول : يا دنيا يا دنيا ، الي تعرضت ، أم لي تشوقت ؟! هيهات هيهات غري غيري ! .. قد ابنتك ثلاثاً ، لا رجعة لي فيك ، فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير .. آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق ! ..

هذا ما أردنا نقله وتلخيصه من كتاب « تحذير العبقري من محاضرات الخضري » ، وهو كاف للدلالة على أخطاء الخضري وتعصبه وتحامله ، وفي الوقت نفسه يدل على ان في علماء السنة من يقول ما يعتقد ، ويعلنه على الناس بدون تحيز ، واذا جهل بعض الحقائق لتأثير البيئة والتربية فان الجهل عذر بالقياس الى التعصب ، وقصد الفتنة ، وتفريق الكلمة التي يهدف اليها أمثال الجبهان والحفناوي والخطيب .

ومهما أخطأ رجل العلم ، وأثر عليه المحيط فلا بد أن تجد في أقواله شيئاً من الحقيقة ما دامت بوحي من ايمانه وعقيدته ، أما من يقول ويكتب ما يطلب منه ويملى عليه ، أما الذي يتلقى الوحي من أعداء الدين والوطن فمحال أن تجد عنده غير الكذب والدس على الابرياء ، والغش لله وللمؤمنين .

المثل الاعلى *

الشخصية الفردية والشخصية الاجتماعية :

من الاخطاء الشائعة بين فئة كبيرة من الناس انهم يقيسون الفـــرد بالاموال والمناصب ، وبمقدرته على الضرر ، وسطوته على حقوق الآخرين فيقولون : فلان عظيم لأنه غني أو وزير أو نائب أو مدير ، ومن منافبـه انه عزل زيداً ، وعين عمراً ، وخالف القانون ، ولم يجـرأ أحـــد على محاكمته وعقابه . فالاحترام والتقدير في منطقهم يقوم على الشخصية الفردية وعلى أساس الرغبة والرهبة ، فيعظمون الفـــرد اذا طمعوا في خيره ، أو خافوا من شـره ، أما الشخصية المبدأية ، أما من تتمثل فيـه الصفات العليا من الاخلاص والعدل والعلم فهو في زوايا الاهمال والنسيان ما داموا من شره وضرره في أمان ، وما دام عاجزاً عن تعيين زيـــد وعزل عمر .

أجل ، قد نجود على الطيب بكلمة « آدمي » ونعم الرجل ، ولا بأس به ، ولـكن اذا أجـــد الجد وانبرى ضده شيطان من الشياطين ناصرنا

* تليت في احتفال أقيم لاحياء ذكرى الامام .

الباطل ، وخذلنا الحق ، وكنا من حزب الشيطان ، وهـــذا شأننا في كل شيء ، أو أكثر المواقف ، نؤمن بالمبادىء نظرياً ونكفر بها عملياً[١] .

وليس من شك ان هذا النفاق يرفضه الدين والاسلام ، ويبرأ منه العقل والوجدان ، ان أهل الدين والوعي يقدرون الشخصية المبدأية ، فيقدسون الجهاد والاخلاص ، والعـلم والعدل ، فاذا ما قدروا واحترموا رجلاً ، فلأنه يمثل هذه المبادىء المقدسة ، ولأنها تمثل في شخصه وعمله وجميع حركاته وسكناته ، فتصبح محسوسة ملموسة بعد أن كانت فكرة مجردة ونظرية تسطرها الاقلام حبراً على ورق ، وألفاظاً تلوكها الألسن ، ثم تذهب مع الريح .

وعلى أساس المبادىء وتقديسها نحتفل بهـــذه الذكرى الكريمة ، ونتحدث عن المعاني الفاضلة والمثل الرفيعة ، والعمل الذي أنتج للانسانية أطيب الثمار ، نتحدث عن النبأ العظيم الذين هم فيه مختلفون ، وعنــــه يتساءلون ، عن أول من آمن بالله ، وصدق الرسول ، عن أمير المؤمنين الذي شرفه التنزيل ، وعظمه الجليل .

ولكن لهذا النبأ جوانب من العظمة ، لا جانب واحد ، وقد شغلت عظمته أهل العصور القديمة والحديثة ، وستشغلهم الى يـوم يبعثون .. فعن أي جانب منها نتكلم ؟ .

البلاغـــة :

هل نتكلم عن بلاغته ، ونحن الذين نعصر الادمغة ساعات وساعات ،

---

(١) وأجمع كلمة تعبر عن هذا قول الفرزدق للامــــام الشـهيد الحسين حين سأله عن أهل الكوفة ، قال الفرزدق : قلوبهم معك وسيوفهم عليـــك .

لنركب ، ونزوق بعض الكلمات تتحدث عن بلاغـة من سن الفصـاحة قريش ، وقيل عن كلامه : انه فوق كلام المخلوق ، ودون كلام الخالق ؟!

ويمكننا أن نتخذ من هذا الوصف مقياساً لجميع صفـات الامـام فنقول : ان قدرته فوق قدرة المخلوق ، ودون قدرة الخالق ، وكذا علمه ولطفه ، وما الى ذلك من صفات الجلال والكمال .

الشـجاعة :

أو نتكلم عن شجاعته ، ونحن الذين نهتز ونرتجف لمجرد الوهم والخيال نتحدث عن شجاعة من قال : لو اجتمعت علي العرب لما وليت مدبراً . وان بن أبي طالب لا يبالي سـقط عـلى الموت أو سـقط الموت عليـه وقال : لألف ضربة بالسيف أحب الي من ميتة على فراش ، وكفـى أن يشهد جبريل بشجاعته ، وينادي بين السماء والارض :

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي

الحـلم :

أو نتكلم عن حلمه ، ونحن الذين تغلي قلوبنا غلا وحقدا ، ويحب أحدنا أن يأكل لحم أخيه ميتاً . نتكلم عمن سقى الماء لاعدائه بعـد أن منعوه منه ، وعفى عن ابن العاص ، أعدى أعدائـه ، وبسر بن ارطاة ، وطلحة الطلحات بعد أن مكنه الله من رقابهم ؟!

الزهـد :

أو نتكلم عن زهده ، ونحن الذين ندس ونتآمر ، ونكذب ونرائي ، ونبيع ديننا للشيطان من أجل الدرهم والدينار نتحدث عن زهد من قال :

والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت أفلاكها علـــى أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت ، وقال مشيراً الى حذائه التي لا تساوي كسر درهم : ان هذه أحب الي من دنياكم الا أن أقيم حقاً أو أدفـــع باطـــلا ! •

العـــلم :

أو نتكلم عن علمه ، ونحن الذين نقرأ الكتب ، ونسهر الليالي الطوال حتى نحفظ الكلمة نتحدث عمن قال على المنبر بملأ من الناس : سلوني قبل أن تفقدوني ، وانها لكلمة لا يجرأ على التفوه بها الا علي ، وقـال : لو ثنيت لي الوسادة لافتيت أهل التوراة بتوراتهم ، وأهل الانجيل بانجيلهم ، وأهل القرآن بقرآنهم • وقال فيه الخليفة الثاني : لا بقيت لمعضلة ليس فيها أبو الحسن ، وقال عشرات المرات : لولا علي لهلك عمر •

وأخبر الامام بمغيبات كثيرة أتينا على ذكرها في كتاب «علي والقرآن» مع المصادر والارقام ، منها اخباره عن الراديو والتلفزيون ، حيث قال : يأتي زمان يرى ويسمع من في المشرق من في المغرب ، وهذه المغيبـــات مدونة في كتب مضى على تأليفها أكثر من ألف سنة ، وعلى طبعها مـــا يقرب من مئة سنة •

السياســة :

وقال جاهل متحذلق يقيس الامور بباعه ، ويكيلهـــا بصاعه ، قال هذا الجاهل : ان علياً لا يعرف السياسة ، لأنه عزل معاوية عن الشـام ، وسقى الماء لاعدائه ، وعفى عنهم •

وأجيب عن هذا بأجوبة شتى ، ولكن كلمة جاءت في مطاوي كلام الاستاذ جورج جرداق في كتاب « الامام علي » عبرت عن الواقـــع ، وهي أن الذين اعترضوا على الامام أرادوا من علي بن أبي طالب أن يكون معاوية ابن أبي سفيان ، ويأبى علي الا أن يكون علياً :

شكيب ارسلان :

والكلمة الجامعة المانعة في هذا الباب نطق بها الامير شكيب أرسلان ، سمعتها من فمه ، واليك حكايتها :

في سنة **١٩٣٦** ، أو **١٩٣٧** لا أتذكر التعيين أقامت جمعية الاصلاح في بيروت احتفالاً بذكرى الامام ، تكلم فيه عدد من الخطبـــاء ، وكان من بينهم شكيب أرسلان ، وقدمه معرّف الحفلة بقوله : « تسمعون كلمة من الامير شكيب ، وانما سمي أميراً لانه شبيه بالامير في سنانه وبيانه » .

نغضب شكيب من هذا التشبيه ، وقال على المنبر : « والله ما اعتراني الخجل منذ خلقت ، حتى الساعة ، كما اعتراني حين سمعت المعرف يشبهني بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، والله ان كل ما في الســماء والارض عدا الله والرسول لا يشبه الغبار الذي على حافر فرس علي بن أبي طالب.. ان الله أمر بالخير ، ونهى عن الشر ، ثم خلق علياً كما يشــاء ، وقال للناس : هذا هو المثل الاعلى فاحتذوه » .

شيعة علي والمفترون

ترتفع في هذه الأيام صيحة لا شعورية ، وصرخات « هستيرية » بسب الشيعة وتكفيرهم على لسان « الجبهان » في السعودية ، و « الحفناوي » و « الخطيب » في القاهرة ، وترتفع هذه الصيحات والصرخات في دمشق على صفحات مجلة التمدن الاسلامي .

فما هو السبب يا ترى ؟! .. وهل هناك سر لتحالف هؤلاء على عداء طائفة معينة ؟! هل اعتنقوا خصومة الشيعة والافتراء عليهم في هذا الوقت بالذات لأهداف وغايات بعيدة الأثر ؟!

أجل ، هناك سر تتصل خيوطه برئاسة كنيدي لجمهورية الولايات المتحدة ، فلقد انتخبه اليهود بعد أن قطع على نفسه عهداً بأن ينهي مشكلة فلسطين ، ويسلم الارض العربية المقدسة لقمة سائغة لاسرائيل ، وما أن دخل البيت الابيض حتى خصص مبلغاً كبيراً من المـال يعملون جاهدين على صرف أنظار العرب والمسلمين عن فلسطين ، وترك الحديث عنهـا والتفكير فيها . وقبض هؤلاء القدر المعلوم ، وشرعوا بتنفيذ الخطط المرسومة

من تمزيق وحدة المسلمين وتفتيت قوتهم ، عن طريق الاستفزازات وبث النعـــرات •

فطبعوا الكتب ، ووزعوا النشرات ، وقالوا فيهـــا تصريحاً وتلويحا : ان الشيعة أشد خطراً من اسرائيل • فيجب أن نقضي عليهم ، ونترك اسرائيل آمنة مطمئنة •

لقد دعوا الى هذا بكل سبيل ، وهم على علم اليقين بأن القضاء على الشيعة لا يتم حتى لا يبقى واحد من المسلمين ، وان القضاء على المسلمين لا يتحقق حتى لا يبقى على وجه الارض شرقي ولا غربي ، انهم عـــلى علم من هذا دون شك ، ولكنهم قبضوا الاجرة ، ولا بد من عمل شـــيء وقد عملوا ••

رددت على « الجبهان » بكلمة مطولة ، وعلى الحفناوي بكلمة أطول ، وفي هذه السنة بالذات طلع علينا شخص ، يدعى « محب الدين الخطيب » طلع بصفحات أسماها « الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها ديـــن الشيعة الامامية الاثني عشرية » •

قال : دين الشيعة ، ولم يقل مذهب الشيعة ، ليوهم انهم غير مسلمين ، واذا كان الشيعة ، الذين أقاموا ويقيمون كتاب الله وحـدوده وشرائعه ، وسنن ، نبيه الكريم وآثاره ومعالمه ، اذا كان الشيعة الذين قام الاسلام على جهودهم وتضحياتهم من عهد أمير المؤمنين علي الى اليوم ، اذا كانـــوا غير مسلمين ، فليس في الكون مسلم واحد ، لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل •

قال هـذا الخطيب المصري في خطوطه العريضة : ان الشيعة كفرة مرتدون ، وليس بينهم وبين الاسلام نسب ولا سبب ، وأصولهم تخالف أصول المسلمين جميعاً ، وانهم يتلذذون بالعـــداء للاسلام ، وهم طابور

خامس في قلعة المسلمين ، وان الشيوعية وليدة التشيع ، وان المفيد كذاب ، والكليني وضاع ، والشريف المرتضى والرضي مزوران ، وان الشيعة يسمون أبناءهم « تقي » من التقية لا من التقوى ، أما يزيد بن معاوية فهو من خيار الصالحين .

وليس من شك : اذا كان يزيد من خيار الصالحين فجميع الاصحاب حتى البدريين والخلفاء الراشدين من شرار المفسدين والجاحدين ، لا خصوص الشيعة والمتشيعين ، تعالى الله والمقربون اليه علواً كبيراً .

وقرظ خطوط الخطيب وقدم لها رجل ، اسمه محمد نصيف ، يظهر من كلامه انه سعودي وهابي ، أما نفقات الطبع والنشر فعلى علي بن عبدالله آل ثاني أمير قطر ، وقد جعلها وقفاً لله ، كما هو مرسوم على الغلاف .

دار التقريب :

ولندخل الآ في التفاصيل وعرض الخطوط الطويلة العريضة .

افتتح كاتب هذه الخطوط كلامه بحملة شعواء على دار التقريب بين المذاهب الاسلامية ، ونال من الذين يعملون لوحدة الكلمة بين المسلمين ، لأن هذه الوحدة قوة ضد الصهيونية والاستعمار ، وهذا ما لا يرتضيه صاحب الخطوط العريضة لأنه يرضي الله والرسول ، ويقضي على جميع خطوط الاستعمار والصهيونية ، اذن من أين تأتي الجنيهات والدولارات ؟! فالشيء الثابت أن الصهاينة والمستعمرين لا يدفعون اذا اتفق المسلمون ، ومن أجل هذا وحده بذلوا كل وسيلة لتمزيق الوحدة وتفتيت قوى العرب والمسلمين . ولكن الناس ، والحمد لله ، يحتقرون المخربين والمفسدين ولا

يستجيبون لهم .

وبعد أن انتهى صاحب الخطوط من حملته على « دار التقريب » شرع بالتهويش على علماء النجف الاشرف بقصد اثارة الفتن ، واحداث الشقاق بينهم وبين علماء الأزهر الشريف ، فاختلق ما لم يكن في وهم ولا خيال ، ولا يمكن أن يصدقه عاقل ، قال في ص٦ : نشر علماء النجف كتاباً اسمه الزهراء في ثلاثة أجزاء ، نالوا فيه من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

حاشا لله وأوليائه ، وعلماء دينه وأصفيائه أن يهووا الى هذا الدرك الذي هلك فيه من هلك ، ان الكاتب يعبر بما نقل عن نفسه ، ويدافع عنها باسلوب لا يلجأ اليه الا مبتلى بداء لا دواء له .

ان صاحب الخطوط ، يستهدف من وراء قوله هذا ، أن يحرك علماء الازهر ، ويبعثهم على معارضة القرار الذي أصدره الاستاذ الاكبر بتدريس الفقه الجعفري بعد أن رأى فيه سبيل الوحدة والتفاهم والقضاء على خطوطه الهادفة الى التخريب لا الى التقريب ، والى الشقاق لا الى الوفاق .

ولنفترض ان كتاباً اسمه « الزهراء » أو العنقاء ، فيه ما فيه ، فأي مسوغ لنسبة الكتاب الى علماء النجف كافة وفيهم حفظه الدين وشريعة سيد المرسلين ؟! لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون . وما هو المبرر لهذا التدليس والتلبيس الا التحامل على حماة الاسلام وحاملي لوائه ؟!

لقد أفتى الشيخ « بخيت » ـ وهو أزهري ـ **بترك الصيام وجواز الافطار في رمضان ، والف أزهري آخر ، وهو الشيخ محمود الشرقاوي ،** كتاب « الدين والضمير » أباح فيه ترك الصوم والصلاة والحج وسائر العبادات ، فهل لعاقل أن يقول : ان علماء الازهر بقضهم وقضيضهم

أباحوا المحرمات ، وترك الصوم والصلاة ؟! • ونشر مصطفى محمود كتاباً أنكر فيه وجود الله ، فهل نقول : أن المصريين جميعاً لا يؤمنون بالله ؟! وبالأمس القريب ، وبعد القرارات الاشتراكية التي أصدرها الرئيس جمال، خرج كتاب في القاهرة يحمل اسم العدالة الاجتماعية جاء فيه « عدم وجود الطبقة الفقيرة يقضي على أساس دعائم الكيان الاجتماعي والاقتصادي » أي أن الحياة الاجتماعية مستحيلة التحقق بدون الفقر والبؤس ، واذا لم يمثل هذا الكتاب رأي الرئيس جمال وغيره من رجال الثورة ، ومفكري مصر وعلماء الازهر • فكذلك كتاب الزهراء أو العنقاء لا يمثل رأي الكبار وغير الكبار من علماء النجف •

فقه السنة :

وقال في ٧ : « الفقه عند أهل السنة لا يرجع الى اصول مسلمة عند الفريقين والتشريع الفقهي عند الأئمة الاربعة من أهل السنة قائم على غير الاسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي عند الشيعة » •

ولا أدري ماذا أراد بالفقه والتشريع الفقهي عند السنة الذي يقوم على أسس غير الاسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي عند الشيعة ؟!

ونحن مع الكاتب اذا أراد من فقه السنة تلك المسائل التي يستحي الانسان من ذكرها ، وأعرضت عنها في كتاب الفقه على المذاهب الخمسة ، وأشرت اليها في المقدمة بقولي : « وكما أن في أقوال المذاهب ما يتفق مع الحياة ، ويحقق العدالة فان فيها ما يجب ستره والاعراض عنه ، لذا أعرضت ـ عن تلك المسائل ـ ضناً بكرامة الفقه والفقهاء » •

أما الآن ، وبعد أن فتح صاحب الخطوط العريضة ثغرة في جدار

هذه المسائل فقد اضطرها الى الظهور ، أو اضطرني مكرها على الأصح الى ذكر طرف منها :

اختلف الحنفية في رجل أدخل احليله في دبر نفسه : هل يجب عليه الغسل مطلقاً انزل أم لم ينزل أو لا يجب الا اذا أنزل (ابن عابدين ج١ ص١٤٤) ٠

ومنها : ان المرأة اذا خرج منها نجس تمسح باصبعين لأنها اذا مسحت باصبع واحدة كالرجل تقع اصبعها ـ في ذاك المكان ـ فتلتذ فيجب عليها الغسل ، وهي لا تشعر (الدرر شرح الغرر ج١ ص٤٣) ٠

ومنها : أن التوضؤ من الحوض أفضل من النهر ، لأن المعتزلة لا يجيزونه من الحياض (ابن عابدين ج١ ص١٣٠) ٠

ومنها : أن الغلام اذا بلغ الرجال ، ولم يكن صبيحاً فحكمه حكم الرجال ـ في الساتر بالصلاة ـ وان كان صبيحاً فحكمه حكم النساء من فرقه الى قدمه ٠ (ابن عابدين ج١ ص٢٨٥) ٠

ومنها : قول الحنابلة لا يحفظ المال للكلب الاسود ، ولو هلك عطشاً ويحفظ لغيره (الفقه على المذاهب الاربعة ٠ مبحث الاسباب المبيحة للتيمم)٠

ومنها : كراهية الصلاة خلف الأمرد (ابن عابدين ج١ ص٣٩٤)٠

ومنها : اذا أدخلت المرأة اصبعها في فرجها ، وكانت مبلولة بماء أو بدهن أو أدخلت خشبة في فرجها ، وغيبتها وجب عليها قضاء الصوم دون الكفارة (الفقه على المذاهب الاربعة ٠ مبحث المفطرات) ٠

ومنها : اذا كان للميت ابن أخ لأبويه ، وبنت أخ كذلك فالميراث كله للذكر دون الانثى ، كما كانت الحال في الجاهلية الجهلاء وكذلك اذا كان له عم من الابوين ، وعمة من الابوين فلا ترث العمة شيئاً لانها

انثى ، ومثله لو ترك جـداً لأب وجداً لأم ، فالميراث للاول ، لانـه يتقرب بالذكر ، ولا شيء للثاني ، لأنه يتقرب بالانثى (المغني ج٦ باب الميراث) وغيره من كتب الفقه للسنة ،حيث أجمعت المذاهب الاربعة عـلى ذلك ومن أراد التفصيل فليرجع الى كتابنا « الوصايا والمواريث عـلى المذاهب الخمسة » •

ومنها : قول أبي حنيفة : لو أن رجـلاً في مصر ، وكل آخر في الاندلس بأن يزوجه فلانة فيعقد له عليها ، ولا يلتقيان أصلاً فيما يرى الناس ، ثم تجيء المرأة بولد يكون نسبه ثابتاً للرجل الذي في مصـر (جميع كتب الحنفية في الفقه•ولكن اللفظ هنا لمحمد محي الدين عبدالحميد في كتاب الاحوال الشخصية • مبحث النسب) •

ومنها : اذا غسل الميت نفسه بعد موته فـلا يحتاج الى من يغسله ثانية ، كما حدث ذلك للسيد أحمد البدوي (حاشية الباجوري على الغزي على متن أبي شجاع • باب غسل الجنائز) •

ونكتفي بهذا المقدار ، ولو مضينا في ذكر ما نعرف من هـذا الباب لاحتجنا الى مجلد ضخم ، وكنا في غنى عن هـذه الاشارة لولا احراج الخطيب ومآزقه •

وبالاجمال ، فان أراد صاحب الخطوط العريضة من الفقه عند السنة ما كان من هذا النوع فالامر كما قال من أن أسس الفقه عندهم غير ما هي عند الشيعة بلا ريب « ومن يبتغي غير الاسلام دينا فلن يقبل منـه وهو في الآخرة من الخاسرين » وان أراد الفقه الذي يعتمد على كتـاب الله وسنةرسوله الثابتة فهو فقه الامامية بالذات كما تشهد بذلك جميع كتبهم وآثار علمائهم في الفقه والاصول والحديث والتفسير والاخلاق والعقائـد دون استثناء •

تأويل القرآن :

وقال في ص٨ : ان اصول الدين عند الشيعة ، قائمة من جذورها على تأويل آيات القرآن ، وصرف معانيها الى غير ما فهمه منه الاصحاب ... وان القرآن قد زيد فيه ، ونقص منه .

انت خريج الازهر الشريف ايها الخطيب ، وبقيت أمدا غير قصير تشرف وتدير مجلة الازهر الذي يخرج الاساتذة والعلماء الكبار ، ويعطي شهادة الاختصاص في الشريعة وأصول الدين ، ومع ذلك تقول هذا القول ! ومتى كان التأويل أصلا من اصول الدين ؟! وعلى اي شيء اعتمدت لهذا الحكم ؟! هل أخذته من اساتذة الازهر ، او رأيته في كتب الامامية ، او هو من نسج الخيال ؟! ولماذا لم تذكر لنا المصدر ؟!

اما كتب الامامية فتنص صراحة على اصول ان الدين هي الايمان بالله والرسول واليوم الآخر ، وان الفروع هي الصلاة والصيام والحج والزكاة والجهاد في سبيل الله . اذن ليس التأويل من الاصول ولا من الفروع عندهم، ولكن جناب الشيخ الخطيب احب ان يجتهد ، ويثبت ان باب الاجتهاد مفتوح عنده لا عند الامامية فقط ، فاجتهد وأصدر هذا الحكم .

وايضا الازهر يدرس التفسير بعناية يستحقها ، وليس من شك ان الخطيب اخذ هذا العلم عن شيوخ الازهر ، فهل قال له احد شيوخه ان الامامية لا يعتمدون على ظواهر القرآن ويصرفون آياته عن معانيها ، او وجد هذا في كتب الامامية ، كلا .. انه احب ان يجتهد فاجتهد ؟!

اما تفاسير الشيعة المنتشرة في كل مكان فانها تفسر القرآن بما دل عليه ظواهر الآيات ، ولا تحيد عنها الا بقرينة من القرآن نفسه أو من السنة

الثابتة ، وهذا تفسير البيان للطوسي ، ومجمع البيان للطبرسي ، وآلاء الرحمن للبلاغي ، والميزان للطباطبائي ، وغيرها مما يبلغ العشرات تشهد بذلك . وبالاضافة الى كتب التفسير فقد عقد الامامية فصلاً خاصا ومطولاً في كتب الاصول بعنوان حجية ظواهر القرآن ومما قالوه في هذا الفصل ان ظواهر القرآن حجة متبعة ، لانه نزل على الرسول الأعظم بلسان عربي مبين ، ليفهمه الناس كافة ، ويتدبروا آياته ، فيأتمروا بأوامره ، ويزدجروا بزواجره ، ويدل على ذلك قوله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها » وقوله : « هذا بيان للناس وموعظة وهدى للمتقين » وقوله : « انما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » ثم ان القرآن تحدى البشر في كل جيل ان يأتوا ولو بسورة من مثله ، والتحدي يستدعي الاخذ بالظاهر لا بالباطن ، هذا ، الى ان اخبار اهل البيت التي أمرت بالتمسك بالقرآن تجاوزت حد التواتر[1] . قال الامامية هذا وأكثر من هذا ، ولكن الشيخ الخطيب مجتهد حتى في تحليل الكذب !..

الشيعة والقرآن :

نسب صاحب الخطوط الى الشيعة القول بتحريف القرآن .

وقبل ان نجيب الشيخ المصري ، ونثبت عدم صحة قوله ، وبراءة الشيعة من قذفه وطعنه نوجه اليه هذا السؤال :

لماذا اثرت هذا الموضوع بالذات ؟! وما هي المصلحة من اثارته الآن ؟! ولحساب من ؟! اليس الحديث عن القرآن حديثا عن رسالة الرسول الاعظم ؟! اليس التشكيك بالقرآن تشكيكا في حلال محمد وحرامه، وأقواله وأحكامه ؟! وأين نجد الهدى والحق اذا اثرت ـ يا شيخ ـ

---

(١) أنظر كفاية الاصول للخراساني ، ورسائل الانصار . مبحث حجية الظواهر ، والبيان في تفسير القرآن للخوئي ص١٨٢ وغيرها من كتب الاصول .

الشبهات حول كتاب الله ؟! وهل يبقى للاسلام من شيء ؟!

فاتق الله يا شيخ الخطوط ، واعلم ان الذين يستفيدون من قولك هذا هم أعداء الاسلام والمسلمين وحدهم ، هؤلاء الاعداء الذين يتشبثون بالطحلب وخيط العنكبوت ، ويتذرعون بكل نقد واعتراض ، ولو كان من جاهل .

ثم ما هو موقف الشيعة من احراج هذا الشيخ الذي وضعهم امام هذه المعضلة وجها لوجه ؟! هل نسكت ونتغاضى ، حتى لا ندع منفذا لاعداء الاسلام والقرآن ، ولكن سكوتنا معناه عند الخطيب ومن اليه اعتراف بالجريمة ، او ندافع ، ونثبت بالارقام من صحيح البخاري ومسلم ، ومسند الامام احمد ، وكنز العمال ، والاتقان ، والموافقات ، والاحكام ، وروح المعاني . نثبت من هذه الكتب وغيرها من كتب السنة بالذات ان القول بالتحريف جاء من السنة لا من الشيعة ، وهذه هي الامنية الوحيدة لاعداء الاسلام والمسلمين ، والصهاينة والمستعمرين ، وماذا يصنع الشيعة ومن ورائهم الشيخ محب الدين الخطيب ؟! اجل ، ان هذا جهر بالسوء دون شك ، ولكن الشيخ الخطيب هو السبب والبادىء اسوأ وأظلم « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ـ١٤٧ النساء » .

لقد تبرأ علماء الامامية من القول بالتحريف زيادة ونقيصة منذ عهد الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ . الى يومنا هذا . وقالوا : ان القرآن هو هذا الذي بين الدفتين لا زيادة ولا نقصان صرح بذلك الصدوق في كتاب عقائد الشيعة ، والمرتضى في جواب المسائل الطرابلسيات ، والشيخ الطوسي في التبيان ، والطبرسي في مجمع البيان ، والشيخ جعفر النجفي في كشف الغطاء ، والمحقق الشيخ علي الكركي في رسالته ، والسيد

محسن الاعرجي في شرح الوافية ، والسيد محسن الامين في نقض الوشيعة ، والسيد الخوئي استاذ العلماء في هذا العصر بكتابه البيان ، وغيرهم وغيرهم •

ويستدل صاحب الخطوط على نسبة التحريف الى الشيعة بما جاء في الكافي للكليني من ان عند علي قرآنا فيه زيادات ، وان الكافي عند الشيعة بمنزله صحيح البخاري عند السنة ؟

الجـواب :

اذا كان عند السنة صحاح ستة : البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة فليس عند الامامية كتاب واحـد صحيح من اوله الى آخره سوى القرآن الكريم الذي منه يستقون ، وعليه يعتمدون ، وبـه يتمسكون ، وفي سبيله يضحون بالنفس والولـد والمـال ، امـا الكافي والاستبصار والتهذيب ومن يحضره الفقيه ، أما جميع الكتب « الارضية » ما كان منها وما يكون فهي عند الامامية لأعبـد مثلنا غـير معصومـين يصيبون ويخطئون ، فلا يلزم احد بما فيها من رأي او روايـة الا مـن ثبتت عنده •

ولا أدل على ذلك من ان فقهاء الامامية في كتبهم الفقهية وغيرها لا يتعبدون بأحاديث الكافي ولا التهذيب والاستبصار ولا من يحضره الفقيـه ولا غيرها ، بل لو أجمعت هذه الكتب الاربعـة على صحة الاحاديث فلا يلزم به احد الا من قال بصحته وهذه نتيجـة طبيعية لفتح باب الاجتهاد ، وقد فصلت ذلك في كتاب « مع الشيعة الامامية » فقـول الشيخ الخطيب ان كتاب الكافي عندهم بمنزلة البخاري ان دل على شيء فانما يدل عـلى رغبته في ان تؤمن الشـيعة بغير مـا انزل الله ، ويأبى الله لشيعـة اهل

البيت ان يؤمنوا بغير كتابه .

على أن حديث الزيادة في القرآن الذي عند الامـام ـ على افتراض صحته ـ محمول على الزيادة في التأويل لا التلاوة ، اي انها تفسير للقرآن لا جزء منه ، كما قال آية الله الخوئي في كتاب البيان ص ١٧٣ ، وكما في هامش صحيح البخاري ج ٩ ص ٢٢٧ طبعـة سنة ١٣٧٧ هـ من ان الحافظ ذكر الآية ٩٤ من سورة النساء هكـذا : « لا يستوي القاعدون من المؤمنين ـ ابي ذر من المؤمنين ـ والمجاهـدون في سبيل الله » قـال كاتب الهامش على البخاري : ان « زيادة ابي ذر من المؤمنين » على معنى التفسير لا التلاوة .

أهل السنة والقرآن :

وبناء على احراج صاحب الخطوط العريضة ، والدفاع عن النفس ، وان كتاب البخاري صحيح عند السنة ، كما قال الشيخ الخطيب ننقل من هذا الكتاب ما نصه بالحرف الواحد عـن المجـلد ٨ ص ٢٠٩ طبعـة سنة ١٣٧٧ هـ :

« جلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذن قام فأثنى على الله بمـا هو اهله ، ثم قال : اما بعد فاني قائل لكم مقـالة قد قدر لي ان اقولهـا لا ادري لعلها بين يدي اجلي ، فمن عقلها ووعـاها فليحدث بها ، حيث انتهت به راحلته ، ومن خشي ان لا يعقلها فلا احل لاحـد ان يكـذب علي ، ان الله بعث محمدا بالحق ، وانزل عليـه الكتاب ، فكان مما أنزل آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، ورجم رسول الله ، ورجمنا بعده فأخشى ان اطال بالناس زمان ان يقول قائل : والله ما نجد آية الرجم

في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة انزلها الله ، والرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا احصن من الرجال والنساء ، واذا قامت البينة ، او كان الحبل ، او الاعتراف ، ثم انا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : « ان لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم ان ترغبوا عن آبائكم » .

هذا ما جاء على لسان الخليفة الثاني في صحيح البخاري[1] ، مع العلم بأنه ليس في القرآن ما يشعر بوجوب الرجم والرغبة عن الآباء .

واكتفي بهذه الاشارة لانها كافية وافية للتدليل على انه ، ان كان ولا بد من تهمة القول بالتحريف فغير الشيعة احق بها واولى من الشيعة . ومن اراد التفصيل والاطلاع على ما جاء في كتب السنة من نقص الآيات المزعومة فليرجع الى كتاب نقض الوشيعة للسيد محسن الامين ، وآلاء الرحمن للشيخ جواد البلاغي والبيان لآية الله الخوئي ، وفي هذا الكتاب نقلا عن كتب السنة ان لعائشة قرآنا جاء فيه : « يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الاولى »

الحقيقة :

وكان ابو بكر يصلي الصفوف الاولى .

واذا نظرنا الى الواقع ، ووقفنا موقف المحايد ، وتجردنا من بواعث الهجوم الذي شنه على الشيعة صاحب الخطوط ، وبواعث الدفاع الذي اضطرنا اليه هذا الشيخ ، اذ تجردنا الى الحق وحده وجدنا كلا من ائمة

---

١ ـ ويذكر البخاري في امكنة اخرى من صحيحه انه نقص ايات اخرى غير آية الرجم ، ومثله في ذلك صحيح مسلم ، انظر ص ١٠٧ القسم الاول من الجزء الثاني طبعة سنة ١٣٤٨هـ وكذا في مسند احمد ، والاتقان للسيوطي ، والموافقات للشاطبي ؛ والاحكام للامدي ؛ وتاريخ دمشق للحافظ ، وتفسير الطبري ، وكان كنز العمال ، وروح المعاني ، كل هذه الكتب للسنة وفيها احاديث التحريف .

الشيعة والسنة ، ومن يعتمد عليهم من العلماء القدامى والمحدثين متفقون كلمة واحدة على ان يد التحريف لم ولن تنل القرآن بزيادة او نقصان ، لقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » • وقوله : « لا يأتيه بالباطل من بين يديه ولا من خلفه » •

اما القول بالتحريف فضعيف ومتروك ، ذهب اليه نفر أقل من القليل من السنة والشيعة ، ولا أدري لماذا مارس جناب الشيخ نشر الخلافات ، وبث النعرات بين المسلمين وأخلص لهذه المهنة منذ القديم ، ولعلها رابحة بالنسبة اليه ، والله العالم !••

وأغرب من الغريب ان يثير صاحب الخطوط خريج الازهر الشريف ومدير مجلته سابقا ، ان يثير مثل هذا النزاع ، مع ان بعض الطوائف لا تشير الى أي خلاف حول كتابها المقدس على ما بين فرقها من التباغض والتباعد !••

الرجعة :

قال في ص ١٧ : ان الرجعة من عقائد الشيعة الاساسية التي لا يرتاب فيها شيعي واحد •

وهذا تماما مثل قوله التأويل من اصول الدين عند الشيعة ـ ابدا ـ • كل شيء عند هذا الكاتب من اصول الدين عند الشيعة ، فالتأويل والرجعة ومفتاح الجنان ، والنيل من كرامة الصحابة ، والتقية والغلو ، كل هذه عقائد اساسية عند الامامية ، لا يرتاب فيها شيعي واحد ، بل حتى الشيوعية هي بنت التشيع ، والوليد الاصيل له •• بل حتى الطابور الخامس من العقائد والاصول عند الشيعة ، كما أعلن كاتب الخطوط في

صفحة ١٧ و ٢١ و ٣٤ .

وبعد ، فهل أجيب او أعرض ؟.. وما زلت أغلب نفسي تارة ، وتغلبني اخرى ، ثم قلت : انها محنة على كل حال ، سكت او أجبت ، والجواب أقل المحذورين ، والوزر على من كان السبب ، على كاتب الخطوط الذي أراد ان يسود صحيفة طائفة بريئة لمآرب في نفسه .

ان الرجعة عند الامامية يا جناب الشيخ ليست من الاصول ولا من الفروع ، وأحاديثها تماما كأحاديث الدجال عند السنة التي رواها مسلم في صحيحه ، من يشاء آمن بها ، ومن شاء جحد ، ولا بأس عليه في الحالين ، لأن مسألة الدجال ليست من الاصول العقائدية ولا الفروع الضرورية .

ان دعائم الاسلام عند الامامية يا كاتب الخطوط الخمسة ، كما رووها عن النبي وأهل بيته ، وهي : شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا ، وصوم شهر رمضان ، فأين الرجعة والتأويل ؟! اجل ورد عن اهل البيت في أكثر من حديث اضافة الولاية الى هذه الدعائم اشارة الى الآية ٥٨ من سورة المائدة : انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويأتون الزكاة وهم راكعون » .

الاصحاب :

قال في ص ١٥ : ان الشيعة ـ ينالون ـ من ابي بكر وعمر وعثمان .

روى الامامية عن الامام الرضا حفيد الامام الصادق حديثا يكشف النقاب عن سر هذه التهمة ، قال : ان مخالفينا وضعوا أخبارا في فضائلنا ، وجعلوها على أقسام ثلاثة : احدها الغلو ، وثانيها التقصير في أمرنا ،

وثالثها التصريح بمثالب غيرنا ، فاذا سمع الناس الغلو غالـوا فينا ، واذا سمعوا مثالب غيرنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا ، وقد قال الله تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله » .

وقال الامام زين العابدين في الصحيفة السجادية : اللهم صل على اتباع الرسل واصحاب محمد خاصة الذين احسنوا البلاء ، وصل على التابعين من يومنا هذا الى يوم الدين .

فأين السب واللعن يا كاتب الخطوط ؟! . قال الدكتور زكي مبارك في المجلد الثاني من كتاب التصوف الاسلامي : « كانت أدعية زين العابدين مما اهتم به الشيعة اهتماما شديدا ، نصححوا رواياتها ونقدوها ، وكتبوها بالذهب في كثير من البلدان » .

يكتب الامامية الصلاة على النبي واصحابه والتابعين له بماء الذهب ، بشهادة اديب مصري كبير ، يكتب للتاريخ مجردا عن كل غاية ، ويأتي كاتب الخطوط ، فيقلب الحقيقة ويحرّف الواقع ، لا لشيء الا لحاجة في نفسه ، ان الذي سب ولعن الصحابة يا حضرة الشيخ ، من نسب هـذا السب الى الابرياء الاصفياء . ما ذنب الامامية اذا تطرف مغال وتجاوز عن الحد ، فهذي كتب الامامية صريحة واضحة بالبراءة من الغلو والمغالين ، وبكفر من اعطى صفة الربوبية لمخلوق ، وصفة النبوة لغير محمد من بعده .

٥

الشيعة والشيوعية :

قال في ص ٣٤ : ان الشيوعية التي تفاقمت في العراق وايران هي وليدة التشيع ، فالشيوعيون في ذينك القطرين من صميم ابناء الشيعة ، وقد وجدوا المذهب الشيعي عريقا في الخرافات والاوهام والاكاذيب التي لا

تعقل فكفروا به . وقال في ص ٢١ : الشيعة طابور خامس .

ان هذا القول يذكرنا بنوري السعيد الذي كان يتهم بالشيوعية كل من يعارض سياسة انكلترا ، ومشاريعها الاستعمارية ، وايضا يذكرنا بمبدأ ايزنهاور ، الذي اعتبر القومية العربية حركة هدامة ومخربة ، ويعلم الجميع ، حتى الاطفال والجهال ان هذه التهمة من مخلفات الاستعمار ، والميراث الباقي من تركة باشا بغداد .

الشيعة طابور خامس يا حضرة الشيخ وانت والحفناوي والجبهان واضرابكم اداة صلاح واصلاح ، لأنكم تعملون على تنفيذ الخطوط المرسومة للقضاء على وحدة المسلمين وقوة الاسلام !..

ولماذا يا صاحب الخطوط تسابق انت والجبهان والحفناوي الى بث النعرات ونشر الخلافات ، وتتجاهلون الاستعمار في فلسطين ، وفي الجزائر وعمان وتونس وغيرها من البلاد العربية الاسلامية ؟! ثم هل الحزب الشيوعي في سوريا وأندونوسيا ، وأكراد العراق وليد التشيع ؟!. وهل كل شيوعي في العرب والمسلمين شيعي؟!. ومن ألحق الدعي فاروق بن نازلي برسول الله ، وأفتى بانه الشريف الحسيب النسيب علماء النجف او غيرهم ؟! ومن اغتال حسن البنا رئيس الاخوان المسلمين ؟! ومن نكل برجال هذه الجماعة وصلبهم على الاعواد ؟! ومن بارك هذه المجزرة علماء النجف أو غيرهم ؟! ومن كفر الامام المصلح محمد عبده ؟!

قال الشيخ محمد عبدالله السمان في كتاب «الاسلام المصفى» ص١٢٩ : « كانت أقل عبارات شيوخ الازهر تصف فاروقا العربيد بالملك الصالح وناصر الاسلام ورافع لوائه ومعلي كلمته » وكتب عنه هؤلاء الشيوخ يقولون : « أصبح الناس في الخافقين ولا حديث لهم الا أنعم الفاروق

وأياديه البيضاء على العلم والدين أما رعاية جلالته للدين وحرصه على نشره فانه شهد الله أحيا سنن السلف الصالح في الاقبال على العلم والدين ، ومصر كلها بل والعالم الاسلامي اجمع يشهد » •

فهل قال هذا او بعض هذا علماء النجف لفيصل الاول او لابنه غازي او لحفيده فيصل الثاني ؟!•• كلا ، ثم كلا ، بل قاطعوهم ، واستنكروا عليهم أعمالهم وسيرتهم مع انهم خير الف مرة من فاروق العربيد وابي فاروق !•• وما فعل علماء النجف ذلك الا عملاً بعقيدتهم التي تفرض عليهم محاربة الظلم والفساد •

وكيف نسبت يا شيخ الخطوط الشيوعية في العراق وايران الى مذهب التشيع ، وسكت عن جامعة النجف وقم والمعاهد الدينية في همدان وطهران وغيرها ؟!•• لماذا تجاهلت ما قدمته النجف من خدمات للاسلام طوال عشرة قرون كاملة ؟! انك لا تذكر الا ما يراد منك ان تذكره •

لقد كان الشيعة وما زالوا القوة والدعامة الاولى للاسلام في شتى الميادين ، حملوا السيف وجاهدوا لنصرة الدين والوطن ضد الانكليز في العراق وقتل منهم عشرات ، ويوم الاعتداء على بور سعيد تظاهر الشيعة العراقيون ضد الحكومة التي كانت معادية يومذاك للرئيس جمال ، سقطت القتلى ، ومنهم حفيد احد المراجع الكبار في النجف •

وأفتى الامامية في جميع كتبهم الفقهية بوجوب الجهاد والتضحية بالنفس والنفيس للدفاع عن المسلمين وكلمة لا اله الا الله ، فمنذ مئات السنين وطلاب الشيعة يدرسون ويحفظون هذه الجملة « يجب الجهاد اذا هجم عدو على المسلمين يخشى منه على بيضة الاسلام » ، كما ألفوا العديد من المجلدات في مختلف العلوم الاسلامية ، من التفسير والحديث ، الى العقائد والتشريع والفلسفة ، الى التراجم وعلم الرجال والادب والتاريخ الاسلامي ، ولولا

الشيعة لم يكن للازهر عين ولا أثر ، ولا كان للفقه هذه المكانة والعظمة قال الفيلسوف المصري عبدالرحمن بدوي في كتاب « دراسات اسلامية » :

« للشيعة أكبر فضل في اغناء المضمون الروحي للاسلام ، واشاعة الحياة الخصبة القوية العنيفة التي وهبت هذا الدين البقاء قوياً عنيداً » أما تآليفهم في الدفاع عن الاسلام ، واثبات فضله وتفضيله عقيدة وتشريعاً وأخلاقاً على جميع العقائد والشرائع الوضعية وغير الوضعية فهي فريدة في نوعها ، وقد سبقوا اليها الجميع ، حتى هذه الدراسات الاسلامية الحديثة التي نجدها في كتب العقاد والغزالي وسيد قطب وابن نبي وغيرهم ، فكتاب الهدى الى دين المصطفى للشيخ البلاغي ، والدين والاسلام لكاشف الغطاء هما حجر الاساس في هذا البناء .

أما كتاب الرحلة المدرسية في ثلاثة أجزاء لحبر الامة الشيخ جواد البلاغي فقد أسدى الى دين محمد خدمة لا يؤدي شكرها المسلمون مجتمعين ناقش المؤلف الاديان غير الاسلامية على الاسس العلمية ، والاصول المسلمة عند أربابها بحيث يشعر القارىء بعظمة الاسلام وتفوقه دون أن يجد في الكتاب ذكر الاسلام ، ولو أن أمثال الخطيب والحفناوي تركوا الشيعة وشأنهم ، ولم يشغلوهم بالدفاع عن النفس والردع عن الباطل لزادت المكتبة الاسلامية أضعافاً عما هي عليه الآن في شتى العلوم .

أما قول صاحب الخطوط بأن الشيوعية وليدة التشيع فهو تصديق وتطبيق لنظرية باشا بغداد ، كما قدمنا ، وأشبه بقول القائل بأن وجود الشيء تعبير عن عدمه ، وان الموت يرادف الحياة ، ان أصاغر الطلبة يا جناب الشيخ يعرفون أن الشيوعية التي عنيتها تنبت من بيئة الفقر والبؤس والاوضاع الفاسدة ، والظلم والكبت ، وفي البلاد التي فيها شيوخ منافقون ومأجورون ، أما مذهب التشيع فيقوم بعد الايمان بالله والرسول واليوم

الأخر على محاربة الفقر والطغيان ، وان التاريخ ليشهد على أن الشيعة كانوا وما زالوا الحزب المعارض لحكام الجور الذين يعملون على افقار الناس واستعبادهم ، ومن أجل هذا تألبت عليهم قوى الطغيان على مر الاجيال - اقرأ كتاب الشيعة والحاكمون - وقد أخذوا ذلك عن امامهم الاعظم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، حيث قال : لو كان الفقر رجلا لقتلته . وعن سيد الشهداء الذي أعلن شعاره يوم الطف بقوله : لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا ندما .

هذا الى أن الامامية انفردوا عن سائر المذاهب حيث أوجبوا على كل مكتسب وعامل أن يدفع ٢٠ بالمئة الى المحتاجين عما زاد عن مؤونة سنته ، كما حرموا على أي انسان أن يحتفظ بالفائض عن حاجته اذا وجد فرد أو نفس محترمة تتوقف حياتها على هذا الفائض .

الخرافات :

أما قوله مذهب التشيع عريق بالخرافات والأوهام والأكاذيب فانما يصح ويصدق على من قال بأن الله لا يقبح منه شيء ولا يجب عليه شيء ، فيجوز أن يدخل النمرود وفرعون وأبا جهل الجنة ، والانبياء الى النار ، وانه يكلف بما لا يطاق ويعذب العبد على ما يفعل ، وان الله يصدر عنه كفر الكافرين ، والحاد الملحدين ، والزنا والسرقة والمظالم والآثام ، وشرب الخمر ، وجميع أنواع الشرور والمعاصي ، وانه يأمر بما لا يريد ، وينهي عما لا يكره ، وأيضاً يصدق على من أجاز نسبه الحكم الى النبي اذا دل عليه القياس ، فيقال . قال رسول الله ، وان لم يكن قد قاله[1] ،

١ - ابو العباس القوطبي شرح مسلم ، والحافظ العراقي في ألفيته . نقلا عن كتاب اضواء على السنة المحمدية لابي رية ص ٨٣ طبعة اولى ١٩٥٨ .

وتصدق الخرافات والاكاذيب على مذهب الذين أجازوا الذنوب الصغائر على النبي عمداً وسهواً ، والكبائر سهواً لا عمداً[1] ونسبوا اليه ما لا يليق .

وأيضاً تصدق على من آمن بحديث الجساسة الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ، وفيه أن السيد المسيح يقيم في جزيرة بدير مكبلاً بالحديد من عنقه الى ركبتيه ، وانه سيخرج ويهبط كل قرية الا مكة والمدينة ، فكلما حاول دخولهما استقبله ملك بيده سيف .

وأيضاً تصدق الخرافات على من قال بأن لملك الموت سبعين ألف رجل ، وأربعة آلاف جناح ، وأنه لا شيء من الأحياء الا وله وجه وعين ويد في جسم عزرائيل (دقائق الأخبار للامام عبدالرحيم القاضي . الباب الخامس في أحوال الموت) الى غير ذلك من الاساطير الموجودة في الصحاح وغير الصحاح . وأقف عند هذا القليل من الأمثلة ، لأنه كاف واف في التعبير عن الكثير .

الحقيقة :

والحقيقة ان الخرافات والاوهام والاكاذيب توجد في عدد من كتب السنة والشيعة على السواء ، فما هي من خصائص فرقة دون أخرى . ومن هنا اتفقوا جميعاً على وجوب الوضع في الأحاديث النبوية ، والجهل والهوى في بعض المؤلفات السنية والشيعية . وقد تصدى الصفوة من الطرفين

١ ـ المواقف وشرحه ج٢ ص٢٦٣ وما بعدها ، وقد حرف شيخ الخطوط بعض اقوالي كما هي عادته حينما يتكلم عن الشيعة ، ومن اراد معرفة الاحاديث الموضوعة في توهين الانبياء عن طرق السنة فليرجع الى الجزء الثالث من كتاب دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر فانه سيجد ارقاما واضحة لا تقبل التأويل .

لمحاربة تلك الخرافات ، وبرأوا منها الاسلام ، ووضعوا في ذلك عشرات الكتب ، اذن فلا يحق لسني أن يعترض بشيء من تلك الخرافات على الشيعة ما داموا يعترفون بكذبها وبطلانها ، وكذلك لا يحق لشيعي مثل هذا الاعتراض الا دفاعاً عن النفس ورداً عن الباطل .

ومعلوم أن موقف الشيعة كان وما زال موقف المدافع لا المهاجم ، لأنهم يؤمنون بالجماعة الاسلامية ، ويتطوعون جنوداً في سبيل وحدة المسلمين وقوتهم .

التحريض على الشيعة :

قال في ص ١٤ : الحقيقة التي نلفت اليها أنظار حكوماتنا الاسلامية ان مذهب الشيعة قائم على اعتبار الحكومات الاسلامية حكومات غير شرعية . وان مفتاح الجنان سب الجبت والطاغوت .

هنا تظهر نوايا الشيخ جلية على حقيقتها ، ان هدفه الاول أن تقوم المعركة بين الحكومات الاسلامية والشيعة ، وعندها يتم تنفيذ الخطوط المرسومة للشيخ والجبهان الذين حرضا على افناء الشيعة .. ان الشيعة يا كاتب الخطوط أصلب وأقوى من أن تنالهم يد سوء ، فلقد تظاهر عليهم المستبدون من قبل ومن بعد ، وما استطاع مستبد ولا طاغية أن يحني لهم رأساً ، بل ما زادهم ذلك الا قوة ومنعة وانتشاراً .

أما الحكومات الاسلامية فهي في شغل شاغل عنك وعن أقوالك ، ثم كيف نوفق بين تحريضك على الشيعة الذي هو تحريض على الاسلام بالذات ، وبين ادعائك بأنك مسلم ؟! ..

أما قول صاحب الخطوط بأن الشيعة يعتبرون جميع الحكومات الاسلامية

غير شرعية فجوابه ان الامامية لا يحكمون على أية سلطة بأنها شرعية الا بعد أن ينظروا باسم من تحكم هذه السلطة ، وماذا تدعي لنفسها ، هل تدعي انها تحكم باسم الله ، أو باسمها هي أو باسم المحكومين ؟!

فان ادعت انها تحكم باسم الله ، وانه هو الذي اختارها وسلطها على دماء الناس وأموالهم وأعراضهم ، سواء أرضوا أم كرهوا كما فعل الامويون والعباسيون من قبل ، فان كانت هذه هي الحال فالامامية لا يعترفون بهذه الحكومة ولا بشرعيتها الا اذا ترأسها نبي يوحى اليه أو من اختاره النبي لذلك ، ونص عليه صراحة .

وان حكمت باسمها لا باسم الله ، ولا باسم المحكومين فذاك هو الاستبداد والظلم بعينه .

وان حكمت باسم المحكومين لا باسم الله ، ولا باسمها أقرها الامامية واعترفوا بها اذا اختارها لذلك المحكومون بملء ارادتهم واختيارهم ، وحققت أمانيهم ورغباتهم[1] .

أما مفتاح الجنان الذي نقل عنه هذا الشيخ ، فلا تعترف به علماء الامامية ، لأن جامعه غير معلوم ، وهو لذلك لا يحمل اسماً لأحد ، ثم لماذا تركت يا شيخ الخطوط المرسومة الصحيفة السجادية ، والاقبال لابن طاووس ، وغيرهما من كتب الأدعية والأوراد المعتبرة عند الامامية وتشبثت بهذا الكتاب المجهول ؟! . على أن في كتاب مفتاح الجنان أدعية تجسم

---

١ ـ فصلنا ذلك في كتاب « الشيعة والحاكمون » وأثبتنا بالارقام ان السنة لا يجيزون الخروج على الحاكم الجائر ، وان فعل ما فعل . اما الامامية فمن مبدئهم الثورة على الظلم والفساد بجميع مظاهرهما وصورهما ، ومن اجل هذا قال احمد امين واضرابه بأن التشيع كان ملجأ لمن أراد هدم الاسلام . لان الاسلام في منطق احمد امين وشيخ الخطوط يتمثل في الحاكم ، وان كان جائرا ، فمن خرج عليه فقد خرج على الاسلام بالذات .

فيها المثل العليا ومكارم الأخلاق ، لكن الشيخ الخطيب أعرض عنها ، واتبع الجبت والطاغوت ...

هل يرضى الله ؟!

وبالتالي ، هل يرضى الله والرسول أن يشتم بعضنا بعضاً ، وان نلهو بهذه السفاسف والسخافات ؟! أفي هذا الظرف الذي تحتل فيه اسرائيل أرضنا المقدسة ، ويقتل الفرنسيون والانكليز اخواننا في الجزائر وعمان ، ويرسل كنيدي مبعوثه الخاص جنسون الى البلا دالعربية ليساوم ويعمل على تثبيت اسرائيل ، ودفن قضية العرب اللاجئين نهائيا تكتب وتنشر وتنفذ الخطوط المرسومة يا شيخ ؟! .

كان البسطاء يتساءلون : لماذا تأخر المسلمون ، وذهبت هيبتهم وأصبحوا أكلة لكل طامع ؟! . وكيف انتصرت شرذمة من اليهود على العرب مجتمعين ؟! . ولماذا حقق الاستعمار أهدافه في البلاد العربية والاسلامية ، ولماذا أعرض النشء عن الدين ، حتى اعتنق بعضهم مبادىء لا تمت الى الاسلام بصلة ؟!

وبعد أن كتب الخطيب والحفناوي والجبهان اتضح كل شيء ، ولم يعد هناك من سر .

ان الناس اليوم يجرون في سباق مع الزمن ، ويهتمون بالعلم وأخباره ، بانتصار الشعوب المتقدمة على مستقبلها ومصيرها ، ويتسابق الحفناوي والخطيب والجبهان الى توزيع السباب واللعنات على الأحياء والأموات ، وبث الفتن ، واحداث الفجوات ، واثارة النعرات بين المؤمنين والآمنين . والله سبحانه المسؤول أن يعصمنا من الاتجار بالعواطف والدين .

من اقوال الامام

نقلنا فيما سبق من أقوال الامام وحكمه . ونذكر هنا جملة ثانية لمناسبة ما سنذكره من أقوال الائمة الاحد عشر من أولاده وأحفاده ، عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام . قال :

* اليأس احدى الراحتين ، وقلة العيال احدى اليسارين ، والعلم احدى الحياتين ، والمودة احدى القرابتين ، والذكر الجميل أحد العمرين ، والجهل احدى الميتتين ، والزوجة احدى الراحتين ، والهم أحد الهرمين ، والشهوة احدى الغوايتين .

الراحة الثانية التي تقابل اليأس تتحقق ببلوغ المطلوب ، واليسار الثاني يكون بوجود المال ، والحياة التي تقابل العلم هي الحياة الاخروية ، والقرابة الثانية قرابة النسب ، والعمر الثاني هو عمر الانسان الذي عاشه ، والراحة الثانية المقابلة لراحة الحياة الزوجية هي الراحة من تكاليف الزواج ومتاعبه. والغواية الثانية غواية الجهل ، لان الانسان يحيد عن طريق الحق أما

لجهله ، وعدم معرفته واما لشهوة في نفسه •

* الناس بامرائهم أشبه منهم بآبائهم •

لان الانسان بأخلاقه وعاداته يقلد أصحاب الثراء والجاه والسلطان •

* أسوأ الناس حالا من لم يثق بأحد لسوء ظنه ، ولم يثق بـه أحد لسوء فعله •

* الايمان أن تؤثر الصدق ، حيث يضرك على الكذب ، حيث ينفعك •

* لا تقولوا قوس قزح ، وقولوا قوس الله ، وأمان من الغرق •

وهذا من علومه التي سبق بها زمانه •

* ربما أخطأ البصير قصده ، وأبصر الاعمى رشده •

* نعم الناصر الجواب الحاضر •

اذا كان الجواب بعد النظر والتفكير لم يكن بشيء ، قال عمرو بن العاص : ما اتقيت جواب أحد من الناس غير جواب ابن عباس لبداهته •

* من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء لو غص بغيره لاساغ المـاء غصته •

* من طلب الدين بالجدل تزندق •

* المؤمن لا يصبح ولا يمسي الا خائفاً ، وان كان محسناً ، لانه بين أمرين : بين وقت قد مضى لا يدري ما الله به صانع ، وبين أجل قد اقترب لا يدري ما يصيبه من الهلكات .

* أدنى الانكار أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة .

* ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد ، نفس دائم ، وقلب هائم ، وحزن لازم ، مغتاظ على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه .

* يظهر في آخر الزمان ، وهو شر الازمنة نسوة كاشفات عاريات ، متبرجات من الدين ، داخلات في الفتن ، مائلات الى الشهوات ، مشرعات الى اللذات ، مستحلات للمحرمات في جهنم خالدات .

وهذا اخبار بالغيب ، لانه صورة طبق الأصل عن نساء هذا العصر .

* لا تزال هذه الامة بخير ما لم يلبسوا لباس العجم ، ويطعموا أطعمة العجم ، فاذا فعلوا ذلك ضربهم الله بالذل .

وصدقت نبوءة الامام علي (ع) فقد ضربت الذلة والمسكنة على أمة محمد (ص) منذ تخلقت بأخلاق الاجانب .

* مسكين ابن آدم ، مكتوم الاجل ، مكنون العلل ، محفوظ العمل ، تؤلمه البقة ، وتقتله الشرقة ، وتنتنه العرقة .

ان في الانسان قوة تجعله « يشارك السبع الشداد » يسخرها لحاجاته وأغراضه ، ويواجه بها أهم الأحداث بكل بساطة ، وان فيه

ضعفاً يعجز معه عن مقاومة الاشياء التافهة ، كالبقـة والشـرقة ، أمـا الحكمة من وجود هذا الضعف الى جنب تلك اقوة فهي أن لا يطمئن الانسان الى قوتـه فيطغى ، ولا يستسلم لضعفه فينصرف عن الجهـاد والعمل ، والعاقل من يناضل في هـذه الحيـاة ، وهو على حـذر من المخبآت والمفاجآت .

وهذه النظرة العميقة الصائبة الى الانسان لا تكون الا بتعلم من ذي علم ، أو بوحي من عقل معصوم عن الزلل والاخطاء[1] .

* قال الراغب الاصبهاني في الجزء الاول من « محاضرات الأدباء » ص٢١٦ طبعة ١٩٦١ : روي عن أمير المؤمنين علي انه قال : ما أحسنت لأحد قط ، ولا أسأت الى أحد . فرفع الناس رؤوسهم تعجباً ! .. فقرأ قوله تعالى : « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها » .

---

١ ـ انظر صفحة ٥١ من هذا الكتاب .

الامام الحسن

ولد بالمدينة ليلة النصف من رمضان المبارك سنة ثلاث من الهجرة ، وهو أول ولد علي وفاطمة (ع) •

كنيته أبو محمد ، ولقبه الزكي ، سماه وكناه جده رسول الله (ص)•

صفته :

كان ربعة ليس بالطويل ، ولا بالقصير ، أبيض اللون مشرباً بحمرة ، أدعج العينين[1] ، كث اللحية ، كأن عنقه ابريق فضة ، كعنق جده وأبيه بعيد ما بين المنكبين ، وكان جعد اشعر حسن البدن ، ويخضب بالسواد •

أولاده :

كان له خمسة عشر ولداً ما بين ذكر وانثى ، وهم زيد ، وأم الحسن، وأم الحسين ، وأمهم أم بشير بنت أبي مسعود الخزرجية ، والحسن ، وأمه خولة بنت منصور الفزارية ، وعمر ، والقاسم ، وعبدالله ، وأمهم أم ولد ، والحسين الملقب بالاثرم ، وطلحة ، وفاطمة ، وأمهم أم اسحق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي ، وأم عبدالله ، وأم سلمة ، ورقيـة ،

(١) الدعج شدة سواد العين مع سعتها •

لامهات شتى ، ولم يعقب منهم غير الحسن وزيد[1] .

وفاتـــه :

دس معاوية له السم على يد زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس[2] . فانتقل الى ربه مسموماً في السابع من صفر سنة خمسين من الهجرة .

من أقواله :

قال في وصف أخ له :

* كان لا يقول ما لا يفعل ، ويفعل ما يقول .

واذا عرض له أمران لا يدري أيهما أقرب الى ربه نظر أقربهما من هواه فخالفه .

ولا يلوم أحداً على ما قد يقع العذر فيه .

قال الله تعالى : « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ـ ٣ الصف» وقال بعضهم : ان الرجال كالاشجار ، منهم من يقول ولا يفعل ، وكذلك الصفصاف يحمل الزهر ولا يثمر . ومنهم من يقول ويفعل ، كالتفاح والرمان يحمل الزهر ويثمر ، ومنهم من يفعل ولا يتكلم ، كشجرة التين تثمر ، ولا تحمل الزهر .

ومن أبرز صفات المؤمن أن يؤثر مرضاة الله سبحانه على هواه ،

---

(١) أعيان الشيعة ص٩ ج٤ طبعة ١٩٤٨ .

(٢) قال الامام الصادق : اشترك الاشعث في دم أمير المؤمنين ، وجعدة ابنته سمت الحسن ، وابنه محمد اشترك في دم الحسين .

قال تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ـ ٤١ النازعات » . وقد رأيت من يتظاهر بالدين ويؤثر هواه في كل شيء ، ثم يكيف الدين حسب أغراضه ، ويقول : هذا تكليفي الشرعي بموجب ما أدى اليه نظري وكل ما أدى اليه نظري فهو حكم الله في حقي فهذا حكم الله في حقي .

ومن صفات المؤمن أن يعذر أخاه المؤمن ، ولا يسارع الى اتهامه واساءة الظن به . قال أمير المؤمنين : لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً ، وأنت تجد لها من الخير محملاً » .

* بالعقل تُدرك الداران جميعاً ، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً .

أراد بالعقل العلم والعمل ، فان أهل البيت كثيراً ما يطلقون لفظ العاقل على العالم العامل ، وقد جاء في الحديث : « قسم العقل ثلاثة أجزاء ، فمن كن فيه كمل عقله ، ومن لم يكن فيه فلا عقل له : حسن المعرفة لله ، وحسن الطاعة لله ، وحسن الصبر على أمر الله » .

* اذا أردت عزاً بلا عشيرة ، وهيبة بلا سلطان فأخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته جل وعلا ، واذا نازعتك الى صحبة الرجال حاجة ، فأصحب من اذا صحبته زانك ، واذا خدمته صانك ، واذا أردت معونة أعانك ، وان قلت صدق قولك ، وان صلت شد صولك ، وان مددت يدك بفضل مدها ، وان بدت منك ثلمة سدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان سألته أعطاك ، وان سكت عنه ابتداك ، وان نزلت بك احدى الملات واساك ، لا تأتيك منه البوائق ، ولا تختلف عليك منه الطرائق ، ولا يخذلك عند الحقائق ، وان تنازعتما منقسماً آثرك .

الامام الحسين

ولد في الخامس من شعبان سنة أربع من الهجرة ، وبين ميلاده وميلاد أخيه الحسن عشرة أشهر وعشرون يوماً .

صفتـــه :

جاء في الجزء الرابع من أعيان الشيعة أنه لم يرد في وصفـــه شيء مفصل ، وانما ورد كلام مجمل علمنا منه أنه كان ذا حسن باهر ، ونور زاهر ، وطلعة غراء ، لم يغير الموت والقتل شيئاً من جمال طلعته ، وكمال هيئته ، وزاهر وجهه ، وباهر نوره ، حتى أخذ ذلك بقلب عدوه ابـن مرجانة ، وحمله على أن يقول : ما رأيت مثله حسناً .

أولاده :

كان له من الاولاد ستة ذكور ، وثلاث بنات : علي الاكبر شـهيد

كربلاء ، وأمـه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي ، وعلي الاوسط ، وعلي الاصغر زين العابدين ، وأمـه شاهزنان بنت كسرى ، ومحمد ، وجعفر مات في حياة أبيه ، وأمه قضاعية ، وعبدالله الرضيـع ذبح في حجر أبيه ، وسكينة وأمها ، وأم عبدالله الرضيـع الرباب بنت امريء القيس ، وفاطمة ، وأمها أم اسحق التميمية ، وزينب ، ونسـل الحسين (ع) من الامام زين العابدين (ع) .

استشهاده :

قتل في عاشر المحرم سنة ٦١ من الهجرة ، وكان عمره الشريف ٥٦ سنة وأشهراً ، عاش منهـا مع جده رسول الله (ص) ست سـنين ، ومع أبيـه ٣٦ سنة ، ومع أخيه الحسن ٤٦ ، وبقي بعد أخيه نحـو عشر سنين .

من أقواله :

* من دلائل العالم انتقاده لحديثه ، وعلمه بحقائق فنون النظر .

الجاهل يستصوب رأيه ، ويخطيء سواه ، والعالم بالعكس يتهم نفسه ويحتمل الصواب في رأي غيره ، فيبحث ويدقق ، ويهتم بكل رأي مخالف له ، حتى يكون على بينة مما يقول ، قال الامام الصادق : المستبد برأيـه موقوف على مداحض الزلل . أما العلم بحقائق فنون النظر فهو التمييز بين أسباب المعرفة التي تثبت الحق وتكشف عن الواقع ، وبين الادلة الخطابية والجدلية التي لا تثبت حقاً ، ولا تزيل شكاً ، وهذا بالذات ما ذهب اليـه

بعض الفلاسفة الجدد ، من أن الفلسفة ليست بشيء سوى البحث عن أسباب المعرفة .

* المؤمن لا يسيء ولا يعتذر ، والمنافق كل يوم يسيء ، ويعتذر .

* رب ذنب أحسن من الاعتذار منه .

* من أحبك نهاك ، ومن أبغضك أغراك .

وقد اشتهر بين الشيعة أن سيد الشهداء (ع) كان يدعو يوم عرفة بدعاء طويل ، وهو واقف على قدميه في ميسرة الجبل تحت السماء ، وما زال شيعة أهل البيت يداومون على الدعاء به في نفس الموقف ، وما قرأه قارىء وتأمل معانيه ، وما يهدف اليها الا خشع قلبه ، واستيقظ عقله ، وشعر بالقرب من الله سبحانه ، والتعلق به ونقطف منه الجمل التالية :

لو حاولت واجتهدت مدى الاعصار والاحقاب - لو عمرتها - ان أؤدي شكر واحدة من نعمك ما استطعت ذلك الا بمنك الموجب علي شكراً جديداً[1] .

اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك[2] .

---

(١) في مقدور الانسان أن يؤدي شكر نعمة أنعمها عليه انسان مثله ، بل في مقدوره أن يرد الاحسان أضعافاً ، فيصبح هو المنعم المستوجب للشكر ، أما تأدية الشكر لله فمحال ، لان منحه القدرة على الشكر نعمة تستدعي الشكر أيضاً ، وهكذا الى ما لا نهاية .

(٢) هذا مبدأ أهل البيت الذي لا يحيدون عنه في قول أو فعل ، فهم أبدا ودائماً كأنهم ينظرون الى الله عز وجل وجهاً لوجه .

اللهم اجعل غناي في نفسي ، واليقين في قلبي ، والاخلاص في عملي ، والنور في بصري ، والبصيرة في ديني •

اللهم حاجتي التي ان أعطيتنيها لم يضرني ما منعتني ، وان منعتنيها لم ينفعني ما أعطيتني ، أسألك فكاك رقبتي من النار[1] •

الهي أنا الفقير في غناي ، فكيف لا أكون فقيرا في فقري ؟! •• وأنا الجاهل في علمي ، فكيف لا أكون جهولا في جهلي[2] ؟! •

الهي مني ما يليق بلؤمي ، ومنك ما يليق بكرمك •• الهي كلما أخرسني لؤمي ، انطقني كرمك ، وكلما آيستني أوصافي أصمني مَنّك •

كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ؟! •• أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك ، حتى يكون هو المظهر لك ؟! •• متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ؟! • ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك ؟! •• عميت عين لا تراك عليها رقيباً ، وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيباً ••

ماذا وجدك من فقدك ؟! • وما الذي فقد من وجدك ؟! •

يقول الامام سيد الشهداء : ان معرفة الله تحصل بالضرورة والبديهة ، لا بالاستدلال والنظر ، لان الاستدلال انما يكون بالمعلوم على المجهول ، ولا

---

(١) وهذا مبدأ آخر من مبادىء آل الرسول ، فمثلهم الاعلى مرضاة الله ، والنجاة في دار البقاء ، اما هذه الحياة فليست عندهم بشيء ما لم تكن وسيلة لهذه الغاية •

(٢) ليس في وسع الانسان أن يعرف كل شيء ، ومهما بلغت درجته من العلم لا بد أن تخفى عليه أشياء وأشياء لا يبلغها الاحصاء ، بل أن كثيراً من معارفه تكون مجرد أوهام ، فهو اذن جاهل في علمه ، ولكنه جاهل معذور •

شيء أوضح وأظهر من وجود الله ، حتى يستدل به عليه عز وعلا .

وقد أخذ الصوفية هـذا المعنى من الحسين ، وأطالوا فيـه الشرح والتفصيل ، وتفننوا في عرضه ، وعبروا عنه باساليب شتى ، وقال قائل منهم : ما رأيت شيئاً الا رأيت الله معـه ، وقال آخر : ما رأيت شيئاً غير الله .

وهنا سؤال يفرض نفسه ، وهو ان الضرورة يشترك في معرفتها العالم والجاهل ، ولا يمكن أن ينكرها منكر ، لانها تماماً كالقول ان الاثنـين أكثر من الواحد ، مع أن الايمـان بوجود الله قـد تعرض لـكثير من الهجمات ، لا من الجهال فحسب ، بل ومن بعض العلماء والفلاسفة .

ونجد الجواب عن ذلك في قول الحسين (ع) « الهي ماذا وجد من فقدك ؟! وماذا فقـد من وجـدك ؟! » أي ان من لا يرى الله لا يمكن أن يرى شيئاً على حقيقته ، ما دام جاهلا بسببه وعلة ايجاده ، فان كل ما لديه من « المعارف » ليست في الواقـع الا جهلا ووهمـاً ، حتـى الضرورات والبديهيات ، واني على علم اليقين انه ما أنكر من أنكر وجود الله الا لأنه معرض عن الله . أما من يتجه اليه فانه واجده لا محالة .

وقرأت في بعض الكتب موعظة بالغة نسبها صـاحب الـكتاب الـى ابراهيم بن أدهم ، ولأهمية تلك الموعظة وتأثيرهـا في نفوس الغافلـين وقساة القلوب نقلتها في كتاب « الاخرة والعقل » وحين باشرت بكتابـة هذا الموضوع بحثت ونقبت عن كلمات الحسين (ع) فوجدتها بين حكمه ومواعظه في المجلد السابع عشر من كتاب بحار الانوار للعلامة المجلسي صفحة ٢١١ طبعة ١٢٩٧ ، فأيقنت ان ابن أدهم أخذهـا من الامـام الحسين (ع) وحمدت الله سبحانه على الهداية والتوفيق الى تصحيح هذا الخطـأ :

جاء رجل الى الحسين ، وقال له :

أنا رجل عاص ، ولا أصبر عن المعصيـــة ، فعظني بموعظة يا ابن رسول الله •

قال الامام : افعل خمسة أشياء ، وأذنب ما شئت •

« قال الرجل : هات يا ابن رسول الله »

قال الامام : لا تأكل رزق الله ، وأذنب ما شئت •

« قال الرجل : كيف ؟! ومن أين آكل ، وكل ما في الـكون من رزقه • هات الثانية »

قال الامام : الثانية اخرج من أرض الله ، واذنب ما شئت •

« قال الرجل : هذه أعظم من تلك • فأين أسكن ؟! هات الثالثة » •

قال الامام : الثالثة أطلب موضعاً لايراك الله فيه ، واذنب ما شئت •

« قال الرجل : كيف ؟! ولا تخفى على الله خافية »

قال الامام : الرابعة اذا جاء ملك الموت • ليقبض روحك • فادفعه عن نفسك ، واذنب ما شئت •

« فاضطرب الرجل ، وقال : بقيت الخامسة ، عساها أهون الجميع »•

قال الامام : الخامسة اذا أدخلك مالك في النار فلا تدخل فيهـــا ، واذنب ما شئت •

«قال الرجل : حسبي حسبي !•• لن يراني الله بعد اليوم فيما يكره»•

الامام زين العابدين

ولد بالمدينة في شهر شعبان سنة ٣٨ هـ وتوفي سنة ٩٥ • ودفن بالبقيع عند عمه الحسن (ع) •

كنيته أبو محمد ، وأشهر ألقابه زين العابدين ، والسجاد ، وأمه شاهزنان بنت كسرى[١] ولم أجد فيما لدي من المصادر شيئاً في وصفه وملامحه سوى أنه كان له في موضع سجوده آثار ثابتة كثفنات البعير ، وانه لذلك سمي ذا الثفنات •

أولاده :

كان له خمسة عشر ولداً ، أحد عشر ذكراً ، وأربع بنات ، وهم : محمد الباقر ، وأمه فاطمة بنت الحسن السبط (ع) ، والحسن ، والحسين

(١) قال الراغب الاصفهاني في « محاضرات الادباء » ج١ ص٣٤٧ : أن أمير المؤمنين قال لولده الحسين : خذها فستلد لك سيداً في العرب ، سيداً في العجم ، سيداً في الدنيا والآخرة •

الاكبر ، والحسين الاصغر ، وزيد ، وعمر ، وعبدالله ، وسليمان ، وعلي ، ومحمد الاصغر ، وخديجة ، وفاطمة ، وعلية ، وأم كلثوم من أمهات شتى .

من أقواله :

* قيل له : من أعظم الناس خطرا ؟

قال : من لم يكن للدنيا خطر في نفسه .

فمقياس العظمة عند الله تحقير الدنيا وحطامها ، وتعظيم الآخرة ونعيمها ، أما منطق الناس ، أي شرار الناس فبالعكس تحقير هذه ، وتحطيم تلك .

* لا يقل عمل مع تقوى ، وكيف يقل ما يقبل ؟! .

* كفى بنصرك أن ترى عدوك يعمل بمعاصي الله فيك .

* أبغض الناس الى الله من يقتدي بسنة امام ، ولا يقتدي بأعماله .

* كم من مفتون بحسن القول فيه ؟! . وكم من مغرور بحسن الستر عليه ؟! وكم من مستدرج بالاحسان اليه ؟! .

* خف الله لقدرته عليك ، واستحي منه لقربه منك ، ولا تعادين أحدا ، وان ظننت أنه لا يضرك ، ولا تزهدن بصداقة أحد ، وان ظننت أنه لا ينفعك ... ولا يعتذر اليك أحد الا قبلت عذره ، وان علمت أنه كاذب .

* الكريم يبتهج بفضله ، واللئيم يفتخر بملكه .

*هلك من ليس له حكيم يرشده ، ولا سيفه يعضده .

* أكبر ما يكون ابن آدم في اليوم الذي يلد من أمه .

لان حياته تبتدىء من هذا اليوم ، فكلما تقدمت به السن كلما قلت ونقصت ، تماماً كقاطع المسافة كلما تقدم خطوات كلما قصرت .

قال الحكماء : ما سبقه الى هذا المعنى أحد .

ثلاث ساعات :

قال : أشد ساعات ابن آدم ثلاث :

الساعة التي يعاين فيها ملك الموت .

والساعة التي يقوم فيها من قبره .

والساعة التي يقف فيها بين يدي ربه ، اما الى جنة ، اما الى نار .

هذه الساعات الثلاث آتية لا ريب فيها ، ولا شيء أشد منها ، قال الغزالي في الجزء الرابع من « احياء العلوم » : لما جاء النزع الى رسول الله (ص) اشتد كربه ، وظهر أنينه ، وترادف قلقه ، وارتفع حنينه ، وتغير لونه وعرق جبينه ، واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه ، حتى بكى لمصرعه من حضره ، وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره .

وقال بعض العارفين : من أظرف الأشياء افاقة المحتضر عند موته ، فانه ينتبه انتباهاً لا يوصف ، ويقلق قلقا لا يحد ، ويتلهف على زمانه الماضي ، ويود لو ترك ، كي يتدارك ما فاته ، ويصدق في توبته على

مقدار يقينه بالموت ، ويكاد يقتل نفسه قبل موتها بالأسف ، ولو وجدت ذرة من تلك الاحوال في أوان العافية حصل كل مقصود من العمل بالتقوى •

وأما الساعة الثانية فقد جاء الحديث في وصفها « يبعث الناس حفاة عراة قد ألجمهم العرق ، وبلغ شحمة الآذان » •

وقال الامام زين العابدين : يا ابن آدم انك ميت ، ومبعوث ، وموقوف ، ومسئول ، فاعد جوابا • **ومن دعائه :**

أبكي لخروجي من قبري عريانا ذليلا حاملا ثقلي على ظهري •

وجاء في وصف الساعة الثالثة قوله تعالى : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ـ ٢٤ النور » وقوله : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا ـ ٣٠ آل عمران » •

وقال الامام زين العابدين : ان الله عند الحساب لا يصدق كاذباً ، ولا يكذب صادقاً ، ولا يرد عذر مستحق ، ولا يعذر غير معذور •

خطوتان وجرعتان ودمعتان :

وقال رواية عن جده رسول الله (ص) :

ما خطوة أحب الى الله من خطوتين : خطوة يسدي بها صنعاً في سبيل الله ، وخطوة الى ذي رحم قاطع يصلها •

وما جرعة أحب الى الله من جرعتين : جرعة غيظ يردها مؤمن بحلم وجرعة جزع يردها مؤمن بصبر •

وما من قطرة أحب الى الله من قطرتين : قطرة دم في سبيل الله ،

وقطرة دمع في سواد الليل من خشية الله .

المناجاة :

أما مناجاة الامام زين العابدين ، وأدعيته ، وتضرعه لله سبحانه فهي نوع خاص مستقل في ذاته لا يشبه في عظمته شيئاً ، ولا يشبهه شيء من كلام الناس ، ويحتاج الحديث عنه الى كتاب ضخم ، وقد تكلمت عن تلك المناجاة بشيء من التفصيل في كتاب « مع الشيعة الامامية » وكتاب « أهل البيت » وكتاب « الاسلام مع الحياة » وكتاب « الآخرة والعقل » وكتاب « المجالس الحسينية » ولا جديد لدي الآن ، لذا أكتفي بنقل الفقرة التالية من بعض أدعيته :

« سيدي ارحمني مصروعاً على الفراش تقلبني ايدي احبتي ، وارحمني مطروحاً على المغتسل يغسلني صالح جيرتي ، وارحمني محمولا قد تناول الاقرباء أطراف جنازتي ، وارحم في ذلك البيت المظلم وحشتي وغربتي ووحدتي » .

ما هذه الزفرات المضطربة ، وهذا الاحتراق العميق الذي يلهب القلوب والافئدة ؟! هل هذا تأمل وتفكير ، وخوف من العذاب والعقاب أو أن الامام شاهد ورأى ما لم نر ونشاهد ، أو هذا ضرب من عبادة الصفوة الاخيار ، أو درس وموعظة ؟!

أجل ، انه عبادة العارفين بالله حقاً ، والعاملين لله وحده ، والراغبين اليه دون سواه ، وهو في الوقت نفسه درس ، ولكنه ليس من نوع الدراسات اللفظية ، والشطحات الخيالية التي لا تمت الى الحياة بصلة ، وهو عظة ، ولكن ليس من نوع العظات التي يلقيها الشيوخ من على

منابر المساجد ، وفي محطة الاذاعة والتي لا تتجاوز الحناجر والالسن ، انه درس عملي يحول هذا المخلوق من شيطان الى ملاك طاهر ، وهل في الدنيا نفع وخير لولا هذا الاحساس ؟! وهل هذه المعامل والمصانع ، تساوي شيئاً لولا هذا الشعور الطاهر ؟!

وبالتالي ، فقد رأينا وشاهدنا ، تماماً كما رأى الامام وشاهد ان الانسان اذا بلغ هذه الحال انقطعت صلته من كل شيء الا من رحمة الله وحدها ، أما السبيل الى هذه الرحمة فقد بينها الامام بقوله ثلاث من كن فيه كان في كنف الله ، وأظله في ظل عرشه يوم القيامة ، وأمنه من الفزع الأكبر ، وهي :

من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه .

ولا يقدم يداً ولا رجلاً ، حتى يعلم انه في طاعة الله قدمها ، وعن معصية الله أخرها .

ولم يعب أخاه بعيب ، حتى يترك ذلك العيب من نفسه ، وكفى بالمرء شغلاً بعيبه لنفسه عن عيوب الناس .

الامام محمد الباقر

ولد بالمدينة في رجب سنة ٥٧ من الهجرة ، وتوفي بالمدينة أيضاً سنة ١١٤ ، عاش منها مع جده الحسين أربع سنين ، ومع أبيه ٣٩ ، وبعده ١٨ سنة ، ودفن بالبقيع مع أبيه علي بن الحسين ، وعمه الحسن (ع) .

وكنيته أبو جعفر ، ولقبه الباقر ، وأمه فاطمة بنت الحسن بن علي .

صفتـــه :

كان ربع القامة ، رقيق البشرة ، جعد الشعر ، أسمر ، له خال على خده ، ضامر ، حسن الصوت ، مطرق الرأس .

أولاده :

كان له سبعة أولاد : الامام جعفر الصادق ، وعبدالله ، وأمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وابراهيم وعبيد الله ، وأمهما أم

حكيم بنت اسد بن المغيرة الثقفية ، وعلي وزينب ، وامهما ام ولد ، وام سلمة ، وامها ام ولد .

من أقواله :

❊ كم من رجل لقي رجلاً ، فقال له : كبت الله عدوك ، وما له من عدو الا الله .

❊ عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد .

❊ لا يكون العبد عالماً ، حتى لا يكون حاسدا لمن فوقه ، ولا محتقراً لمن دونه .

يريد الامام انه لا يكون عالماً من علماء اهل البيت (ع) بدليل ما ذكره في وصف الشيعة بالفقرة التالية :

❊ والله ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه ، وما كانوا يعرفون الا بالتواضع ، والتخشع ، واداء الامانة ، وذكر الله ، والصوم والصلاة ، والبر بالوالدين ، وتعهد الجيران من الفقراء ، وذوي المسكنة ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكف الالسن عن الناس .

❊ لا يقبل عمل الا بمعرفة ، ولا معرفة الا بعمل ، ومن عرف دلته معرفته على العمل ، ومن لم يعرف فلا عمل له .

* اعرف المودة في قلب اخيك بما له في قلبك .

* اياك والكسل والضجر ، فانهما مفتاح كل شر ، من كسل لم يؤد حقاً ، ومن ضجر لم يصبر على حق .

* والايمان ما كان في القلب ، والاسلام ما عليه التناكح والتوارث وحقنت به الدماء .

وقد أفتى المحققون من علمائنا بان من قال : « لا اله الا الله محمد رسول الله » حقن دمه ، وجاز عليه التناكح والتوارث ، حتى ولو علمنا بكذبه وعدم اعتقاده .

* ان لله عباداً ميامين ، مياسير يعيشون ، ويعيش الناس في أكنافهم وهم في عباده مثل القطر ، ولله عباد ملاعين مناكيد ، لا يعيشون ولا يعيش الناس في أكنافهم ، وهم في عباده بمنزلة الجراد لا يقعون على شيء الا اتوا عليه .

* قال لشيعته : انا لا نغني عنكم من الله شيئاً الا بالورع ، وان ولايتنا لا تدرك الا بالعمل ، وان أشد الناس يوم القيامة حسرة من وصف عدلاً ، وأتى جوراً .

اي ان من يدعي التشيع لآل الرسول ، ثم يعصي الله فهو كمن يقول ولا يفعل ، ويأمر ولا يأتمر .

* لا تذوقن بقلة ـ اي نبتة ـ ولا تشمها ، حتى تعلم ما هي ؟ ولا

تشرب من سقاء حتى تعلم ما فيه ؟ ولا تسير الا مع من تعرف •

العلم :

قال : تعلموا العلم ، فان تعلمه حسنة ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وبذله لاهله قربة •

وهو ثمار الجنة ، وانس الوحشة ، وصاحب في الغربة ، ورفيق في الخلوة ، ودليل على السراء ، وعون على الضراء •

ودين عند الاخلاء ، وسلاح على الاعداء ، يرفع الله به قوما ، فيجعلهم في الخير سادة ، وللناس ائمة ، يقتدى بافعالهم ، ويقتص آثارهم ويصلي عليهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وانعامه •

فالعالم عند اهل البيت كالانبياء اذا نفع الناس بعلمه ، تصلي عليه سكان الارض والسماء ، حتى حيتان البحر ، وسباع البر ، اما العالم في هذا العصر فلا قيمة له الا اذا صنع القنابل الذرية والهيدروجينية ، والمدمرات والمهلكات للدول الاستعمارية ، يخوفون بها الشعوب الآمنة ، ويستعبدون المستضعفين ، والا اذا استغله واستعبده ارباب الثراء والمصانع ، مثل فورد وروكفلر •

وقد اشار اهل البيت الى علماء هذا العصر بقولهم : « من العلماء من يضع علمه عند ذوي الثروة والشرف ، اولئك في دركات الجحيم » وفي حديث آخر هم أضر على الاسلام من جيش يزيد على الحسين بن علي •

الامام جعفر الصادق

ولد بالمدينة في رجب سنة ٨٠ من الهجرة ، وتوفي سنة ١٤٨ ، ودفن في البقيع مع ابيه وجده زين العابدين ، وعمه الحسن (ع) •

وامه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر ، وامها اسماء بنت عبدالرحمن بن ابي بكر ، وهذا معنى قول الصادق ولدني ابو بكر مرتين ، وفي ذلك يقول الشريف الرضي •

وحزنا عتيقاً وهو غاية فخركم　　بمولد بنت القاسم بن محمد

وكنيته ابو عبدالله ، ولقبه الصادق •

صفتــه :

كان ربع القامة ، ازهر الوجه ، جعد الشعر ، اشم الانف ، رقيق البشرة ، على خده خال اسود •

صفتــه :

كان له عشرة اولاد ، سبعة ذكور ، ثلاث اناث ، وهم : اسماعيل ، وعبدالله ، واسماء ، وتكنى بام فروة • وامهم فاطمة بنت الحسين بن

علي بن الحسين ، والامام موسى الكاظم ، ومحمد المعروف بالديباج ، واسحق وفاطمة الكبرى ، وامهم حميدة البربرية ، والعباس ، وعلي ، وفاطمة الصغرى لامهات شتى .

من اقواله :

* المؤمن اشد في دينه من الجبال الراسية ، لان الجبل قد ينحت منه ، والمؤمن لا يقدر احد ان ينحت من دينه شيئاً ، لضنه بدينه وشحه عليه .

وفي حديث آخر : المؤمن اشد من زبر الحديد ، ان الحديد اذا دخل النار تغير ، وان المؤمن لو قتل ، ثم نشر ، ثم قتل لم يتغير قلبه .

* يُغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل ان يُغفر للعالم ذنب واحد .

* من استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن كشف حجاب غيره انكشفت عورات نفسه ، ومن سل سيف البغي قتل به ، ومن حفر لأخيه بئراً سقط فيها .

* اذا بلغك عن اخيك ما يسوؤك فلا تغتم ، فان كان كما يقول ، كانت عقوبة عجلت ، وان كانت على غير ما يقول كانت حسنة لم تعملها .

من اعقد المشاكل الاجتماعية التي لم يجد المشترعون ، وواضعو القوانين لها حلا ، الخصومة التي تقع بين الناس بسبب الغيبة ، وانتقاص بعضهم بعضاً ، فلقد وضع القانون حداً للاتجار بالخمر والبغاء ، وما اليهما ، وعجز ان يضع حداً للغيبة ، حيث لا سبيل الى منعها الا بوازع من النفس ورادع من الداخل ، وكلنا يعلم ما للغيبة من اسواء اجتماعية .

لذلك اهتم اهل البيت ان يثيروا آثامها في ضمير الانسان ، كما أغروا في الوقت نفسه الذي تبلغه الغيبة في ان يتجاهل ويصفح ويقبل المعذرة ، سداً لباب النزاع والخصومة بين الناس ، وبثاً للالفة والوئام •

ولا شي أروع وانجع من هذا الاسلوب الذي استعمله الامام الصادق مع الذي تبلغه الغيبة ، حيث جعلها خيراً بالنسبة اليه في سائر الاحوال ، فان كانت حقاً اذهبت السيئات ، وان كانت باطلا زادت في الحسنات •

* لا يتم المعروف الا بثلاث خلال : تعجيله ، وتقليل كثيره ، وترك الامتنان به •

* من أوثق عرى الايمان ان تحب في الله ، وتبغض في الله ، وتعطي في الله ، وتمنع في الله •

* الرجل يجزع من الذل الصغير ، فيدخله ذلك في الذل الكبير • وقد رأيت الف شاهد وشاهد على هذه الحقيقة ، يبتلى الانسان بمصيبة فلا يصبر عليها ، فيقع بما هو أشد واعظم •

* لا تنسب احدا الى الصداقة الا اذا جمع خمس خصال :

(١) ان تكون سريرته وعلانيته واحدة (٢) ان يرى زينك زينه ، وشينك شينه • (٣) ان لا تغيره عليك ولاية ولا مال • (٤) ان لا يمنعك شيئاً يقدر عليه • (٥) ان لا يسلمك عند النكبات •

* ثلاثة اشياء يحتاج اليها جميع الناس : الأمن ، والعدل ، والخصب •

وقد ذكرت هذه الكلمة وشرحتها في كتاب « مفاهيم انسانية في كلمات الامام جعفر الصادق » وأعدتها هنا ، لأنها تعبر عن أمنية الناس في كل زمان ومكان • وعما فيه قوام الحياة •

الامام موسى الكاظم

ولد بالابواء ، وهو مكان بين مكة والمدينة في شهر صفر سنة ١٢٨ من الهجرة ، واستشهد في بغداد بالسم في سجن هارون الرشيد سنة ١٨٢ من الهجرة ، ودفن في الجانب الغربي من بغداد ، وتعرف المدينة التي فيها قبره الشريف بالكاظمية ، نسبة اليه ، وهي متصلة ببغداد ، وامه حميدة البربرية وكنيته ابو ابراهيم ، ولقبه الكاظم ، والعبد الصالح •

صفته :

كان ربعة ، اسمر شديد السمرة ، كث اللحية •

اولاده :

كان له سبعة وثلاثون ولداً ، ١٨ ذكرا ، و١٩ أنثى ، وهم : الامام علي الرضا ، وابراهيم ، والعباس ، والقاسم ، واسماعيل ، وجعفر ، وهارون ، والحسن ، واحمد ، ومحمد ، وحمزة ، وعبدالله ، واسحق ، وعبيدالله ، وزيد ، والحسن ، وسليمان ، وفاطمة الكبرى ، وفاطمةالصغرى

ورقية ، وحكيمة ، وام ابيها ، ورقية الصغرى ، وكلثم ، وام جعفر ، ولبابة ، وزينب ، وخديجة ، وعلية ، وآمنة ، وحسنة ، وبريهة ، وعائشة ، وام سلمة ، وميمونة ، وام كلثوم ، من امهات شتى .

من اقواله :

* رأى قبراً يحفر ، فقال : ان شيئاً هذا آخره لحقيق ان يزهد في اوله ، وان شيئاً هذا اوله لحقيق ان يخاف من آخره .

للانسان حياتان ، بينهما من البعد والتباين ما بين الوجود والعدم ، فهو حين يخرج الى حياته الاولى يجد فضاء شاسعاً واسعاً ، وشمساً وقمراً وطعاماً وشراباً ، واما وابا واهلا يهتمون بشأنه ، ويكونون له عونا في اموره ، كما انه يستطيع ان يختار لنفسه ، فيفعل ويترك ويحترس ، اما في حياته الثانية فاول ما يستقبله القبر وظلمته ووحشته ، وربما كان خيراً من سائر مواقفه الاخرى في المحشر وبين يدي الله سبحانه حيث لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً .

* قال : ليس حسن الجوار كف الاذى ، ولكن حسن الجوار الصبر على الاذى .

* اذا كان يوم القيامة ينادي المنادي : الا من كان له على الله اجر فليقم ، فلا يقوم الا من عفا ، واصلح ، فاجره على الله .

* لا تكن امعه ، فتقول : انا مع الناس ، ان رسول الله قال : انما هما نجدان : نجد خير ، ونجد شر ، فلا يكن نجد الشر أحب اليك من نجد الخير .

يقول الامام : ان الله سبحانه بين لك طريق الخير ، وطريق الشر ، وامرك بفعل الخير ، وان تركه الناس ، وبترك الشر ، وان فعله الناس ، ونهاك عن التقليد ، ولا يقبل منك الاعتذار بان الناس قد فعلوا او تركوا ما دام الحق واضحاً بيناً •

❊ رأى الامام رجلاً فقيراً ذميم المنظر ، فسلم عليه ، وطايبه ، وحادثه طويلا ، ثم قال له : ان كانت لك حاجة فأنا اقوم بها •

فقال له قائل : يا ابن رسول الله انت تتواضع لهذا ، وتسأله عن حاجته ؟!

فقال : هذا عبد من عبيد الله ، واخ في كتاب الله ، وجار في بلاد الله ، يجمعنا واياه خير الآباء آدم ، وأفضل الاديان الاسلام ، ولعل الدهر يرد حاجتنا اليه ، فيرانا بعد الزهو عليه متواضعين بين يديه •

❊ المصيبة للصابر واحدة ، وللجازع اثنتان •

لقد تكرر هذا المعنى في كلمات اهل البيت (ع) ، واهتموا به اهتماماً كبيراً ، والهدف من وراء هذا الاهتمام ان يخففوا عن الناس آلامهم ويبعثوا القوة والامل في النفوس ، فيجابهوا الاحداث بصبر وجلد ، ويحلوا المشكلات بروية وتعقل •

❊ اولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل الا به ، واوجب العمل عليك ما انت مسؤول عنه •

❊ ان لله عرشاً لا يسكن تحت ظله الا من اسدى لاخيه معروفاً ، او نفس عنه كربة ، او قضى له حاجة •

الامام علي الرضا

ولد بالمدينة في شهر ذي الحجة سنة ١٥٣ من الهجرة ، وتوفي في صفر سنة ٢٠٢ ، ودفن بطوس من ارض خراسان ، وامـــه ام ولد [1] تسمى الخيزران .

وكنيته ابو الحسن ، وأشهر القابه الرضا ، ولم اجد شيئاً في صفته سوى انه كان معتدل القامة .

اولاده :

عن الشيخ المفيد في الارشاد ، وابن شهراشوب في المناقب ، والطبرسي في اعلام الورى انه لم يترك ولداً الا الامام محمد الجواد .

من اقواله :

* لا يتم عقل امرىء ، حتى تكون فيه عشر خصال : الخير منه مأمول ،

---

١ ـ ام الولد هي الامة اذا وطاها المالك وحملت منه ، فتصبح بحكم الحرة لا يجوز بيعها ، ولا هبتها .

والشر منه مأمون ، ويستكثر قليل الخير من غيره ، ويستقل كثير الخير من نفسه ، ولا يسأم من طلب الحوائج اليه ، ولا يمل من طلب العلم طول دهره ، والفقر في الله أحب اليه من الغنى ، والذل في الله أحب اليه من العز ، والخمول أشهى اليه من الشهوة ، والعاشرة ان لا يرى احداً الا قال : هو خير مني واتقى .

ورب قائل : ان هذه الصفات لا توجد الا في اهل البيت ، وعليه ينبغي ان لا يكون في الناس عاقل غيرهم .

الجواب :

ان الامام لم يسلب العقل كلية عمن لا يجمع هذه الخصال وانما نفى عنه العقل من جهة خاصة ، أي ان من يسيء ، ولا يحسن ، ويستقل من غيره ما يستكثره من نفسه فهو ناقص العقل من هذه الجهة ، وان كان كاملاً من جهات اخرى ، وبديهة ان النقص من جهة لا يستدعي النقص من كل الجهات ، كما ان كمال الانسان في صفة لا يستلزم كماله في جميع الصفات .

❋ سئل عن معنى التوكل ، فقال : ان لا تخاف احداً الا الله .

❋ يأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة اجزاء تسعة في اعتزال الناس ، وواحد في الصمت .

❋ احسن الناس معاشاً من حسن معاش غيره في معاشه .

اي ان من تحيا الناس بوجوده حياة طيبة ، وتعيش بفضل جهوده عيش الامن والهناء فهو اسعد الناس ، واحسنهم حالا ، حتى ولو لم يملك شيئاً من حطام الدنيا ، تماماً كما كانت الحال بالنسبة الى الرسول الاعظم (ص) وامير المؤمنين (ع) .

* من صدق الناس كرهوه .

* المؤمن اذا غضب لم يخرج عن حق ، واذا رضي لم يدخل في باطل ، واذا قدر لم يأخذ اكثر من حقه .

* من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل .
وأخشى اذا اطلع على هذه الكلمة الذين كتبوا وألفوا في « الاشتراكية في الاسلام » ان يجعلوها مستنداً للاشتراكيين الذين قالوا : « لكل حسب عمله » .

* ان للقلوب اقبالاً وادباراً ، ونشاطاً وفتورا ، فاذا أقبلت بصرت وفهمت ، واذا أدبرت كلت وملت ، فخذوها عند اقبالها ونشاطها ، واتركوها عند ادبارها وفتورها .

الامام محمد الجواد

ولد بالمدينة في شهر رمضان سنة ١٩٥ من الهجرة ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٢٢٠ ، ودفن مع جده الامام موسى الكاظم في الكاظميـــة •

وامه ام ولد ، واسمها سكن •

كنيته ابو جعفر ، ولقبه الجواد

اولاده :

جاء في صفته انه شديد الادمة معتدل القامة •

اولاده :

قال المفيد ، كان له اربعة اولاد : ذكران ، وهما الامام علي الهادي وموسى ، وبنتان ، وهما فاطمة ، وامامة •

من اقواله :

* اوحى الله الى بعض انبيائه : اما زهدك في الدنيا فيعجـل لـــك

الراحة ، واما انقطاعك الي فيعزك بي ـ اي ان عبادتك تقربك مني ـ ولكن هل عاديت لي عدواً ، او واليت لي ولياً ؟!.

أشرنا فيما تقدم ان كثيراً من الناس يؤمنون نظرياً ، ويجحدون عملياً ، ومن ذلك انهم يعتقدون ان زيداً على حق ، وان عمراً على باطل ، ولكنهم لا يناصرون المحق ، ولا يؤاخذون المبطل ، بل لا يجاهرون بعقيدتهم حذراً من غضب المبطلين . ولو كانوا مؤمنين حقاً لعملوا بما يعتقدون مهما تكن النتائج .

❊ من انقاد الى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرض نفسه للمهلكة .

❊ كفى بالمرء خيانة ان يكون اميناً للخونة .

❊ نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر .

❊ لا يضرك سخط من رضاه الجور .

❊ من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح .

❊ القصد الى الله بالقلوب ابلغ من اتعاب الجوارح بالاعمال .

❊ من اطاع هواه اعطى عدوه مناه .

❊ من لم يعرف الموارد أعيته المصادر .

حين كنت طالباً في النجف الاشرف خرجت للنزهة مع بعض الرفاق مساء احدى الجمع الى وادي السلام ـ كما هي عـادة الطلاب آنذاك ـ وبينا نحن نسير بين القبور التي تعد بالآلاف واذا بمعيدي من سواد العراق يسألنا : اين قبر جدتي ؟!

وكان مفروضاً ان نجيب بالايجاب على كل حال ، والا اسمعنا مـا نكره ، لأن من يلبس العمة في مفهوم هذا السائل وأمثاله يجب ان يعرف كل شيء ، ولا تخفى عليه كبيرة ولا صغيرة •

فقلت له : أمامك هذه المقبرة •

فقال صاحبي : وماذا فهم من جوابك ؟!

قلت : ما فهمته انت من قبر جدته •

وهذا بالذات حال من يبحث عن مصدر مسألة عرضت له قبل ان يعرف من اي علم هي •• ومن اي باب من ابوابه ••

الامام علي الهادي

ولد بقرية في ضواحي المدينة تسمى صريا في شهر ذي الحجة سنة ٢١٤ ، وتوفي ودفن في سامراء في شهر رجب سنة ٢٥٤ ، وامه ام ولد واسمها ام الفضل •

كنيته ابو الحسن ، واشهر القابه الهادي والنقي ، وجاء في صفته انه كان اسمر اللون •

اولاده :

كان له اربعة ذكور ، وبنت واحدة ، وهم الامام الحسن العسكري ، والحسين ، ومحمد ، وجعفر [1] ، وعلية •

من اقواله :

* ان المحق السفيه يكاد يطفيء نور حقه بسفهه •

---

(١) ويلقب بجعفر الكذاب ، لانه ادعى الامامة بعد اخيه الحسن العسكري.

❊ من اطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوق ٠

❊ من رضي عن نفسه كثر عليه الساخطون ٠

❊ بئس العبد عبد يكون ذا وجهين ، وذا لسانين ، يطري اخـاه شاهداً ، ويأكله غائباً ٠

❊ الغضب مفتاح كل شر ٠

❊ اروع الناس من وقف عند الشبهة ، اعبد الناس من أقام الفرائض ٠ ازهد الناس من ترك الحرام ٠

❊ رياضة الجاهل ، ورد المعتاد عن عادته كالمعجز ٠

❊ من كان على بينة من ربه هانت عليـه مصائب الدنيا ، ولو قرض ونشر ٠

الامام حسن العسكري

ولد بالمدينة في شهر ربيع الآخر سنة ٢٣١ من الهجرة ، وتوفي ودفن بسامراء سنة ٢٦٠ ، وأمه أم ولد ، وتسمى سوسن •

كنيته ابو محمد ، ولقبه العسكري ، لانه كان يسكن في محلة تعرف بالعسكر •

صفتـــه :

كان اسمر ، حسن القامة ، جميل الوجه ، جيد البدن ، له جلالةوهيبة•

اولاده :

ليس له من الولد غير محمد بن الحسن ، وهو الحجة المنتظر •

من اقـواله :

❊ من التواضع السلام على كل من تمر به ، والجلوس دون المجلس•

❊ بغض الفجار للابرار زين للابرار •

❊ خصلتان ليس فوقهما شيء : الايمان بالله ، ونفع الاخوان •

❊ من مدح غير المستحق فقد قام مقام المتهم •

❊ أضعف الاعداء كيداً من اظهر عداوته •

❊ من كان الورع سجيته ، والعلم حليته انتصر من اعدائه بحسن الثناء عليه •

الامام الحجة محمد بن الحسن

قال العلامة المجلسي في المجلد الثالث عشر من كتاب البحار :

ولد للنصف من شعبان سنة ٢٥٥ من الهجرة ، وامه نرجس ، وحين وضعته تلقى الأرض بمساجده ، وهو نظيف منظف .

ونقل في صفحة ١١٥ من المجلد المذكور ان ابراهيم بن مهزيار اجتمع بالامام في مكة ، ووصفه بقوله :

ناصع اللون ، واضح الجبين ، ابلج الحاجب [١] مسنون الخد [٢] اقنى الانف [٣] اشم اروع [٤] ، كأنه غصن بان ، وكأن غرته كوكب دري ، في خده الايمن خال ، كأنه فتات مسك على بياض الفضة ، وله وفرة [٥]

---

(١) مفترق الحاجبين

(٢) طويل

(٣) مستوى

(٤) الاشم مرفوع الرأس ، والاروع من يعجبك بحسنه

(٥) الوفرة ما سال من الشعر على الاذن .

سمحاء تطالع شحمة اذنه ، ما رأت العيون اقصد منه ، ولا اكثر حسنا ، وسكينة ، وحياء .

ومما قاله لابن مهزيار :

ان الله لا يخلي الارض من حجة ، يستعلي بها ، وأماماً يؤتم به ، ويقتدى بسننه ، ومنهاج قصده .

قال عبدالرحمن بن الجوزي في كتاب « صيد الخاطر » صفحة **٥٦** مطبعة السعادة بالقاهرة .

« ان الله لا يخلي الارض من قائم له بالحجة ، جامع بين العلم والعمل عارف بحقوق الله تعالى ، خائف منه ، فذلك قطب الدنيا ، ومتى مات أخلف الله عوضه ، وربما لم يمت ، حتى يرى من يصلح للنيابة عنه في كل نائبة ، ومثل هذا لا تخلو الارض منه ، فهو بمقام النبي (ص) في الامة .

وهذا الذي أصفه يكون قائماً بالاصول ، حافظاً للحدود .



شيعة علي والمنصفون

كان مفروضاً لهذا الكتاب ان تنتهي صفحاته مع الفهرست برقم ٢٤٨ ، لأن المواد التي سلمتها للمطبعة لا تتجاوز هذا الرقم ، ولكن بعد الانتهاء من طبع المواد بكاملها ووضع الفهرست قرأت في جريدة « الجمهورية المصرية» تاريخ ٢ آذار سنة ١٩٦٢ مقالاً قيماً بعنوان : « حاجتنا الى نظرة جديدة في التراث » للاستاذ احمد عباس صالح ، وهو من كبار الصحفيين في القاهرة ، والأدباء المعروفين في البلاد العربية ، والمقال على ايجازه بالغ الخطورة ، كثير الفوائد ، فلقد كشف الغطاء عن حقائق أخفاها مدونو التاريخ القـــديم ، او حرفوها عن مواضعها ، تبعاً لأهواء الساسة والحكام ، وتجاهلها المتأخرون من حملة الاقلام وقادة الفكر ، لأنها من الموضوعات الدينية الشائكة التي يثير النظر فيها رجال الأزهر ، وغيرهم من المحافظين على كل قديم ، ولو كان بدعة وضلالة .

قرأت هذا المقال فوجدت افكار كاتبه وآراءه تتفق تماماً مع ما سجلته في كتاب « الشيعة والحاكمون » الذي صدر في العام الماضي ، وأثرت فيه التساؤل حول اسلام بعض الصحابة ، وأثبت بالارقام ان الخلاف الـذي حصل بين علي وشيعته من جهة ، وبين خصومه وأتباعه من جهة ، لـــم يكن خلافاً شخصياً ، ومن أجل الحكم والسلطان ، بل كان خلافاً مبدئيـا

وصراعا بين مبادىء الاسلام ، والعمل على كتاب الله وسنة نبيه الذي دعا اليه علي وابناء علي ، ومن أجله استشهدوا وشردوا ، ونكل بهم وبشيعتهم ، وبين اعداء الاسلام الذين حاولوا ان يطفئوا نور الكتاب والسنة ، ولا يبقوا للدين من باقية الا الاسم ، صراعاً بين من يريد الحكم للسلب والنهب ، والتحكم بمصير الناس ، وبين من يريد ان يسود العدل والاصلاح الاجتماعي .

رأيت كاتب المقال الاستاذ صالحا يتفق معي في الفكرة والشعور والهدف ، فشعرت بالغبطة ، وحمدت الله سبحانه على ان فتح طريق النظر في تراثنا الذي يحتاج الى كثير من التعديل والتصحيح ، حمدت الله الذي فتح هذا الطريق بيد نزيهة مجردة من كل غاية ، وترفع عن كل شائبة من شوائب الجهل والتقليد ، وتأثير التربية والمحيط .

لقد أخذني هذا المقال بحقائقه وآرائه ، وخشيت ان ينطوي مع الصحيفة التي نشرته ، ويذهب دون ان يُنتفع به ، ودون ان يحقق الهدف الذي يرمي اليه ، فرأيت ان اقتطف منه الجمل التي تنسجم مع اهداف هذا الكتاب ، وأسجلها مع ما تستدعيه من التعليق والتوضيح ، فطلبت من صاحب المطبعة ان يتوقف عن طبع الفهرست بعد ان كمل ، وتهيأ للطبع ، لأضيف هذا الفصل الى الفصول التي من جملتها فصل مطول في الرد على منفذ « الخطوط العريضة » الذي اسفر عن وجهه ، وأعلن التحدي السافر للحق وأهله ، وتمنيت لو ان الاستاذ صالحا نشر مقاله قبل ان تنتهي المطبعة من الكتاب لا نشر هذا الفصل الى جانب فصل « شيعة علي والمفترون » دون ان يكون بينهما اي فاصل ، على انهما قد جمعا في كتاب واحد ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على انه اذا وجد في مصر عملاء ، أهل للازدراء والاحتقار ، كمحب الدين

الخطيب منفذ « الخطوط العريضة » ومحمد السباعي الحفناوي صاحب « ابو سفيان شيخ الامويين »[1] ، فان فيها أيضاً منصفين يستحقون الاحترام والتقدير : كالاستاذ احمد عباس صالح ، وفي هذا يجد القراء السر لاختيار « شيعة علي والمنصفون » عنواناً لهذا الفصل بعد ان اخترت « شيعة علي والمفترون » عنواناً للفصل الذي رددت به على محب الدين الخطيب .

قال الاستاذ صالح :

ان اذاعة صوت العرب بالقاهرة كلفته بكتابة برنامج تمثيلي عن الصحابي الكبير ابي ذر [2] وانه لم يكن يعرف عنه الا انه كان صحابياً جليلاً زاهداً يحض المسلمين على عدم كنز المال .

وقال الاستاذ صالح معتذراً عن جهله بان رجال الازهر يفرضون الحراسة العاتية على البحث في الاصول الاولى للاسلام ، وان الكتاب المحدثين تحرجوا عن النظر فيها ، لأن الذين حاولوا ذلك من امثال علي عبدالرزاق اشتبكوا في معارك دامية مع رجال الأزهر تركت اعظم الاثر في نفوسهم ، ثم في نفوس الاجيال التي تلتهم ، فلم يعد احد يخوض

---

(١) رددت على هذا السفياني في فصل مطول من كتاب « الشيعة والحاكمون » بعنوان « كتاب السفياني » .

(٢) كلفته اذاعة صوت العرب بذلك ترويجا للقرارات الاشتراكية التي أصدرها الرئيس جمال عبدالناصر ، فكان من نتيجة تكليفها هذا المقال اليتيم :

فيها الا من بعيد [١] .

ثم قال الاستاذ صالح :

« قرأت كتاباً صغيراً ولكنه ذو قيمة كبيرة للاستاذ العقاد عن مصرع الحسين بن علي ، وفيه نقطة هامة تخطاها العقاد بمهارة عن الصراع بين بيت ابي سفيان ، وبين بيت النبي من قبل الاسلام ، وامتد هذا الصراع بين البيتين بعد الاسلام ممثلا في الانقلاب الاموي الذي وثب فيه معاوية على الحكم ، ولكن هذه النقطة الهامة لم تأخذ مداها في كتاب العقاد ، لانها تجر الى اثارة الشكوك حول اسلام بعض بني امية [٢] وانه لم يكن – اي اسلام بعض الامويين – الا لانتهازية ، الغرض منها التمكن من قيادة التحول الجديد الذي اتى به الاسلام ... » اي ان بعض بني امية أبطن الكفر ، واظهر الاسلام طمعاً ان يتولوا الحكم بعد الرسول ، تماماً كما يفعل الانتهازيون في عصرنا حين يسايرون الحركات الوطنية ، ويحملون شعاراتها

---

(١) يشير الى كتاب « الاسلام واصول الحكم » لعلي عبدالرزاق الذي صدر سنة ١٩٢٦ ، وقال فيه المؤلف فيما قال « ان التاريخ يثبت بالارقام ان كل خلافة وجدت بعد الرسول – بما في ذلك خلافة ابي بكر وعمر – قامت على القوة والرهبة ، وعلى اساس المادة المسلحة ، فلم يكن للخليفة ما يحيط مقامه الا الرماح والسيوف » فثار شيوخ الازهر على صاحب كتاب « الاسلام واصول الحكم » وانزعوه العمة وجردوه من وظائفه الشرعية ، ونفوه من مصر ، ويقول الكاتب : ان هذا كان سببا لسكوت العقاد عن كثير من الحقائق في كتاب « ابو الشهداء» وسكوت طه حسين في كتاب « الفتنة الكبرى » .

(٢) في ص ٢١٨ من كتاب « اصول الفقه » للخضري الطبعة الثالثة : « قال جمهور المسلمين – يريد السنة – ان اصحاب الرسول جميعهم عدول لا يسال عنهم ، ولا تطلب تزكيتهم » : وفي عقيدتي ان هذا المبدأ من وضع الامويين وامثالهم : والغاية منه ان يصونوا انفسهم عن النقد والجرح .

على امل ان يتولوا السلطة ، حتى اذا وصلوا تنكروا لمبادئها ، وانقلبوا على اصحابها اعداء ألداء .

وقال الاستاذ صالح :

« لم يكن الخلاف بين علي وخصومه خلافاً على الامامة ، بل خلافاً على المبادىء الأساسية للاسلام ، بخاصة الاصلاح الاجتماعي .. وكان وراء خلافة علي رجال كبار من الصحابة يوازون في المرتبة رسل المسيح من حيث روحهم الدينية ، وشدة ايمانهم ، وقوة مراسهم مثل ابي ذر وسلمان الفارسي وغيرهما من الذين لم تذكر عنهم المدونات التي كتبت في العصر الاموي الا الشيء القليل ، او التجريح المدقع الذي اخمد حقيقتهم واوشك ان يلغي وجودهم من تاريخنا الديني والسياسي » .

ولكن الشيعة ايها الاستاذ الصالح قد اثبتوا وجود ابي ذر وسلمان وعمار والمقداد وعبدالله بن عباس وغيرهم ، ورفعوهم فوق رسل السيد المسيح ، فهذه كتبهم المطبوعة والمنتشرة كالبحار للمجلسي ، والارشاد للمفيد ، ودلائل الصدق للمظفر ، واعيان الشيعة للامين وغيرها قد انصفت الذين وصفتهم بانهم يوازون رسل المسيح الا ان الاستاذ صالحا وغيره كثير من الشباب لم يعرفوا شيئاً عن هذه المؤلفات الشيعية التي بحثت التراث الاسلامي الديني والسياسي على اساس العلم ، ونطقت بالصدق وكلمة الحق . ومهما يكن فان هذه الشهادة من الكاتب الصالح تؤيد ما قاله الشيعة في التمييز بين الذين ثبتوا على الاسلام من اصحاب الرسول ، وبين الذين انقلبوا على اعقابهم خاسرين .

وقال :

« الذي حدث ان المؤرخين الذين كتبوا تاريخنا العربي القديم كتبوه في عهد الدولة الاموية ، ثم في العهود التي تلت ذلك العهد بعد ان أصبح

الحكم مدنياً لا دينياً . والمحاولات التي بذلت لدمغ التيار الذي كان يقوده علي بالشعوذة وبالانحراف عن جادة الاسلام كانت من الحذق والمهارة بحيث نفرت المسلمين منه .. ولقد ظلت هذه النقطة بالذات أخطر النقاط ، وأصبح محرماً على أي انسان ان يخوض فيها ، لأن الخوض فيها معناه ادانة دول كثيرة لم تأخذ من الاسلام الا العبادات ، وتجنبت كل ما عدا ذلك ، او أغلب ما عداه » .

أي ان المؤرخين في العهد الاموي والعهود الاخرى نسبوا الى الشيعة اشياء وأشياء لا يعرفون منها شيئاً ، ولكن البسطاء من المسلمين صدقوا تلك الافتراءات والاكاذيب ، لأنها من صنع حاذق ماهر في فن التلفيق والتزوير ، و « ظلت هذه النقطة » وهي تزوير التاريخ والافتراء على الابرياء مجهولة حتى الآن ، لأن الكشف عنها يؤدي حتماً الى ادانة دول كانت تتظاهر بالاسلام لا لشيء الا لتحتفظ بالسلطة والعبث بدماء الناس ومقدراتهم .

وهذا ما أثبته بالارقام في كتاب « الشيعة والحاكمون » ، والحمد لله الذي هدانا الى الحق ، وثبتنا على الولاء لأهله ، وأتاح لنصرته اقلاماً لا يرقى اليها الشك ، وصلى الله على محمد وآل محمد ، وهو سبحانه المسؤول ان يحشرنا في زمرتهم ، انه ارحم الراحمين .

ختـــامه

قال نصير الدين الطوسي الفيلسوف الشهير صاحب مرصد (مراغة)، والذي ظلت كتبه تدرس في جامعات اوروبا مئات السنين، وكتب عنها علماء الغرب والشرق :

لو ان عبداً أتى بالصالحات غداً   وود كـل نبي مرسـل وولي
وصام ما صام صوام بلا ضجر   وقـام ما قـام قـوام بلا ملل
وحج ما حج من فرض ومن سنن   وطاف ما طاف حاف غير منتعل
وطار في الجو لا يأوي الى احد   وغاص في البحر مأموناً من البلل
يكسو اليتامى من الديباج كلهم   ويطعم الجائعـين البر بالعسل
وعاش في الناس آلافـاً مؤلفة   عار من الذنب معصوم من الزلل
ما كان في الحشر عند الله منتفعاً   الا بحب امـير المؤمنـين علي

فهرست

صفحـــة

صفحة

للمؤلف

١ ـ الوضع الحاضر في جبل عامل	نفد
٢ ـ الفصول الشرعية	طبعة ثانية
٣ ـ مع الشيعة الامامية	طبع مرتين ونفد
٤ ـ أهل البيت	نفد
٥ ـ الاسلام مع الحياة	طبعة ثانية
٦ ـ الله والعقل	طبعة ثالثة
٧ ـ النبوة والعقل	طبعة ثانية
٨ ـ الآخرة والعقل	نفد
٩ ـ علي والقرآن	طبعة ثانية
١٠ـ مفاهيم انسانية في كلمات الامام الصادق	
١١ـ المجالس الحسينية	
١٢ـ الفقه على المذاهب الخمسة	
١٣ـ معالم الفلسفة الاسلامية	
١٤ـ الزواج والطلاق على المذاهب الخمسة	
١٥ـ نظرات في التصوف	
١٦ـ الشيعة والحاكمون	

١٧- الوصايا والمواريث على المذاهب الخمسة

١٨- فضائل الامام علي

١٩- مع علماء النجف الاشرف

٢٠- مع بطلة كربلاء

٢١- الشيعة والتشيع

٢٢- علي والفلسفة

٢٣- الحج على المذاهب الخمسة

٢٤- فلسفة المبدأ والمعاد

٢٥- الوقف على المذاهب الخمسة

٢٦- اصول الاثبات في الفقه الجعفري

٢٧- هذي هي الوهابية

هذا الكتاب

يعرض هذا الكتاب سيرة أمير المؤمنين ، علي وأخلاقه ، وطرفا من أقواله وحكمه ، ويستخرج منها دروساً تهدي الانسانية الى الطريق القويم .

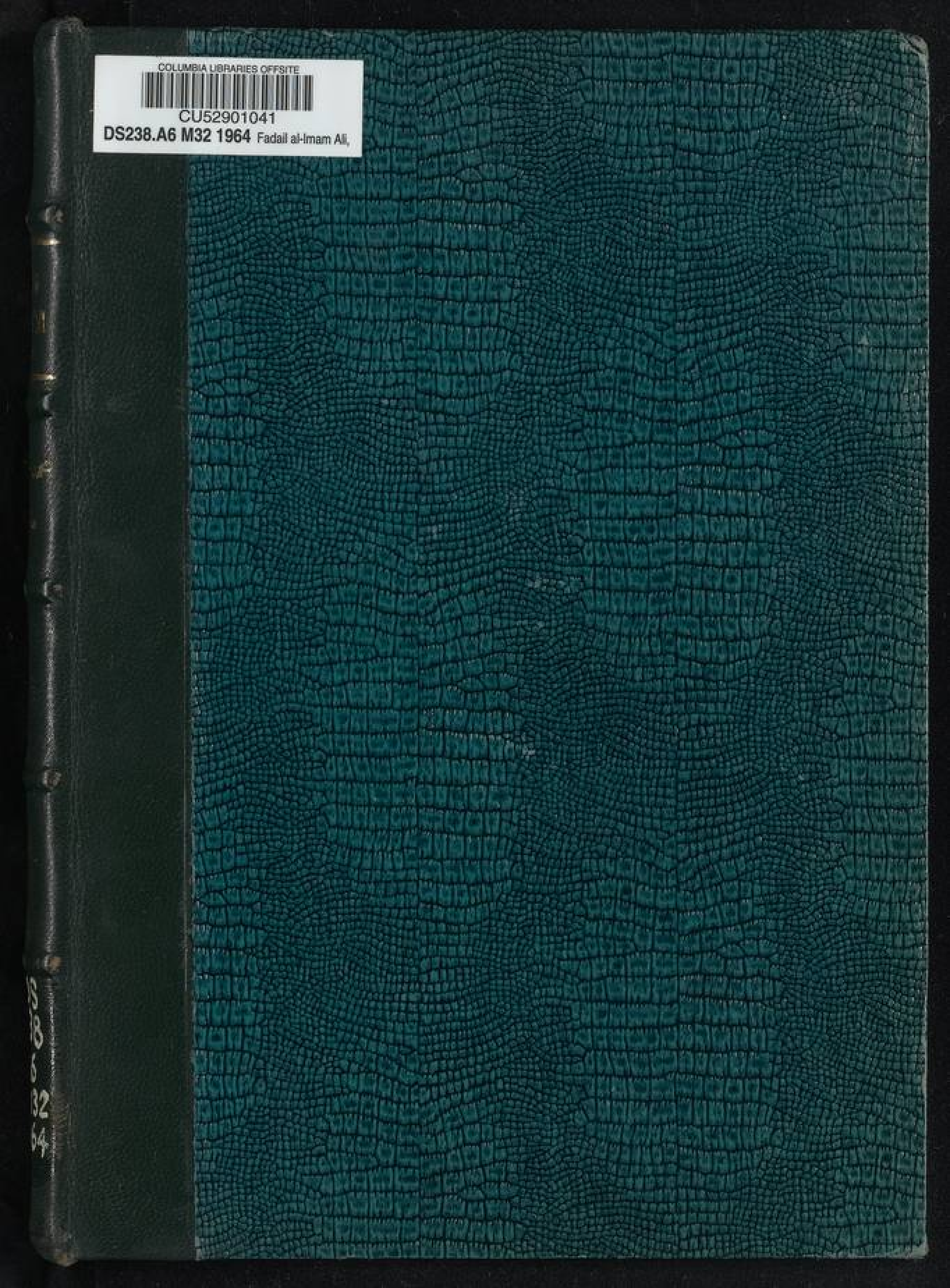
يقدم الشواهد والارقام على أن شخصيته امتداد لشخصية الرسول الاعظم (ص) ، وان جهاده في سبيل الاسلام هو القوة التنفيذية لكتاب الله وسنة نبيه .

يسند كل فضيلة من فضائله الى اوثق المصادر وأصحها عند السنة والشيعة ، ويخرس الجاحد المعاند بالحجة والمنطق ، ويخرج بنتيجة حتمية الى أن حب الامام وبغضه مقياس للايمان والنفاق .

يعنى عناية خاصة بحروب الامام مع النبي وبعده ، ويعرضها عرضاً موجزاً وواضحاً ، ويثبت انها كانت من أجل « لا إله الا الله محمد رسول الله » ومن أجل الضعفاء والمظلومين .

يذكر تاريخ ولادة بقية الأئمة من أولاده وأحفاده ، وتاريخ وفاتهم ، وعدد اولادهم ، وجملة من أقوالهم ، وغير ذلك .

طبع الغلاف بمطابع دار التضامن ـ بغداد



COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU52901041
DS238.A6 M32 1964 Fadail al-Imam Ali,